



جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

الشعر الأموي في تاريخ الطبري "دراسة موضوعية وفنية"

ختام اسليم صلاح القرالة

رسالة

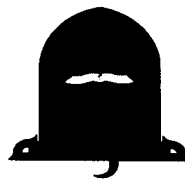
مقدمة إلى

عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2004م



MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (13)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة ختام اسليم القرالة والموسومة بـ:
 " الشعر الاموي في تاريخ الطبري دراسة موضوعية وفنية"
 استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.
 القسم: اللغة العربية وآدابها.

التاريخ	التوقيع	
2004/12/23		أ.د. علي ارشيد المحاسنة
2004/12/23		د. زايد خالد مقابلة
2004/12/23		د. حسن ربابعة
2004/12/23		أ.د. زهير المعاينة

عميد الدراسات العليا

 أ.د. أحمد القطامين



MUTAH-KARAK-JORDAN

Postal Code: 61710

TEL :03/2372380-99

Ext. 5328-5330

FAX:03/ 2375694

e-mail:

dgs@mutah.edu.jo

sedgs@mutah.edu.jo

http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة - الكرك - الاردن

الرمز البريدي: 61710

تلفون: 03/2372380-99

فرعي 5328-5330

فاكس 03/2 375694

البريد الالكتروني

الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى والديّ الكريمين، وإلى من تربع حبه في قلبي أبدياً: ابني الصغير هشام
وإلى زوجي بسّام العريض، وإلى إخوتي وأخواتي جميعاً.

ختام اسليم القرالة

الشكر والتقدير

وبعد أن منَّ الله عليَّ بإتمام هذه الرسالة لا يسعني إلا أن أتقدم بعميق الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور علي المحاسنة الذي كان لي منذُ البداية خير المرشد، وكان معيناً لي على تحمّل عناء هذه الرسالة، فقدم لي الكثير من علمه الوافر وقدم لي النصيحة والعون فله من الله كل الخير والعرفان.

كما ويسعني في هذا المقام أن أتقدم بوافر شكري واحترامي وتقديري إلى الدكتور زايد المقابلة على ما قدمه لي من مساعدة خلال فترة إنجاز هذه الرسالة. كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء هيئة المناقشة الأستاذ الدكتور زريف المعاينة أستاذ التاريخ في كلية العلوم الاجتماعية، والدكتور زايد المقابلة، والدكتور حسن ربابعة لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة وتحملهم عناء قراءتها وتقويمها وإغنائها بوافر علمهم القيم، فلهم كل الشكر والأمتنان.

ختام اسليم القرالة

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	د
الملخص باللغة الإنجليزية	هـ
الفصل الأول: حياة الطبري.	
1.1 المقدمة	1
2.1 نشأته وصفاته وسلوكه	2
3.1 شيوخه	10
4.1 تلاميذه	12
5.1 ثقافته العلمية	14
6.1 مؤلفاته	20
الفصل الثاني: الحياة السياسية والاجتماعية في عصر بني أمية.	
1.2 الحياة السياسية	
2.2 الحياة الاجتماعية	
الفصل الثالث: دراسة موضوعية للشعر.	
1.3 الرثاء	59
2.3 المدح	73
3.3 الفخر	86
3.4 الهجاء	97
3.5 أغراض أخرى	104

الفصل الرابع: مواكبة الشعر للأحداث.

112	1.4 انتقال السلطة للأمويين
117	2.4 الصراع بين الأمويين والزيبريين
123	3.4 الصراع بين الأمويين والخوارج
133	4.4 الصراع بين الأمويين والشيعة
140	5.4 الفتن والثورات الداخلية
148	6.4 الحروب الخارجية

الفصل الخامس: الدراسة الفنية.

156	1.5 الآثار الدينية
164	2.5 الخصائص اللغوية والأسلوبية
174	3.5 الخيال والصورة
183	4.5 الأوزان والقوافي
186	الخاتمة
188	المراجع

ملخص الدراسة

الشعر الأموي في تاريخ الطبري "دراسة موضوعية وفنية"

ختام القراءة

جامعة مؤتة، 2004

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الشعر الأموي في تاريخ الطبري دراسة موضوعية وفنية.

وجعلت الرسالة في مقدمة وستة فصول تتناول الفصل الأول حياة الطبري وصفاته وسلوكه وأهم شيوخه وتلاميذه وثقافته العلمية ومصنفاته، أما الفصل الثاني فقد تناول الحياة السياسية في العصر الأموي وتناول الفصل الثالث جوانب من الحياة الاجتماعية في العصر الأموي وتناول الفصل الرابع دراسة موضوعية لأهم أغراض الشعر الأموي التي وردت في تاريخ الطبري، أما الفصل الخامس فقد تحدث عن مواكبة الشعر للأحداث السياسية التي كانت سائدة في العصر الأموي، وتناول الفصل السادس دراسة فنية للشعر الأموي في تاريخ الطبري، وينتهي البحث بخاتمة تعالج أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ABSTRACT

The Omayyad poetry in Tareekh AL-Tabaree (ASubjective Artistic study)

Khetam al-karalleh

Mu'tah university, 2004

This study aims at studing the Ommayyad Poetry in Tareekh AL-Tabaree.

This study consists of an introduction and six Chapters . The first chapter discusses all aspects that are related to his life , the second chapter approaches the political life in the Ommayyad era , the third chapter discusses some aspects of the social life in the Omayyed era , the fourth chapter is a subjective study of the most important purpose of the Omayyed poetry , the fifth chapter is an artistic study of the Omayyad poetry. The study ends with a conclusion that shows the most important result of the study.

الفصل الأول

حياة الطبري

1.1 المقدمة:

يُعدُّ كتاب "تاريخ الأمم والملوك" لمحمد بن جرير الطبري من الكتب التاريخية التي تمتلك درجة من الموثوقية والموضوعية، وقد أورد الطبري في هذا التاريخ مادة شعرية غزيرة ووفيرة، توزع الشعر فيه على الأغراض الشعرية المختلفة، وجاء مواكباً للأحداث السياسية التي أرّخ لها الطبري.

وقد جاء اختياري لهذه الدراسة الموسومة بـ "الشعر الأموي في تاريخ الطبري دراسة موضوعية وفنية" بعد أن اقترح عليّ الأستاذ الدكتور علي المحاسنة هذا الموضوع، أما بالنسبة للدراسات السابقة حول الأشعار في تاريخ الطبري فهناك دراسة الدكتور زايد مقابلة الموسومة بـ "الشعر العباسي في تاريخ الطبري في القرنين الثاني والثالث للهجرة دراسة موضوعية وفنية" وكما علمت أيضاً أن هناك دراسة للأشعار الواردة في تاريخ الطبري لفترة ما قبل الإسلام، ولاستكمال حلقات دراسة الشعر في هذا التاريخ جاء اختياري لهذا الموضوع.

وسيكون كتاب الطبري هو المرجع الأول الأساسي في هذه الدراسة مستعيناً ببعض المصادر القديمة، والمراجع الحديثة المثبتة في نهاية البحث.

وقد جاءت الدراسة في ستة فصول تناولت في الفصل الأول حياة الطبري العالم الجليل، والمؤرخ الشهير، فكانت إضاءة ساطعة على حياته، واسمه، وولادته، وعائلته، ونسبه وأصله وشخصيته وأخلاقه ووفائه، ثم تحدثت عن شيوخ الطبري وأثرهم في حياته العلمية ممّا تلقاه عنهم، ووضحت مكانته العلمية، ثمّ تحدثت عن مصنفاته وتلاميذه.

وتناولت في الفصل الثاني الحياة السياسية في العصر الأموي، وذكرت أهم العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية منها: أن الحكم الأموي قد بُني على الضغط والقهر والاستبداد، والتعصب للعرب دون غيرهم، كما تحدثت عن أهم الفتن والثورات الداخلية التي عجلت في سقوط الحكم الأموي.

وتحدثت في الفصل الثالث عن الحياة الاجتماعية في العصر الأموي حيث درست طبقات المجتمع الأموي والحضارة والثراء والترف، والملاهي والغناء. وتناولت في الفصل الرابع أغراض الشعر الأموي من رثاء ومدح وفخر وهجاء، وقسمت الرثاء أربعة أقسام هي: رثاء الخلفاء، رثاء آل البيت، رثاء الولاة والقادة، ورثاء أصحاب المذاهب، وقسمت المدح قسمين هما: مدح الخلفاء، ومدح الولاة والوزراء ورجالات الدولة. وقسمت الفخر قسمين هما: الفخر القبلي والفخر الشخصي، أما الهجاء فقسمته قسمين هما: هجاء الخلفاء والأمراء وهجاء الولاة والقادة.

وبيّنت في الفصل الخامس مواكبة الشعر الأموي للأحداث من مثل: انتقال السلطة للأمويين، والصراع بين الأمويين والزيبريين، والصراع بين الأمويين والخوارج، والصراع بين الأمويين والشيعة، والفتن والثورات الداخلية، والحروب الخارجية.

وخصّصت الفصل السادس للدراسة الفنية وقسمته إلى ثلاثة أقسام: دراسة في اللغة والأسلوب، ودراسة في الخيال والصورة، ودراسة في الأوزان والقوافي.

2.1 نشأته وصفاته وسلوكه:

هو محمد بن جرير بن يزيد، وقد اختلف المؤرخون في نسبه بعد جدّه، فمنهم من قال: "يزيد" هذا هو ابن كثير بن غالب⁽¹⁾، ومنهم من قال: إنّ "يزيد" هو ابن خالد⁽²⁾ وعلى ذلك فاسمه: "محمد بن جرير بن (يزيد أو خالد) بن كثير بن غالب، وكنيته أبو جعفر.

(1) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج18، ص40، إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1986م، ج3، ص89.

(2) الفهرست، ابن النديم، دار الفتوى، بيروت، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، 1997م، ص287، وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج4، ص191، الوافي بالوفيات،

وقد لا تكون قضية النسب مهمة -أحياناً- لأن الرجل قد يُشهر بتأليفه وتصانيفه وما يُخلِّده من أعمال في مسيرة حياته، فيكون النسب الذي لا يمتدُّ به إلى جودده الأول كافياً، ولا أدلُّ على ذلك من كلام الطبري نفسه فقد سئل الطبري عن نسبه فقال: "محمد بن جرير، فقال السائل: زدني في النسب، فأنشد لرؤبة بن العجاج⁽¹⁾.

قد رفع العجاج ذكرى فادعني بأسمى إذا الأنساب طالت يكفني
وكانت ولادة الطبري في أواخر سنة 224هـ، أو أوائل سنة 225هـ، ولم يجزم أحدٌ من المؤرخين بتحديد زمن ولادته، والسبب في ذلك ما ذكره أبو جعفر في جوابه على تلميذه ابن كامل عن سبب الشك في سنة مولده فقال: كان أهل بلادنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرخ مولدي بحادثٍ كان في البلد، فلما نشأتُ سئلتُ عن ذلك الحادث، فاختلفَ المخبرون لي ...، فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة 224هـ، وقال آخرون: كان ذلك في سنة 225هـ⁽²⁾.

ولَدَ الطبري بآمل من أعمال طبرستان لذلك لُقِّبَ بالطبري نسبةً إلى (طبرستان) وفي حديث أبي جعفر مع أبي حاتم ما يؤكد نسبةً إلى طبرستان حيث يقول الطبري: "قال لي أبو حاتم: من أيِّ بلدٍ أنت؟ فقلتُ: من طبرستان، فقال: ولم سُميتَ طبرستان؟ فقلتُ: لا أدري، فقال: لما افتتحت وابتدئ ببنائها كانت أرضاً ذات شجرٍ فالتمسوا ما يقطعون به الشجر، فجاء وهم بهذا الطَّبر الذي يُقطع به الشجر فسَمَّيَ الموضع به⁽³⁾.

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: محمد بن إبراهيم بن عمر، ومحمد بن الحسين بن محمد، ط2، 1974م، ج2، ص284، كشف الظنون، اسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1992م، ج6، ص26.

(1) معجم الأدباء، ج18، ص47.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص48.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص48.

كان الطبري أسمرَ إلى الأدمة أعينَ مُلتَفِّ الجسم، مديدَ القامة، فصيحَ اللسان، وكان السوادُ في شعر رأسه ولحيته كثيرًا⁽¹⁾.

وفي الطبري من الزهدِ والورع والخشوع والأمانة والصدق ما دلَّ عليه كتابه في آداب النفوس⁽²⁾، عازفًا عن الدنيا تاركًا لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها⁽³⁾، ومن مظاهر الورع عنده أنه عندما أراد أن يؤلفَ كتابَ التفسير قال: "استخرت الله تعالى في عملِ كتابِ التفسير وسألتُه العونَ على ما نويته ثلاثَ سنين قبلَ أن أعمله فأعانني"⁽⁴⁾.

كانَ الطبري بالإضافة إلى ورعه وتقواه عفيفَ النفس معتمدًا على نفسه، راضيًا بالقليل، فعندما ترعرع سمحَ له أبوه بالسفر، وكان أبوه يُرسل إليه المالَ حيثما كان، ولكن في يوم ما أبطأ عنه أبوه النفقة، فأضطر إلى فتقِ كُمِّي القميص وبيعهما فيقول الفرغاني سمعتُ الطبري يقول: "أبطأتُ عني نفقةُ والدي، واضطرت إلى أن فتقتُ كُمِّي القميص، فبعتهما"⁽⁵⁾.

وكان متوقفاً عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات، ويحب الجدَّ في جميع أعماله⁽⁶⁾، وكان تلاميذه معجبين بورعه وتقواه مُحاولين أن يسلكوا مسلكه في الحياة، زاهدين مثله، ومن تلاميذ الطبري المتأثرين به، ابن كامل

(1) المحمدون من الشعراء وأشعارهم، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط2، 1988م، ص265.

(2) معجم الأدباء، ج18، ص60.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص61.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص62.

(5) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج3، ص125.

(6) معجم الأدباء، ج18، ص79.

حيث يقول: "ولقد حرصتُ مراراً أن يستوي لي مثل ما يفعله فيتعذر عليّ اعتياده، قال: وما سمعته قط لا حناً ولا حالفاً بالله عز وجل"⁽¹⁾.

تربى الطبري في عائلة ورعة تقيّة فجمع إلى العلم كرم الأخلاق⁽²⁾، ولا عجب في ذلك فقد نشأ في بيت ورع تقي فانعكس ذلك على أخلاقه. وللطبري شعرٌ يصورُ أنفته ويصورُ رضاه بقلّة المال، بل سعادته بهذه القلة وإيثاره ذلك على الغنى المشوب بمهانة النفس وعزتها، والطبري يذم في الغنى أن يكون مزهواً بغناه، ويذم في الفقير أن تستدله الحاجة وينصح الأغنياء بالآب يبطروا، وينصح الفقراء بالآب يذلوا يقول⁽³⁾:

وَأَسْتَغْنِي فَيَسْتَغْنِي صَدِيقِي	إِذَا أَعْسَرَتْ لَمْ يَعْلَمْ رَفِيقِي
وَرَفِيقِي فِي مَطَالِبَتِي رَفِيقِي	حَيَائِي حَافِظٌ لِي مَاءَ وَجْهِ
لَكُنْتُ إِلَى الْغِنَى سَهْلَ الطَّرِيقِ	وَلَوْ أَنِّي سَمَحْتُ بِبِذْلِ وَجْهِ

وَأُنْشِدُ أَيْضاً⁽⁴⁾:

بَطَرُ الْغِنَى وَمَذَلَةُ الْفَقْرِ	خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى طَرِيقَهُمَا
وَإِذَا افْتَقَرْتُ فَتُهُ عَلَى الدَّهْرِ	فَإِذَا غَنَيْتُ فَلَا تَكُنْ بَطْراً

وكان الطبري متفائلاً بطبعه، فقد كان تفاؤله وقناعته بما يُرسل إليه من نصيبه في المزرعة التي خلفها أبوه وشغفه بالعلم، وانقطاعه له، وزهده وإيمانه⁽⁵⁾. عاش الطبري أعزب عفيفاً، فربما اعتقد أن الزواج يلهيه عن طلب العلم، لذلك كان حصوراً لا يعرف النساء؛ فقد رحل في طلب العلم منذ أن كان صغيراً،

(1) معجم الأدباء، ج18، ص90.

(2) الطبري، عبدالرحمن حسن العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1988، م1، ص19.

(3) المحمدون من الشعراء، 264، انظر أيضاً: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبدالرحمن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1992م، ج13، ص216.

(4) المحمدون من الشعراء، ج13، ص216-217.

(5) الطبري للعزاوي، ص26.

وفي حديث للطبري: "... فأنا لا ولد لي وما حلت سرأويلي على حرام ولا حلال قَط" (1).

كان الطبري كثيراً ما يرفض الهدايا والمنح من الخلفاء والوزراء، وكان مبدؤه في ذلك ألا يقبل هدية لا يستطيع أن يكافئ بمثلاً، فإن كانت فوق طاقته ردّها، واعتذر إلى مهديها، ومن ذلك عندما وجّه إليه أبو الهيجاء بن حمدان ثلاثة آلاف دينار فلما نظر إليها عجب منها ثم قال: "لا أقبل ما لا أقدر على المكافأة عنه، ومن أين لي ما أكافئ عن هذا؟ فقيل: ما لهذا مكافأة، إنما أراد التقرب إلى الله عز وجل فأبى أن يقبله وردّه إليه" (2).

وكان الطبري يعطف على من يتعامل معه، خاصة مع تلاميذه ويكنّ له المحبة والاحترام، فذكر ابن كامل: أن بعض تلاميذ الطبري آلمه في مجلس الأستاذ فانقطع ابن كامل عن المجلس مدة، ثم قابله الطبري فجعل يعتذر له ويترضاه، ويترفق به، كأنه هو الذي آذاه، فرضى ابن كامل وعاد إلى مجلس الطبري (3).

كان محمد بن جرير لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى والشناعات من جاهلٍ وحاسدٍ ومُلحدٍ، فقد كان يردّ ما يعرض عليه، فعندما تقلّد الخاقاني الوزارة عرض عليه القضاء فرفضه فعاتبه أصحابه، وقالوا له: لك في هذا ثواب وتحية سنّة قد درست، وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم، فانتهرهم وقال: قد كنت أظن أنني لو رغبتُ في ذلك لنهيتموني عنه (4).

كان الطبري رغم انشغاله بطلب العلم وكثرة الترحال شديد الحرص في أمر الورع والتدين ومن مظاهر حرصه على قراءة القرآن الكريم أنه كان يرتل القرآن ترتيلاً (5).

(1) معجم الأدباء، ج18، ص55.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص87.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص54-55.

(4) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص125.

(5) معجم الأدباء، ج18، ص66.

عُرف الطبري برجاحة العقل، وحُسن التدبير، وكان أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفة وفصله⁽¹⁾.

اعتنق الطبري المذهب الشافعي، وعارض الحنابلة وأسس مذهب "الجريرية" في الفقه وهو فرع من الشافعية⁽²⁾.

وعندما دخل الطبري طبرستان قصد الحنابلة ليسألوه عن أحمد بن حنبل وحديثه في الجلوس على العرش، فأنكر الطبري ذلك، فثارت عليه الحنابلة وأصحاب الحديث ورموا داره بالحجارة إلى أن تدخل صاحب الشرطة وحماه منهم⁽³⁾.

وقد ألف الطبري كتابه المشهور في الاعتذار للحنابلة وذكر مذهباً واعتقاده وجرّح من ظن فيه غير ذلك⁽⁴⁾.

كان الطبري يتّصف بصفات حميدة وسلوك حسن قال عبد العزيز بن محمد: "وكان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره، نظيفاً في باطنه، حسن العشرة لمجالسيه، متفقداً لأحوال أصحابه، مهذباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه، وما يخصه في أحوال نفسه، مُنبسطاً مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وربما جيء بين يديه بشيء من الفاكهة؛ فيجري في ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم والفقه والمسائل حتى يكون كأجد وأحسن علم⁽⁵⁾.

(1) تفسير الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994م، ج1، ص14.

(2) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط1، 1984م، ج1، ص508.

(3) معجم الأدباء، ج18، ص57-58.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص59.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص86.

ومما يدلُّ على حسن سلوكه وصفاته الحميدة ما قاله أبو بكر بن مجاهد حيث يقول: "وكان إذا جلس لا يكاد يُسمع له تنخم ولا تبصق ولا يرى له نُخامة وإذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديله ومسح جانبي فيه"⁽¹⁾.

وكان الطبري ذا سلوك حسن في تناوله الطعام له آدابٌ معنية وهو جالسٌ على مائدة الطعام، قال ابن كامل: "ما رأيتُ أظرفَ أكلاً من أبي جعفر، كان يدخلُ يده في الغضارة، فيأخذ منها لقمةً، فإذا عادَ بأخرى كسحَ باللُقمة ما التطخ من الغضارة، باللُقمة الأولى فكان لا يلتطخ من الغضارة إلا جانباً واحداً، وكان إذا تناول اللُقمة ليأكل سَمَّى ورفع يده اليسرى على لحيته ليوقئها من الزهومة فإذا حصلت اللُقمة في فيه أزال يده"⁽²⁾.

تتقلَّ الطبري في مختلف الأمصار والبلدان طالباً للعلم فقد حفظ كثيراً، وألف كثيراً، وقصته مع تلاميذه خير دليل على ذلك، فقد روي أن أبا جعفر قال لأصحابه: أنتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم، من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله، ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير⁽³⁾.

ظل الطبري منشغلاً بالعلم والدين والمعرفة، فقد رفض جميع المناصب التي عُرضت عليه قضائية كانت أو غيرها⁽⁴⁾. ولعلَّ ورعه كان السبب في رفضه لمثل هذه المناصب مخافة أن يجور في حكم من أحكامه.

توفي الطبري يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودُفن

(1) معجم الأدباء، ج18، ص90.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص89-90، الغضارة: القصعة الكبيرة، الزهومة: رائحة لحم سمين منتن.

(3) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص123.

(4) الطبري للعزاوي، ص25.

يومَ الأحد بالغداة في دار برحبة يعقوب⁽¹⁾، وقيل بل دُفن ليلاً ولم يؤذن به أحد، لأنه كان يُتهم بالتشيع، واجتمع من لا يُحصى عددهم إلا الله، وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً⁽²⁾.

كان ابن كامل ممّن حضر وفاته، وقد قيل لأبي جعفر قبل خروج روحه: "يا أبا جعفر أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا وبينه لنا نرجو بها السلامة في معادنا؟ فقال: الذي أدين الله به وأوصيكم هو ما أثبت في كتبي فاعملوا به وعليه، وأكثر من التشهد وذكر الله عز وجل، ومسح يده على وجهه وغمض بصره بيد وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا⁽³⁾.

وعندما توفي الطبري رثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب من ذلك قول أبي سعيد الأعرابي⁽⁴⁾:

حدث مفزع وخطب جليل	دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعى العلوم: أجمع لما	قام ناعى محمد بن جرير

ورثاه أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بقصيدة طويلة منها قوله⁽⁵⁾:

إنّ المنية لم تتلف به رجلا	بل أتلفت علماً للدين منصوبا
كان الزمان به تصفو مشاربة	والآن أصبح بالتكدير مقطوبا
كلّ وأيامه الغرّ التي جعلت	للعلم نورا وللتقوى محاربا
أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا	أعظم بذا صاحبا أو ذاك مصحوبا!
ودت بقاع بلاد الله لو جعلت	قبرا له فحباها جسمه طيبا

(1) معجم الادباء، ج18، ص40.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص40.

(3) تفسير الطبري، ج1، ص11.

(4) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص126.

(5) تذكرة الحفاظ، أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان، ج2، ص751.

3.1 شيوخه:

رحل الطبري في مختلف الأمصار والبلدان طالباً للعلم، وقد أدرك العلم وهو صبي صغير، فقد ذكر الطبري عن نفسه: "حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثمانين سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين"⁽¹⁾.

كان للبيئة التي تربى بها الطبري أثر كبير في توجهه نحو العلم وهو ما يزال صبيّاً، حيث تربى في عائلة ورعة تقيّة فجمع إلى العلم كرم الأخلاق. كانت بغداد آنذاك معدن العلم والعلماء يتجه إليها طلاب العلم من كل جهة، ولا يمكن لأحد أن يدّعي علماً من غير شهادة شيوخها وأساتيذها، لذلك توجه إليها الطبري وأقام بها، وكتب عن شيوخها.

وفي بغداد سمع عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وإسحاق بن إسرائيل وأحمد بن منيع البغوي⁽²⁾، وأخذ الفقه والعربية عن عمر بن علي الفلاس، وسفيان بن وكيع⁽³⁾.

وفي الرّيّ تتلمذ على يد أحمد بن حمّاد الدولابي وأخذ عنه التاريخ، قال الطبري: "وكنا نمضي إلى أحمد بن حمّاد الدولابي وكان في قرية من قرى الرّيّ بينهما وبين الرّيّ قطعة، ثمّ نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه"⁽⁴⁾.

وتتلمذ الطبري على يد محمد بن حميد الرازي، قال الطبري: "كنا نكتب عن محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرّات ويسألنا عما كتبناه ويقرؤه علينا"⁽⁵⁾، ويُقال إنّ الطبري كتب عن ابن حميد مائة ألف حديث⁽⁶⁾.

(1) معجم الأدباء، ج18، ص49.

(2) تفسير الطبري، (مقدمة المحقق)، ج1، ص10.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص10.

(4) معجم الأدباء، ج18، ص50.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص50.

(6) المصدر نفسه، ج18، ص50.

كما أخذ الحديث عن أبي جريح، وهناد بن السري، وعباد بن يعقوب،
وعبدالله بن اسماعيل الهباري، واسماعيل بن موسى، وعمران بن موسى القزاز⁽¹⁾.
وأخذ مغازي ابن إسحاق عن سلمة بن الفضل وعليه بني تاريخه فيما بعد⁽²⁾،
وأخذ القراءات عن سليمان بن خلاد الطلحي⁽³⁾.
وتوجه إلى البصرة فسمع عن محمد بن عبد الأعلى الصنعائي، وأبا الأشعث،
ومحمد بن بشار بُندار، ومحمد بن المثنى⁽⁴⁾.
وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى، وبني عبد الحكم محمد وعبد
الرحمن وسعد، كما وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري⁽⁵⁾.
وفي مصر سمع أبا الحسن علي بن سراج المصري وكان متأدباً فاضلاً في
معناه⁽⁶⁾. كما نقل الطبري أخبار العرب قبل الإسلام عن بشر بن معاذ⁽⁷⁾.
كما سمع عن يعقوب الدورقي، وأبا سعيد الأشج، ومحمد بن بشار⁽⁸⁾، وأخذ
الحديث عن بشر بن معاذ العقدي، وقرأ الفقه على داود، وأخذ فقه الشافعي عن
الربيع بن سليمان بمصر، وعن الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد⁽⁹⁾، وعن أبي
سعيد الاصطخري، وقد صحبه قبل خروجه إلى الفسطاط⁽¹⁰⁾.
وتتلمذ الطبري على يد المثنى بن إبراهيم الأملي، وأخذ منه الحديث، قال ابن
كامل: فأول ما كتب الحديث ببلده ثم بالري وما جاورها، وأكثر من الشيوخ حتى

(1) الفهرست، ص 287.

(2) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،

دار سويدان، بيروت - لبنان، ج 1، ص 7.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 7.

(4) معجم الأدباء، ج 18، ص 50-51.

(5) الفهرست، ص 287.

(6) معجم الأدباء، ج 18، ص 52.

(7) المصدر نفسه، ج 18، ص 50.

(8) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 13، ص 215.

(9) الفهرست، ص 287.

(10) معجم الأدباء، ج 18، ص 53.

حصلَ كثيراً من العلم وأكثر من محمد بن حميد الرازي، ومن المثنى بن إبراهيم الأبلَى وغيرهما⁽¹⁾.

وفي مصر لقي أبا إبراهيم اسماعيل بن إبراهيم المُرَني وأخذ عنه⁽²⁾، وأخذ الحديث عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني، ويُقال إنه سمعَ من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث⁽³⁾.

وقرأ القرآن على سليمان بن عبد الرحمن الطلحي⁽⁴⁾. وأخذ الفقه والسيرة عن أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالحكم المصري⁽⁵⁾. وفي الشام أخذ القراءة عن العباس بن مسلم بن زيد⁽⁶⁾.

هؤلاء هم أبرز شيوخ الطبري الذين تتلمذ عليهم، وكان لهم الفضل الكبير في صقل شخصيته العلمية وقد أورد أسماءهم كثيراً في مؤلفاته سواء أكانت في التاريخ أم الحديث أو العلوم الأخرى.

ونتيجةً لكثرة الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم الطبري فقد اتسعت ثقافته في مختلف العلوم وأصبح بحق موسوعة يُرجع إليها لأخذ العلوم المختلفة منها.

4.1 تلاميذ الطبري:

وهب الطبري نفسه للعلم وقصر عليه حياته وقد جال في نواحي كل فن وضرب فيها جميعها بسهم بعد أن رحل في طلب العلم إلى كثير من الأمصار والبلدان وجاب الآفاق شغفاً بالقراءة، وكلفاً بالاطلاع والمشاهدة.

(1) معجم الأدباء، ج18، ص49.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص52.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص51-52.

(4) الوافي بالوفيات، ج2، ص285.

(5) الفهرست، ص291.

(6) معجم الأدباء، ج18، ص52.

ومن أهم تلاميذ الطبري: القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف، وله من الكتب على مذهب الطبري: كتاب جامع الفقه، كتاب الحيض، كتاب الشروط، كتاب الوقوف، وقد اشتهر بعلمه في الفقه والقراءات والتفسير والأدب والتاريخ⁽¹⁾.
ومنهم عبدالله بن أحمد بن جعفر أبو محمد الفرغاني، وكان مؤرخاً محدثاً⁽²⁾.
وعلي بن عبدالعزيز بن محمد الدولابي، وله من الكتب: كتاب الرد على ابن المغلس، كتاب أصول الكلام، كتاب التبصير، كتاب المسألة في افتراض الإمام، كتاب في بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب الأصول الأكبر، كتاب الأصول الأصغر، كتاب رسالة كذبتما⁽³⁾.

ومحمد بن جعفر وأحمد بن أبي طالب الكاتب⁽⁴⁾، وأبو شعيب الحراني وهو أكبر منه سنّاً وسنداً، ومخلد الباقرحي والطبراني، وعبد الغفار الحُصَيْبِي⁽⁵⁾.
ومن تلاميذه أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجّم المتكلّم، وله من الكتب: كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، كتاب الإجماع في الفقه، على مذهب أبي جعفر⁽⁶⁾، وأبو بكر الشافعي⁽⁷⁾.
وأبو بكر بن بالويه⁽⁸⁾، وأبو الحسن الدقيفي الحلواني الطبري وله من الكتب: كتاب الشروط، كتاب الرد على المخالفين⁽⁹⁾. وابن أبي العباس بن المغيرة التّلاج⁽¹⁰⁾.

(1) الفهرست، ص288.

(2) معجم الأدباء، ج2، ص22.

(3) الفهرست، ص288.

(4) لسان الميزان، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط2، 1971م، ج5، ص101.

(5) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص121.

(6) الفهرست، ص288.

(7) لسان الميزان، ج5، ص101.

(8) معجم الأدباء، ج18، ص42.

(9) الفهرست، ص288.

(10) معجم الأدباء، ج18، ص92-93.

وأبو عمرو بن حمدان⁽¹⁾، وأبو الحسين بن يونس وكان متكلماً وله في الفقه كتاب الإجماع في الفقه⁽²⁾.

ومنهم: أبو اسحق إبراهيم بن حبيب السقطي الطبري من أهل البصرة وله من الكتب: كتاب الرسالة، كتاب جامع الفقه⁽³⁾. وعبدالغفار الحضيبي، وأبو عمرو بن حمدان⁽⁴⁾.

5.1 ثقافته العلمية:

فقه الطبري العلم صبيّاً صغيراً دون الإدراك، ورحل في سبيله يافعاً لم يبلغ مبلغ الرجال، ولقي الكثير من الرواة والعلماء، وطالع صنوف الكتب، ولم يلبث أن أصبح إماماً وصاحب مذهب، أملى اسمه في التاريخ، وسار ذكره مع الزمان. كان الطبري أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفة وفصله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عزّ وجلّ، عارفاً بالقرآن، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم⁽⁵⁾.

وذكر أبو محمد الفرغاني في "صلة التاريخ" أن قوماً من تلامذة محمد بن جرير حسبوا لأبي جعفر منذ أن بلغ الحلم إلى أن مات، ثمّ قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاًه فصار لكلّ يوم أربع عشرة ورقة⁽⁶⁾.

(1) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص121.

(2) الفهرست، ص288.

(3) المصدر نفسه، ص288-289.

(4) تذكرة الحفاظ، ج2، ص711.

(5) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج1، ص78.

(6) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص123.

كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء، والحفظ مالا يجهله أحدٌ عرفه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحدٍ من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له⁽¹⁾.

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: "ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد ابن جرير"⁽²⁾.

كان الطبري كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالناحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب، وكان عاملاً للعبادات جامعاً للعلوم⁽³⁾. وقال أبو الحسن بن المغلس: "والله إني لأظنُّ أبا جعفر الطبري، قد نسي ممّا حفظ إلى أن مات ممّا حفظه فلان طول عمره"⁽⁴⁾.

روى عن الحسين بن علي التميمي أنه قال: "لما رجعت من بغداد إلى نيسابور سألتني محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لي: ممن سمعت ببغداد؟ فذكرت له جماعة ممن سمعت منهم فقال: هل سمعت من محمد بن جرير شيئاً؟ فقلت له: لا، إنّه ببغداد لا يدخل عليه لأجل الحنابلة، وكانت تمنع منه، فقال: لو سمعت منه لكان خيراً لك من جميع من سمعت منه سواه"⁽⁵⁾.

روى عن أبي جعفر الطبري أنه قال: "حفظت القرآن ولي من العمر سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابنُ ثمانين سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أني بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان معي محلاة مملوءة محارة، وأنا أرمي بين يديه، فقال لي المعبر: أنه إن كبر نصيح في دينه، وذبح عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم، وأنا حينئذٍ

(1) معجم الأدباء، ج18، ص 52.

(2) تفسير الطبري (مقدمة المحقق)، ج1، ص12.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص14.

(4) معجم الأدباء، ص18، ص69.

(5) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت -

لبنان، ج2، ص164.

صَبَّيْ صَغِيرٌ⁽¹⁾. فبالإضافة إلى رؤيا والده ينبغي أن نقول إن الطبري كان راغباً في طلب العلم منذ صغره، لذلك استطاع والده أن ينشئه نشأة دينية وأن يُشجعه على طلب العلم، حيث سمح له بالسفر منذ أن ترعرع، وكان يرسل إليه ما يحتاجه من المال.

كان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة، وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب، وأخذ منه قسطاً وافراً يدلُّ عليه كلامه في الوصايا⁽²⁾.

ومن أهم العلوم التي برع فيها الطبري:

1- الفقه:

تخصص الطبري بالفقه الشافعي، واتخذ مذهباً له وأفتى به بغداد عشرين سنة، وقد تفقّه بمذهبه كثير من العلماء⁽³⁾، وقال ياقوت الحموي واصفاً الطبري الفقيه: "كان أحد أئمة العلماء بحكم قوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفة وفصله، فقيهاً في أحكام القرآن، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من العارفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام"⁽⁴⁾.

ومن كتبه، كتابه المسمّى بكتاب "بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام"، وفيه تحدّث عن علماء الأمصار ومراتبهم وشرح أبواب الفقه بإسهاب⁽⁵⁾، ثمّ عرض لأقوال العلماء في كتابه "اختلاف علماء الأمصار" وقد ناقش في هذا الكتاب أقوال العلماء ووازن بين حججهم واختار الأصوب منها، ومن أشهر الفقهاء الذين ذكر أقوالهم في هذا الكتاب مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأبو عبدالله محمد بن الحسن الشيباني وغيرهم⁽⁶⁾.

(1) معجم الأدباء، ج18، ص49.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص61.

(3) الطبري للعزاوي، ص77.

(4) معجم الأدباء، ج18، ص41.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص75.

(6) المصدر نفسه، ج18، ص71.

2- علوم اللغة العربية:

كان الطبري عالماً بالعروض، قال هارون بن عبدالعزيز: "قال لنا أبو جعفر: لما دخلت مصر لم يبقَ أحدٌ من أهل العلم إلاّ لقيني وامتحني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطتُ له قبل ذلك، فقلتُ له: عليّ قولٌ ألاّ أتكلم اليوم في شيءٍ من العروض، فإذا كان في غدٍ فصر إليّ، وطلبتُ من صديقٍ لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي، فأمسيتُ غير عروضي وأصبحتُ عروضياً"⁽¹⁾.

وقد كان الطبري شاعراً، ذكره القفطي في كتاب "المحمدون من الشعراء"، وقال: "كان له رحمه الله شعرٌ فوق العلماء"، وأورد له⁽²⁾:

إذا أعسرت لم يعلم رفيقي وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماءً وجهي ورفقي في مرافقتي رفيقي

وكان الطبري يحفظ شعراً كثيراً من شعر الجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلاّ جاهل به⁽³⁾، وقال أبو عمر محمد بن عبدالواحد الزاهد: سمعتُ ثعلباً يقول: "قرأ عليّ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة"⁽⁴⁾.

وفي مصر لقيه أبو الحسن علي بن سراج المصري، فكان يسأله ويجيب حتى سأله عن شعر الطرمّاح، فإذا هو يحفظه فسئل أن يملّيه فأملّاه عند بيت المال في الجامع، وكان من يقوم به مفقوداً في البلد"⁽⁵⁾.

برع الطبري في علم النحو وقد شهد له بذلك أبو العباس⁽⁶⁾، وكان قليل الشهادة لأحد، فقد كان شديد النفس شرس الأخلاق، قال أبو بكر بن مجاهد: قال أبو العباس يوماً: من بقي عندكم؟ يعني في الجانب الشرقي ببغداد من النحويين، فقلت ما

(1) معجم الأدباء، ج18، ص56.

(2) المحمدون من الشعراء، ص264.

(3) معجم الأدباء، ج18، ص60.

(4) تاريخ الطبري، ج1، ص14.

(5) معجم الأدباء، ج18، ص60، والطرمّاح، هو ابن حكيم الطائي.

(6) أبو العباس هو: محمد بن يزيد المبرد.

بقي أحد، مات الشيوخ فقال: حتى خلا جانبكم، قلت: نعم إلا أن يكون الطبري الفقيه، فقال لي: ابن جرير؟ قلت: نعم، ذاك من حذّاق الكوفيّين، قال أبو بكر: وهذا من أبي العباس كثيرٌ لأنّه كان شديد النفس شرس الأخلاق، وكان قليل الشهادة لأحدٍ بالحدق في علمه⁽¹⁾.

3- التفسير:

عِلْمُ التفسير في عرف العلماء بيان معاني القرآن، وموضوعه نظم القرآن، والغرض منه الاطلاع بقدر الطاقة على ما أراد الله تعالى بكلامه، فعِلْمُ التفسير يُستمدُّ من العلوم الدينية، وقد أفضى الطبري بعمله في التفسير إلى كتابه "جامع البيان عن تأويل القرآن".

قال الطبري نفسه: "حدثتني به نفسي وأنا صبي"⁽²⁾، كذلك قال: "استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني"⁽³⁾.

ولعل ما يدل على أهمية تفسير الطبري، وعظيم قيمته ما يقوله أبو حامد الاسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرًا⁽⁴⁾.

4- الحديث:

درس الطبري الحديث منذ صباه على كبار المحدثين في عصره، الذين كان لهم الأثر الواضح في تمكن الطبري من هذا العلم. وقد ذكر النووي الطبري في كتابه "تهذيب الأسماء واللغات" فعّد الطبري في طبقة الترمذي والنسائي⁽⁵⁾.

(1) معجم الأدباء، ج18، ص60.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص62.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص62.

(4) الوافي بالوفيات، ج2، ص285.

(5) تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص78.

ويُعدُّ كتاب "تهذيب الآثار" من أشهر ما صنّف الطبري في علم الحديث، وهو من عجائب كتبه، ابتدأ بما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه مما صح عنده بسنده وتكلم على كل حديث منه بعلة وطُرُقُهُ، وما فيه من الفقه والسُنن، واختلاف العلماء، وحُججهم، وما فيه من المعاني والغريب فتّم منه مُسند العشرة وأهل البيت، والموالي، ومُسند ابن عباس قطعةً كثيرة، ومات قبل تمامه⁽¹⁾.

وكان قصده فيه أن يأتي بكل ما يصحّ من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلا يكون لطاعن في شيء من علم رسول الله مَطْعَن، وأن يأتي بجميع ما يحتاج إليه أهل العلم.

قال عبدالعزيز الطبري: "كان أبو جعفر مجوداً في القراءة، موصوفاً بذلك، يقصده القراء البعداء من الناس للصلاة خلفه يسمعون قراءته وتجويده"⁽²⁾.

وقال أبو بكر بن كامل: "ما سمعت في المحراب اقرأ من أبي جعفر"⁽³⁾، ثم قال: "وكان أبو جعفر يقرأ قديماً لحمة"⁽⁴⁾.

5- القراءات:

قال أبو الحسن علي الأهوازي: "كان أبو جعفر الطبري له في القراءات كتاب جليل كبير، رأيته في ثمانين عشرة مجلدة، إلا أنه كان بخطوط كبار ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ، وعلل ذلك وشرحه وأختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور، ولم يكن مُنتصباً للإقراء ولا قرأ عليه أحد إلا آحاد من الناس..."⁽⁵⁾.

تلقّى الطبري حروف القرآن على شيوخ الإقراء ببغداد والكوفة والشام ومصر، ثم اتخذ لنفسه قراءة لم يخرج بها عن المشهور كما فعل في الفقه

(1) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص121.

(2) معجم الأدباء، ج18، ص66.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص66.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص66.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص45.

وضع كتابه المسمى "بالفصل بين القراءات"، وذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن، وفصل أسماء القراء في حروف القرآن، وفصل أسماء القراء بمكة والمدينة والشام وفصل بين كل قراءة وقراءة، وبعد أن يذكر تأويل كل قراءة والدلالة على كل قارئ لها، يقوم باختيار قراءة له مبيناً أسباب اختياره، والبرهان على صحته، مستظهراً على ذلك بقدرته على التفسير والإعراب وكلام العرب⁽²⁾. وإلى جانب علمه بالقراءة كان حسن التلاوة حسن الترتيل، فعندما سمعه أبو بكر بن مجاهد وهو في طريقه إلى المسجد لصلاة التراويح يقرأ سورة الرحمن قال: "ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يُحسن أن يقرأ هذه القراءة"⁽³⁾.

6.1 مؤلفات الطبري:

خلف الطبري كثيراً من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون، وقد امتازت مؤلفاته بالشمولية والموسوعية، قال الخطيب البغدادي: "إن الطبري مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة"⁽⁴⁾. ومن تصانيف الطبري ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط وبعضها مفقود، وبعضها منسوب له ولغيره من العلماء:

1- الكتب المطبوعة:

فمن كتبه المطبوعة: 1- كتابه المشهور تفسير الطبري أو "جامع البيان عن تأويل القرآن".

اعتمد الطبري في كتابه هذا على التفسير بالمأثور والنهي عن التفسير بالرأي ودقة الإسناد، والاستعانة بعلمه باللغة، والاستشهاد بالشعر ليبين المعنى المراد من

(1) تاريخ الطبري، ج1، ص13.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص13.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص13.

(4) معجم الأدباء، ج18، ص42.

الكلمة، فتارة يذكر اسم الشاعر، وتارة يذكر النص الشعري مجرداً من الاسم⁽¹⁾.
اتسم منهجه في هذا الكتاب على التسجيل والتعليق والنقد الواضح، وهذا
عائد إلى التزامه الشديد بفلسفته الدينية، وكان الطبري كثيراً ما يسجل رأيه فلا
يكتفي فقط بنقل الآراء والأسانيد.

2- تاريخ الطبري:

ويسمى (تاريخ الأمم والملوك) أو (تاريخ الرسل والأنبياء) ويُعدّ تاريخ
الطبري، "أول عمل تاريخي بين مصنفات العرب أقامه على منهج مرسوم، وساقه
في طريق استقرائي شامل بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان، أكمل
ما قام به المؤرخون قبله، كاليقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، ومهدّ السبيل
لمن جاء بعده كالمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون"⁽²⁾.

ولتاريخ الطبري فضل كبير لم يغيب عن أحد من القدماء، قال أبو الحسن
عبدالله بن أحمد بن محمد بن محمد بن المغلس: "ما عمل أحد في تاريخ الزمان، وحصر
الكلام فيه مثل ما عمله الطبري، وإنّي لأظنّ أنّ أبا جعفر قد نسي مما حفظ إلى أن
مات قدر ما حفظه فلان طول عمره"⁽³⁾، وذكر رجلاً كبيراً من أهل العلم، ثم قال:
"إنّ كتابه في التاريخ من الأفراد في الدنيا فضلاً ونباهةً، وهو يجمع كثيراً من علوم
الدين والدنيا وهو في نحو خمسة آلاف ورقة"⁽⁴⁾.

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد
المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ
الأحداث والرجال ونصوص الشعر والخطب والعهود، ونسق بينها تنسيقاً مناسباً،
وعرضها عرضاً رائعاً رائعاً نسباً كلّ رواية إلى صاحبها، وكلّ رأي إلى قائله، كما

(1) الطبري للعزاوي، ص 60، 62.

(2) تاريخ الطبري، ج 1، ص 21.

(3) معجم الأدباء، ج 18، ص 69.

(4) المصدر نفسه، ج 18، ص 70.

أنه أودع هذا الكتاب فصولاً صالحة ونتاجاً متنوعة من متون الكتب التي أتت عليها عوادي الأيام، وأورد من أقوال العلماء ما لا نجده إلا في هذا الكتاب⁽¹⁾.

بدأ أبو جعفر تاريخه بذكر الدلالة على حدوث الزمان، وأن أول ما خلق بعد ذلك القلم، ثم ذكر آدم، وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل، ومعرجاً على أخبار الملوك التي وقعت في زمانهم⁽²⁾.

وأما القسم الإسلامي فقد رتبته على الحوادث من عام الهجرة، حتى سنة (302هـ) ثلاثمائة واثنين، وذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة والأيام المشهورة⁽³⁾.

وأما الطريقة التي سار عليها الطبري في كتابه هي طريقة المحدثين، حيث يذكر الحوادث مروية ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه، لا يبدي في ذلك رأياً في معظم الأحيان، وهذه الطريقة التي سلكها في معظم الكتاب، وفيما عدا ذلك ينقل من الكتب، فيصرّح باسم الكتاب أحياناً أو ينقل عن المؤلفين من غير تعيين الكتاب الذي نقل عنه أحياناً⁽⁴⁾.

أما بالنسبة لتحديد الوقت الذي بدأ به أبو جعفر الطبري بتأليف كتاب التاريخ فلا يُعرف على وجه التحديد التاريخ الذي بدأ فيه أبو جعفر إملاء هذا الكتاب، روى الخطيب البغدادي أن أبا جعفر قال لأصحابه: "انتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره، قال ثلاثة آلاف ورقة، فقالوا إن هذا مما يُفني الأعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: أنتشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنّا لله، ماتت الهمم، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير"⁽⁵⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج 1، ص 25.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 23.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 23.

(4) المصدر نفسه، ج 1، ص 24-25.

(5) تاريخ بغداد، ج 2، ص 163.

3- صريح السُّنة في أوراق:

ذكر الطبري في هذا الكتاب مذهبه وما يدين به ويعتقده⁽¹⁾، والجزء الأخير منه في الاعتقاد، بيّن فيه مذهبه وما يدين به الله عليه على ما مضى عليه الصحابة، والتابعون ومتفقهم الأمصار⁽²⁾.

2- المؤلفات المخطوطة:

وللطبري مجموعة من المؤلفات المخطوطة، ومن هذه المؤلفات:

4- رسالة البصير في معالم الدين⁽³⁾.

5- كتاب القراءات⁽⁴⁾.

6- تهذيب الآثار⁽⁵⁾.

7- حديث الهميان⁽⁶⁾.

3- المؤلفات المفقودة:

وللطبري مؤلفات مفقودة، ووضعها كما جاء عند من اطلع عليها من القدماء هو كما أورده، ومنها: أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة قال عنه ياقوت: "وربما زاد في ترجمته المشتمل على علوم الدين والفضل والورع والإخلاص والشكر والكلام في الرياء، والكبر والتخاضع والخشوع والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب، ثم ذكر شيئاً من الدّعاء، وفضل القرآن وأوقات الإجابة ودلائلها، وما روى من السنن وأقوال الصحابة والتابعين في ذلك، وقطع الإملاء في بعض الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁷⁾، وكتاب اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، ويُعدُّ هذا

(1) معجم الأدباء، ج18، ص80.

(2) تاريخ بغداد، ج2، ص163.

(3) معجم الأدباء، ج18، ص80.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص45.

(5) تاريخ الطبري، ج1، ص16.

(6) تاريخ بغداد، ج2، ص163.

(7) معجم الأدباء، ج18، ص77.

الكتاب أول مَصْنَفٍ للمؤرخ الطبري، قال عنه ياقوت: "وكان أبو جعفر يُفضِّلُ كتاب الاختلاف وهو أول ما صَنَّفَ من كتبه، وكان يقول: لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه: الاختلاف واللطيف⁽¹⁾، وكتاب الأدر في الأصول قال عنه ياقوت: "ثم قطع و وعد بكتاب الأدر في الأصول، ولم يخرج منه شيء"⁽²⁾.

وكتاب الاعتذار، وهو في الاعتذار للحنابلة ذكر فيه مذهبه واعتقاده، وجرّح فيه غير ذلك⁽³⁾، وأمّهات الأولاد⁽⁴⁾، وذيل المذيل⁽⁵⁾، والرّد على ابن عبدالحكم في رده على مالك⁽⁶⁾، وكتاب "الشرب"⁽⁷⁾، وكتاب "الشهادات"⁽⁸⁾، وكتاب "الشروط"⁽⁹⁾، وكتاب "الطهارة"⁽¹⁰⁾، وكتاب "الفتوى"⁽¹¹⁾.

(1) معجم الأدباء، ج18، ص72.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص81.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص59.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص73.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص70.

(6) المصدر نفسه، ج18، ص81.

(7) المصدر نفسه، ج18، ص73.

(8) المصدر نفسه، ج18، ص83.

(9) المصدر نفسه، ج18، ص73.

(10) المصدر نفسه، ج18، ص76.

(11) المصدر نفسه، ج18، ص68.

الفصل الثاني

الحياة السياسية والاجتماعية في عصر بني أمية

1.2 الحياة السياسية:

بعد مقتل سيدنا عثمان، أصبح هنالك فراغٌ سياسيٌّ فأرادت الوفود التي كانت نائمة على عثمان أن تباع علياً فبوع علي خليفةً للمسلمين سنة 35هـ⁽¹⁾.
كان معاوية طامعاً في الخلافة منذ أن كان والياً على الشام في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، وما إن توفي سيدنا عمر حتّى أفصح معاوية عن نواياه في الاستئثار بحكم الشام كله⁽²⁾.

بعث علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان يدعوهُ إلى بيعته، لكنّ معاوية امتنع عن مبايعة علي وأخذ البيعة لنفسه، ثمّ أقنع أهل الشام بضرورة مُحاربة علي، لأنّه تخاذل في الدفاع عن عثمان، فسار علي ومعه أتباعه من المهاجرين والأنصار إلى صفّين على شاطئ الفرات الغربي وقد اقتتلوا مدة شهر ذي الحجة كلّ يوم، ولمّا دخل شهر المحرم تحاجز القوم وتوادعوا على ترك الحرب طمعاً في الصلح⁽³⁾.

عندما أحسّ معاوية بالهزيمة طلب إلى عمرو بن العاص أن يخلّصه من هذا المأزق، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يرفعوا المصاحف على أسنة الرماح، وتعليقها في أعناق الخيل، ومطالبتهم بتحكيم القرآن⁽⁴⁾.

أخذ أصحاب علي بهذا الرأي ولكن سيدنا علياً كان يعلم أنها حيلةٌ، ولكنهم اضطروه إلى قبول التحكيم، فخرج بعض المتحاربين في صف علي من القتال

(1) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1970، ط2، 1986، ص120.

(2) التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأموية، السيد عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، 2001، ص332.

(3) البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج7، ص 266-268.

(4) تاريخ الطبري، ج5، ص48-51.

احتجاجاً على وقف الحرب⁽¹⁾.

اتفق الفريقان على أن يختار كلٌّ منهما مندوباً، فاختر معاوية ومن معه من أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، وكان عليّ لا يريده فقال علي: "فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، إنني أرى أن أولي أبا موسى"⁽²⁾، كان أبو موسى الأشعري محايداً ممّا كرّاه إلى علي وحبّيه إلى أهل العراق⁽³⁾.

أبى أهل العراق إلّا أن يكون أبو موسى الأشعري حكماً لهم، فانعقدت محكمة التحكيم في دومة الجندل، واتفق الفريقان على خلع علي ومعاوية، وترك الأمر شورى يختار المسلمون من يريدون⁽⁴⁾، تقدّم أبو موسى الأشعري للكلام من قبيل الاحترام لِسِنِّه حتى يبدأ أبو موسى بخلع صاحبه ثمّ يعمل عمرو بن العاص، وكانت هذه حيلة من عمرو بن العاص⁽⁵⁾.

تقدّم أبو موسى فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه، ثم قال: "أيّها الناس، إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها، ولا أَلَمَ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فبولوا منهم من أحبوا عليهم، وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً له"، ثمّ تتّحي، وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: "إنّ هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه. وأثبتُ صاحبي معاوية، فإنّه ولى عثمان بن عفان والطالب بدمه، وأحقُّ

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص50.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص51.

(3) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) يوليوس فلهوزن، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، ط2، 1976، ط3، 1978، ص26.

(4) تاريخ الطبري، ج5، ص67.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص70 وما بعدها.

الناس بمقامه"، فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت⁽¹⁾، ثم انصرف أهل الشام إلى معاوية وسلّموا عليه بالخلافة⁽²⁾.

أتى عليّاً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: "نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت"⁽³⁾، وقد ولي علي الخلافة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر⁽⁴⁾.

ولمّا علم عليّ بهذه الخدعة أخذ يستعد لقتال معاوية فلمّا جهّز جيشه لذلك جاءته الأخبار أنّ الخوارج قد ساروا نحو المدائن⁽⁵⁾، وهم الذين كانوا بالأمس معه خرجوا عليه لأنهم كانوا يعتقدون أنّه أحقّ بالخلافة فلا مُسوّغ لقبول أمر التحكيم هذا فكان عليه أن يلزمهم بمبايعته⁽⁶⁾.

كانت العراق وفارس مركزاً لنشاط الخوارج، فخرج الخوارج إلى قتال معاوية، وهُزم على أيديهم، ممّا دعاه إلى أن يخاطب أهل الكوفة قائلاً: "لا أمان لكم والله عندي حتّى تكفوا بوائقكم" فواجه معاوية معارضة قويّة منهم فكان معاوية يتّبع معهم سياسة اللين والشدّة ليأمن جانبهم⁽⁷⁾.

لم تكن الحياة السياسيّة مُستقرّة في الدولة الأمويّة وذلك نتيجة لتعدد الأحزاب السياسيّة، فأصبح كلّ حزب يُدافع عن أنصاره، ويرى أنهم أحقّ بالخلافة من غيرهم.

تأمّر الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص فاجتمع ثلاثة من الخوارج وهم: عبدالرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي،

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص71.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص76.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص152.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص152.

(5) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصريّة - القاهرة، ج1، ص306.

(6) المرجع نفسه، ج1، ص307.

(7) التاريخ الإسلامي العام، علي حسين، مكتبة النهضة المصريّة، ص280.

فتذكروا أمر الناس وعابوا على ولائهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، وقالوا: "ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً إخواننا الذين كانوا دُعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا⁽¹⁾، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا على ذلك⁽²⁾، فأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج علي ضربه ابن ملجم بالسيف⁽³⁾، فكانت وفاته رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين للهجرة⁽⁴⁾.

أمّا البرك بن عبدالله فإنه في تلك الليلة التي قُتل فيها علي بن أبي طالب، قعد لمعاوية، فلما خرج معاوية ليُصلي شدّ عليه بسيفه، ولكنّ السيف وقع من يده، فلم يقتله وأمّا عمرو بن بكر فجلس لعمر بن العاص تلك الليلة فلم يخرج للصلاة، وإنّما خرج بدلاً منه صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فقام عليه عمرو بن بكر فقتله ظناً منه أنه عمرو بن العاص⁽⁵⁾.

وبعد أن قُتل علي رضي الله عنه بُويع ابنه الحسن بالخلافة وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها فشرط ذلك له معاوية⁽⁶⁾.

قام الحسن في أهل العراق فقال: "يا أهل العراق إنه سخيّ بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهى بكم متاعي"⁽⁷⁾.

وهكذا انتهى عصر الخلفاء الراشدين الذي امتدّ من سنة 11-40هـ، وجاء عصر جديد وهو عصر الدولة الأموية الذي امتدّ من سنة 40-132هـ.

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص143-144.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص144.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص145.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص148.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص148-149.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص158.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص159.

بُويع معاوية بالخلافة سنة (40هـ) أربعين هجرية بإيلياء، وكان معاوية يُدعى بالشام: الأمير، فلما قُتل علي كرم الله وجهه دُعي معاوية أمير المؤمنين⁽¹⁾. كان معاوية أطول الحكام المسلمين عهداً فقد قضى في ولاية الشام نحو خمس وعشرين سنة، وتمكن بدهائه أن يجتذب إليه قلوب أهل الشام، وإن يطوعهم لأمره، فقد حرص منذ توليه الخلافة على مزج القبائل العربية التي وفدت إلى الشام بأهل تلك البلاد، ثم عمل على تقريب الولاة المخلصين له، ومن هؤلاء الولاء زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص⁽²⁾.

وعندما تولى معاوية الخلافة كان هناك ثلاثة أحزاب: شيعة علي، وكان الشيعة متعصبين لبني هاشم ويرون أن ترد الخلافة لهم، وعارضوا الأمويين، أما حزب الخوارج فكان حزباً صريحاً ثورياً، نشأ عن العصبية للإسلام، ومذهبهم مذهب سياسي وكان يهدف إلى تقرير الأمور العامة وفقاً لأوامر الله ونواهيها، وهم يبذلون كل طاقة عسكرية للفوز بالجنة، وكانوا يعبرون عن إيمانهم بالأفعال وامتشاق السيف في سبيل إقرارها.

اعتمدت سياسة بني أمية على إثارة العصبية القبلية وذلك لتشغل القبائل العربية بها عن معارضة الحكم الأموي⁽³⁾، كذلك استطاعت الدولة الأموية إغداق الأموال على زعماء بعض القبائل وإذلالهم وكسر شوكتهم حتى تستميلهم إلى جبهة فتتمكن من السلطة⁽⁴⁾.

كان بنو أمية وولاتهم يلجؤون إلى سياسة القمع والبطش للقضاء على معارضيهم⁽⁵⁾ وقد أدرك معاوية منذ أن كان والياً على الشام مدى أهمية إثارة العصبية القبلية وإذكائها من جديد بعد أن خمدت في عصر صدر الدولة الإسلامية،

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص161.

(2) التاريخ الإسلامي العام، ص272-273.

(3) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي: إحسان النص، دار الفكر، ط2، 1973م، ص241.

(4) المرجع نفسه، ص245.

(5) المرجع نفسه، ص247.

فقد كانت كلب من أقوى القبائل اليمنية فقام معاوية بمصاهرة هذه القبيلة والزواج من ميسون بنت بحدل الكلبية⁽¹⁾.

أعجب معاوية بما كان سائداً عند الأمم الأخرى من مثل القياصرة والرومان من نظام وراثته الملك، لذلك فقد فكّر بنقل هذا النظام إلى الدولة العربية⁽²⁾، فلمّا توفي الحسن سنة (49هـ) تسع وأربعين عزم معاوية على البيعة ليزيد، فبدأ يمهّد لهذا الأمر وبدأ معاوية يظهر يزيد بمظهر المجاهد، لما كان معروفاً عند المسلمين بلهوه وعكوفه على الشراب⁽³⁾، فعزم معاوية على البيعة ليزيد لأنه رأى أنّ السبب الذي أدى إلى تفرق كلمة المسلمين هو المنافسة على الحكم⁽⁴⁾.

كانت فكرة الوراثة في الملك غريبة عن العرب⁽⁵⁾، لذلك استعمل معاوية كلّ أساليب الدهاء من أجل أخذ البيعة لابنه، فكان يعطي المقارب، ويتقرب إلى الناس بكافة السبل⁽⁶⁾، لكنّ معاوية وجد معارضة شديدة خاصة من عرب الحجاز الذين رفضوا فكرة انتقال الحكم من النظام القائم على الشورى إلى النظام الوراثي⁽⁷⁾. استطاع معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد من أهل الشام والعراق ولكن أهل الحجاز رفضوا مبايعته، فأرسل معاوية جيشاً إلى مكة والمدينة وأخذ البيعة ليزيد بالقوة⁽⁸⁾.

لم ينسَ الكوفيون عداؤهم لأهل الشام، فكتبوا إلى الحسين بن علي لمبايعته، فبعث الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة لينظر في الأمر، فبعث إلى الحسين أن أمضي إلى الكوفة⁽⁹⁾ فتوجه إليها، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً، فأقبل عبيد

(1) العصبية القبلية، وأثرها في الشعر الأموي، ص 245.

(2) التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية)، ص 274.

(3) التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأموية، ص 342.

(4) التاريخ الإسلامي العام، ص 274.

(5) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، 132.

(6) التاريخ الإسلامي العام، ص 275.

(7) التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأموية، ص 343.

(8) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص 133.

(9) تاريخ الطبري، ج 5، ص 347.

الله بن زياد بأمر من يزيد بن معاوية ليبطل بيعة أهل الكوفة للحسين بن علي⁽¹⁾، فانضمّ عدد كبير من أهل الكوفة إلى عبيد الله بن زياد، وخرجوا لمقاتلة مسلم بن عقيل فتمكنوا من قتله⁽²⁾، ولما علم عبيد الله بن زياد بقدم الحسين أرسل إليه الحرّ ابن يزيد ليرده عن دخول الكوفة، لكن الحسين رفض ذلك ثم أرسل عبيد الله إلى الحسين جيشاً بقيادة شمر بن ذي الجوشن، فلقيه شمر في كربلاء فقاتله، بعد أن خذله جميع الذين دعوه إلى الكوفة ثم انظموا إلى جيش شمر فأخذ الحسين يقول: "اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا"⁽³⁾، ولم يقاتل مع الحسين إلا عدد قليل من أهل بيته، واستشهد الحسين في كربلاء يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة⁽⁴⁾.

وكان الذي قتل الحسين بن علي رجلٌ من مذبح وحزّ رأسه وانطلق به إلى عبيد الله بن زياد وقال⁽⁵⁾:

أوقر ركابي فضّةً وذهبا فقد قتلتُ الملكَ المُحبّبا
قتلتُ خيرَ الناسِ أمّا وأبا وخيرهم إذ يُنسبونَ نسباً

ولما شمل الناس جورُ يزيد وعمّاله، وعمّهم ظلّمة وما ظهر من فسقه من قتله الحسين بن علي، وشربه للخمر أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم وسائر بني أميّة، وذلك عندما أظهر عبدالله ابن الزبير الدعوة لنفسه، وكان ذلك في سنة ثلاث وستين⁽⁶⁾.

بايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية، فوثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن كان بالمدينة من بني أميّة، فكانوا نحواً من

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص348.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص350.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص389.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص400.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص390.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص482.

ألف رجل فحاصرهم أهل المدينة في دار مروان بن الحكم⁽¹⁾.

توجه جيش يزيد وعليهم مُسلم بن عُقبة، وطلب منه يزيد أن يستخلف على الجيش حُصين بن نمير السكوني وأن يعطي القوم مهلة ثلاثة أيام فإن لم يُجيبوه قاتلهم وعندما انتهت الأيام الثلاثة، قام بمحاربتهم، وكانت وقعة عظيمة في الموضع المعروف بالحرّة، قُتل فيها خلق كثير من بني هاشم وسائر قريش والأنصار⁽²⁾، وأسفرت المعركة عن هزيمة أهل المدينة وقتل عدد كبير منهم.

وبعد وقعة الحرّة خرج مسلم بن عقبة بأمرٍ من يزيد إلى مكة حيث يقيم عبدالله بن الزبير، إلا أن مسلماً أدركه الموت أثناء الطريق، فاستخلف على الجيش الحُصين بن نمير فسار إلى مكة وأحاط بها، وخرج أهل المدينة للدفاع عن مكة، وعندما مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قذفوا البيت بالمجانيق، وحرّقوه بالنار⁽³⁾.

وفي سنة أربع وستين عندما تولى الخلافة مروان بن الحكم سار للقاء الضّحّاك بن قيس، الذي أظهر البيعة لعبدالله بن الزبير وخلع بني أميّة، فتمكن مروان بن الحكم من هزيمة الضحّاك في موقعه مرج راهط وقُتل الضحّاك، وقُتل يومئذ من أشرف الناس من أهل الشام ممّن كان مع الضحّاك ثمانون رجلاً⁽⁴⁾.

أسفرت موقعة مرج راهط عن نتائج هامة منها: انتقال الحكم من الفرع السفيفاني إلى الفرع المرواني، كذلك أصبح نظام الملك وراثياً كما أراد معاوية من قبل، وإذكاء نار العصبية القبلية من جديد⁽⁵⁾.

ثم كانت حركة التوابين برئاسة سليمان بن صُرَد الخزاعي تعبيراً عن ندم الشيعة على خذلانهم للحسين بن علي عندما تخلّوا عنه في حرب كربلاء، ثم تعبيراً

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص482.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص484-487.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص498.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص535-537.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص290.

عن سخطهم ومعارضتهم لبني أمية⁽¹⁾.

ويخرج التوابون في نحو من أربعة آلاف، ويسيرون حتى يصلوا إلى عين الوردية، وفي الطريق يمرون بقبر الحسين يصلون عليه، ويكون، ويجددون العهد بالأخذ بثأره⁽²⁾.

ثم يخرج عبيد الله بن زياد في جيوش كثيفة إلى مُلاقاة الشيعة بأمر من مروان بن الحكم، وتدور المعركة، ويستبسل التوابون في القتال، ولكن تكون النتيجة غلبة جيش عبيد الله بن زياد، وقتل قائد الشيعة سليمان بن صرد⁽³⁾.

لقد كان لهذه الحرب جوانب خطيرة من أبرزها أنها كشفت الرماد عن جذوة التشيع وأشعلت النار، حتى كانت في النهاية من الأسباب التي ساعدت على الإحاطة بحكم الأمويين، كما أنها مهدت الطريق لثورة شيعية خطيرة، هي ثورة المختار النخعي⁽⁴⁾.

لم يكد عبيد الله بن زياد يفرغ من قتال التوابين حتى ظهر المختار بن أبي عبيد النخعي سنة (66هـ) ست وستين، أحد قواد الجيوش الإسلامية زمن عمر بن الخطاب⁽⁵⁾. انطلق المختار بثورته من الكوفة حيث أدرك منذ البداية أن الكوفة مهد للشيعة وثورته تدعو إلى المطالبة بدم الحسين⁽⁶⁾. ضم المختار كذلك إليه الموالي لأن الموالي كانت تؤلف السواد الأعظم من أهل الكوفة⁽⁷⁾، وقد استجاب إليه الموالي حين أدركوا أن دعوته تهدف إلى مساواتهم بالعرب⁽⁸⁾.

(1) حياة الشعر في الكوفة (إلى نهاية القرن الثاني للهجرة): يوسف خليف، دار الكتاب

العربي للطباعة والنشر - القاهرة، 1968م، ص71.

(2) المرجع نفسه، ص72.

(3) المرجع نفسه، ص73.

(4) المرجع نفسه، ص76.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص292.

(6) حياة الشعر في الكوفة، ص75.

(7) المرجع نفسه، ص75.

(8) المرجع نفسه، ص75.

أخذت ثورة المختار طابعاً قُبلياً، فأغلب الذين انضموا إلى المختار كانوا من القبائل التي غلب عليها التشيع، ولم يكن معه من أشرف الكوفة إلا عدد قليل منهم إبراهيم بن الأشتر النخعي⁽¹⁾.

استطاع المختار أن يستميل إليه الشيعة عندما أعلن أنّ ثورته موجهة ضد الأمويين للأخذ بثأر الحسين، وأدّعى أنه مرسل من قبل محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية⁽²⁾.

استطاع المختار في ثورته هذه أن يحقق بعض الأهداف التي كان يسعى إليها منها: إنه أصبح سيّداً للكوفة، كما استطاع أن يثأر للحسين، واستطاع بفضل قائده إبراهيم بن الأشتر أن يهزم قوات عبد الملك بن مروان على ضفاف نهر خازر، وأن يقتل قائدها عبيد الله بن زياد⁽³⁾.

كان المختار أحد الطامعين في الخلافة، ويصرّح بهذا عندما حاصره مصعب في قصر الكوفة، فيقول لبعض أصحابه: "إنّما أنا رجل من العرب، ورأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلّا إني قد طلبتُ بثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمائهم، وبالغت في ذلك إلى يومي هذا⁽⁴⁾.

وبعد أن انتصر المختار في الجولة الأولى، أمر عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بمقاتلة المختار، فدارت المعركة بين الفريقين قرب الكوفة سنة 67هـ، انتهت بمقتل المختار ومن معه من أتباعه، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم "المختارية"⁽⁵⁾.

(1) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص 316.

(2) التاريخ الإسلامي العام، ص 294.

(3) حياة الشعر في الكوفة، ص 76.

(4) تاريخ الطبري، ج 6، ص 107، سنة 67هـ.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص 295.

وفي سنة (71هـ) إحدى وسبعين للهجرة خرج عبد الملك بن مروان إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير⁽¹⁾، بعد أن أرسل عبد الملك بن مروان بكتب إلى قواد مصعب استطاع أن يستميلهم إليه، وسار مصعب إلى باجميرا، وكتب عبد الملك إلى شيعته من أهل العراق فأقبل إبراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك إلى مصعب، ثم أخبر إبراهيم بن الأشتر مصعباً أن قواده قد خالفوه، وطلب منه أن يضرب أعناقهم، لكن مصعباً رفض ذلك وقال: "فأقرهم حديداً وأبعث بهم إلى أبيض كسرى فأحبسهم هنالك ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم، وإن غلبت مننت بهم على عشائهم"⁽²⁾.

نشب القتال بين الفريقين بالقرب من باجميرا، وهُزم مصعب، ومن كانوا معه، وقتل مصعب على نهر يُقال له الدُجَيْل عند دير الجاثليق، وأمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا ثم أخذ البيعة لنفسه من أهل العراق⁽³⁾.

بعد أن تمكّن الحجاج من القضاء على ابن الزبير في الحجاز أصبح والياً على الحجاز كله مكافأة من عبد الملك لمقدرته الحربية⁽⁴⁾، وبقي عليها حتى سنة 75هـ حيث عهد إليه عبد الملك بولاية العراق، تلك المنطقة التي كانت أشدّ مناطق الدولة خطراً على الحكم الأموي⁽⁵⁾.

وفي أول لقاء للحجاج بأهل الكوفة خطبهم خطبته المشهورة في الأدب والتاريخ، وقد بدأها بقوله⁽⁶⁾:

أنا ابنُ جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
يا أهل الكوفة إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنّي لأنظر إلى

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص151.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص157.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص160.

(4) التاريخ الإسلامي العام، 298.

(5) المرجع نفسه، 299.

(6) البيت لـ " سُحيم بن وثيل الرياحي وهو شاعر جاهلي " تمثل به الحجاج في أول خطبته بالكوفة .

الدماء بين العمائم واللّحي ...⁽¹⁾.

كانت الكوفة مركزاً انطلقت منه أكثر الثورات التي تُعارض حكم بني أميّة، لذلك رأى الحجاج أنّه لا بدّ من اتباع سياسة معينة لاشغال أهل الكوفة بها، فرأى أنّه من الأفضل أن يجعلها معسكراً للجيش العربيّة، وبذلك ينشغل بالحرب والقتال⁽²⁾.

لقد كان للسياسة التي اتبعها الحجاج مع أهل الكوفة أن زاد حقد الكوفيين على الأمويين، ونجد أن الحجاج قد أجبر الكثير من الكوفيين على مشاركته في حروبه⁽³⁾، وهذه العناصر التي خرجت مكرهة للقتال كانت من العوامل التي ساعدت على نشر روح المعارضة في هذه الأقاليم⁽⁴⁾.

كانت الثورات التي قام بها الخوارج الأزارقة من أهم الصعوبات التي واجهت عبد الملك فوّلّى عبد الملك المهلب بن أبي صفرة لقتالهم، وكان قطريّ بن الفجاءة الشاعر المشهور قائداً للأزارقة⁽⁵⁾، وكانت أول مواجهاتهم في رامهرمز انهزمت فيها الأزارقة⁽⁶⁾.

ثم انقسم الأزارقة على أنفسهم بعد أن كانوا فرقة واحدة فالعرب التفوا حول زعيمهم قطري بن الفجاءة، والموالي انضموا إلى زعيمهم عبد ربه الكبير⁽⁷⁾. وعندما بلغ أمر انقسام الأزارقة إلى الحجاج وجّه جيشاً من أهل الشام بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبّي في طلب قطري ثمّ لحقوه في شعب من شعاب طبرستان، فقاتلوه، ووقع عن دابته في أسفل الشعب ومات⁽⁸⁾، وهكذا انتهى أمر الأزارقة الذين طالما عارضوا حكم الأمويين.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص202-203.

(2) حياة الشعر في الكوفة، ص80.

(3) المرجع نفسه، ص81.

(4) المرجع نفسه، ص82.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص300.

(6) المرجع نفسه، ص300.

(7) تاريخ الطبري، ج6، ص309.

(8) المصدر نفسه، ج6، ص309.

وتستمر الفتن والثورات في عصر الخليفة عبد الملك، ومن ذلك فتنة ابن الأشعث⁽¹⁾، عندما خرج على طاعة الحجاج فتتشب الحرب بين أهل العراق وأهل الشام في سنة اثنتين وثمانين هُزم ابن الأشعث في واقعة الزاوية⁽²⁾.

ولا تنتهي هذه الحرب بين ابن الأشعث والحجاج، فيكتب الحجاج إلى عبد الملك يعلمه بخبر ابن الأشعث، فكتب إليه عبد الملك: "لعمري لقد خلع طاعة الله بيمينه، وسلطانه بشماله، وخرج من الدين عُرياناً، وإنني لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم في ذلك على يد أمير المؤمنين"⁽³⁾.

فيلتقي الحجاج وابن الأشعث في الموضع المعروف دير الجماجم وذلك في (82هـ) سنة اثنتين وثمانين، فيقتل الحجاج ابن الأشعث في هذه الحرب⁽⁴⁾.

وبعد أن انتهت الحرب بين الحجاج وابن الأشعث، يصعد الحجاج إلى المنبر، ويوجه خطاباً إلى أهل العراق حيث يوجه إليهم اللوم على وقوفهم إلى جانب ابن الأشعث في المعركة، ويذكرهم بغدرهم إياه، ويذكرهم كذلك بهزيمته إياهم في موقعة الزاوية، ثم هزيمتهم في موقعتهم دير الجماجم⁽⁵⁾.

ثم يوجه خطاباً إلى أهل الشام، يذكر فيه اخلاصهم له ووقوفهم إلى جانبه في المعارك، وانهم العدة والعدد، والجنة في الحرب⁽⁶⁾.

وفي موقعة دير الجماجم أسرف الحجاج في قتل أسارى الحرب واعطائه الأموال، فبلغ ذلك عبد الملك، فأرسل بكتاب إلى الحجاج يتضمن تحذيره من مثل هذه التصرفات، ويؤنبه على ذلك، وفي أسفل الكتاب كتب إليه بالأبيات التالية⁽⁷⁾:

(1) هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن الليث الكندي، من قبيلة كندة.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص342.

(3) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1987، ج3، ص138-139.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص139.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص139-140.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص140.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص141-142.

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها
وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً
فإن ترمني غفلة قرشية
وإن ترمني وثبة أموية
فلا (لا) تلمني والحوادث جمّة
ولا تعدّ ما يأتيك مني، وإن تعدّ
ولا تتقض للناس حقاً علمته
وتطلب رضائي بالذي أنا طالبة
إلى الله منه ضيّع الدرّ حالبه
فيا ربما قد غصّ بالماء شاربهُ
فهذا وهذا كلُّ ذا أنا صاحبه
فإنّك مجزيّ بما أنت كاسبه
يقومُ بها يوماً عليك نوابه
ولا تعطين ما ليس لله جانبهُ

وعندما قرأ الحجاج كتاب الخليفة عبد الملك، أرسل إلى الخليفة كتاباً يوضح فيه دواعيه إلى القتل والعطاء، ويبيّن فيه إنه لم يكن مسرفاً في سفك دماء المعارضين للحكم الأمويّ لأنهم يستحقون ذلك، وإنّه لم يفعل ذلك إلّا من أجل المصلحة العامة، وأمّا التهمة الثانية التي وجهها الخليفة إلى الحجاج وهي تبذير الأموال، فبيّن الحجاج إنه لا يعطي إلّا المخلصين للدولة فيقول الحجاج: "ولا أعطيتهم إلّا لك" وكتب في أسفل كتابه⁽¹⁾:

إذا أنا لم أتبع رضاك وأتقي
وما لامرئ بعد الخليفة جنة
أسألم من سالم من ذي قرابة
إذا قارف الحجاجُ منك خطيئة
إذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه
أذاك فيومي لا تزول كواكبه
تقي من الأمر الذي هو كاسبه
ومن لم تسالمه فإني محاربة
فقامت عليه في الصباح نوابه
وأقص الذي تسرى إلى عقاربهُ

وهكذا تمكّن الخليفة عبد الملك من القضاء على الفتن الداخلية التي كانت تهدد أمن الدولة واستقرارها، وكذلك تمكّن من القضاء على الطامعين في الخلافة من أمثال ابن الأشعث وابن الزبير، والمختار الثقفي، فأنتهى بذلك أمر الفتن الداخلية. وفي عهد الوليد اتسعت حدود الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، فلم يعد هنالك ثورات داخلية تشغل بها الدولة، وإنّما انشغلت الدولة بالفتوحات

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص142.

الخارجية⁽¹⁾، حيث تم فتح إقليم ما وراء النهر، وحوض نهر السند، وشمال إفريقيا والأندلس⁽²⁾.

ولما تولى عمر بن عبدالعزيز ولاية العهد ظهر "بسطام اليشكري" وكان يُعرف باسم شوذب⁽³⁾، وكان مخرجه بجوخي ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة، ولم يرد عمر أن يأخذ هؤلاء الخوارج الذين التفوا حول شوذب بالقوة، فطلب من عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على العراق ألا يأخذهم بالقوة⁽⁴⁾، ثم كتب عمر إلى بسطام يسأله عن مخرجه، فكان في كتاب عمر إليه: إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه، ولست أولى بذلك مني فهل أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا وكان رد بسطام على عمر أن بعث إليه رجلين يناظرانه، وهما ممزوج مولى شيبان والآخر حلبية بنت يشكر⁽⁵⁾.

ولم يستطع عمر أن يرد على اعتراضهما في شأن ولاية العهد ليزيد بن عبدالملك من بعده، فطلب إليهما أن يستمهلاه ثلاثة أيام⁽⁶⁾. ولكن بني مروان خافوا أن يخلع عمر يزيد وأن يضيّع ما في أيديهم من السلطان، فدسّوا إليه من سقاه سُمّاً⁽⁷⁾.

وفي عهد يزيد بن عبدالملك عادت الفتن الداخلية من جديد بعد أن خمدت في عهد الوليد، وعمر بن عبد العزيز، فقد قامت في عهد يزيد فتنة جامحة قادها يزيد بن المهلب، وهو الذي ولاه سليمان على المشرق، وافتتح طبرستان⁽⁸⁾.

(1) التاريخ الإسلامي العام، ص 305.

(2) المرجع نفسه، ص 305.

(3) تاريخ الطبري، ج 6، ص 555.

(4) المصدر نفسه، ج 6، ص 555.

(5) المصدر نفسه، ج 6، ص 556.

(6) المصدر نفسه، ج 6، ص 556.

(7) المصدر نفسه، ج 6، ص 556.

(8) التاريخ الإسلامي العام، ص 320، 321.

فلما جاء عمر بن عبدالعزيز، دعا يزيد يسأله عن الأموال التي حباها، فعجز يزيد عن أدائها فأمر بسجنه⁽¹⁾، وبقي في سجنه حتى بلغه مرض عمر، وأخذ يزيد يخطط للهرب من السجن خوفاً من يزيد بن عبد الملك، لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عقيل⁽²⁾.

خرج يزيد بن المهلب من السجن، فضم إليه خاصته من أهل الكوفة، فبعث إليه يزيد بن عبد الملك جيشاً عظيماً يقوده أخاه مسلمة، وابن أخيه العباس بن الوليد، فالتقى الجيشان، وقتل يزيد بن المهلب في المعركة، وهزم جيشه⁽³⁾.

وفي عهد يزيد بن عبد الملك ضعفت هيبة الخلافة وذلك نتيجة لسوء أخلاق يزيد، وما اشتهر به من اللهو والخلاعة كذلك في عهده تجددت العصبية القبلية خاصة بين القبائل اليمنية والمضرية⁽⁴⁾، وكانت وفاته سنة خمس ومائة ببلقاء من أرض دمشق⁽⁵⁾.

اعتمدت سياسة بني أمية على العصبية العربية، فأدى ذلك إلى تحرك الموالي من الفرس والترك، فاستفحل أمرهم وخاصة في عهد هشام بن عبد الملك⁽⁶⁾. تبنى الموالي الدعوة العلوية، فأخذوا يدعون إلى رد الملك إلى آل علي، وأخذوا يذكرون المآسي التي لقيها آل البيت على أيدي الأمويين⁽⁷⁾. وفي عهد هشام بن عبد الملك تجددت العصبية القبلية خاصة بين اليمنية والمضرية⁽⁸⁾، فأخذ هشام يسعى جاهداً إلى حل النزاع بين هاتين القبيلتين.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص557.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص564.

(3) التاريخ الإسلامي العام، ص321.

(4) المرجع نفسه، ص321.

(5) المرجع نفسه، ص321.

(6) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص175.

(7) المرجع نفسه، ص175.

(8) المرجع نفسه، ص174.

يمتاز عصر هشام بالتوسع في الفتوح⁽¹⁾، فبالرغم من الفتن والنزاعات التي حدثت في عهده لكنه كان يسعى إلى توسيع حدود الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً. استفحل أمر الموالي عندما قام هشام بن عبد الملك بفرض ضريبة خراجية عليهم، فتزعّم الموالي الحارث بن سريج التميمي وزعم أنه المهدي الذي بعثه الله لتخليص المطهدين، فجمع حوله عدداً كبيراً من الموالي الناقمين، وقد استطاع نصر بن سيار أن يتصدى لهم، وكان في ذلك الوقت والياً على خراسان⁽²⁾.

ومن الثورات التي ظهرت في عهد هشام بن عبد الملك ثورة زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب وكان من الطامعين بالخلافة، فالتفّ حوله الشيعة وشجعوه على الخروج على بني أمية، فتصدى لهم يوسف بن عمر أمير الكوفة ولم يبق معه من أتباعه سوى مائتي رجل فقاتل معهم حتى قُتل قرب الكوفة سنة (122 هـ) ثنتين وعشرين ومائة هجرية⁽³⁾.

وفي عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك انقسمت الأسرة المالكة على نفسها وذلك نتيجة لسوء سياسة الوليد في تعامله مع أفراد أسرته، وفي عهده أسرعت الدولة ناحية الانحلال وعرف بالجور والظلم بين الرعية⁽⁴⁾.

ومن سوء سياسته أنه عقد بولاية العهد لابنيه الحكم وعثمان من بعده وهما ما زالا صغيرين، فتصدى له يزيد بن الوليد مما أدى إلى سخط بني أمية عليه⁽⁵⁾. تولى مروان بن محمد الخلافة والفوضى تعصف في الدولة الأموية ومن هذه المصاعب، اشتعال نار العصبية بين اليمينية والمضرية هذا بالإضافة إلى الثورات التي قام بها اليمينية ضد الحكم الأموي⁽⁶⁾.

(1) التاريخ الإسلامي العام، ص 323.

(2) المرجع نفسه، ص 324.

(3) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص 178.

(4) تاريخ الطبري، ج 7، ص 218.

(5) المصدر نفسه، ج 7، ص 218.

(6) التاريخ الإسلامي العام، ص 327.

ثار الخوارج في الكوفة بقيادة الضحّاك بن قيس سنة (127هـ) سبع وعشرين ومائة هجرية، فتمكن مروان ابن الحكم من هزيمة جيش الضحّاك وقتله في آخر سنة (129هـ) تسع وعشرين ومائة هجرية⁽¹⁾، هذا بالإضافة إلى الحروب التي دارت بين الأحزاب السياسية كالخوارج والعلويين⁽²⁾.

وفي سنة سبع وعشرين ومائة خرج سليمان بن هشام بن عبد الملك لقتال مروان بن محمد⁽³⁾، واجتمع إلى سليمان من أهل الشام نحو سبعين ألفاً⁽⁴⁾، ونزل الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز سليمان ومن معه، وبلغ عدد قتلاهم يومئذٍ نيف على ثلاثين ألف⁽⁵⁾.

بدأت طلائع الدولة العباسية تظهر، منذ أن بدأ أبو مسلم الخراساني ينشر الدعوة للعباسيين في خراسان سنة (129هـ) تسع وعشرين ومائة هجرية، أي قبل سقوط الدولة الأموية بثلاث سنوات⁽⁶⁾.

لقد أضعفت الفتن والثورات الدولة الأموية، ومن ذلك وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية في خراسان⁽⁷⁾، فمهما كانت قوة الدولة الأموية فلا بدّ وأن تتصدع قوتها نتيجة للفتن والثورات المتتالية، قال الحارث بن عبدالله بن الحشرج بن المغيرة ابن الورد الجعدي يصف الحالة التي آلت إليها الدولة الأموية⁽⁸⁾:

أبيتُ أرعى النجومَ مرتفعاً	إذا استقلتَ تجري أوائلها
من فتنة أصبحت مُجَالَّةً	قد عمّ أهل الصلّة شاملها
من بخراسان والعراق ومن	بالشام كلُّ شجاء شاغلها

(1) عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ص 202.

(2) التاريخ الإسلامي العام، ص 327.

(3) تاريخ الطبري، ج 7، ص 323.

(4) المصدر نفسه، ج 7، ص 324.

(5) المصدر نفسه، ج 7، ص 325.

(6) المصدر نفسه، ج 7، ص 353-355.

(7) المصدر نفسه، ج 7، ص 285.

(8) المصدر نفسه، ج 7، ص 286.

كانت الدعوة إلى انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين سرية في بادئ الأمر، ثم نهض محمد بن علي العباسي بالدعوة نهضة قوية، وعين الدعاة والنقباء ببث الدعوة سرّاً، وانطلقت الدعوة من بلدة الحميمة التي كانت مركزاً للعباسيين.

لبس أبو مسلم السواد هو وسليمان بن كثير وجماعته، وعقد للواء والراية التي بعث بها الإمام، والتي تدعو السحاب على رمح⁽¹⁾، طوله ثلاثة عشر ذراعاً، ويدعى اللواء بالظل، والراية بالسحابة.

أرسل أبو العباس نحو مروان بن محمد عمه عبد الله بن علي على رأس جيش بلغ عدده ثلاثين ألفاً، التقى الجيشان على نهر الزاب الأعلى قرب الموصل، هُزم مروان بن محمد وفرّ إلى مصر، فلاحق به عبد الله بن علي وقتله⁽²⁾. وفي فرار مروان بن محمد، قال رجلٌ من ولد سعيد بن العاص يُعير مروان⁽³⁾:

لَجَّ الْفَرَارُ بِمُرْوَانَ فَقُلْتُ لَهُ عَادَ الظُّلُومُ ظُلَيْماً هَمَّةُ الْهَرَبِ
أَيْنَ الْفَرَارِ وَتَرَكْتُ الْمُلْكَ إِذْ ذَهَبْتَ عَنْكَ الْهُوَيْنَى فَلَا دِينَ وَلَا حَسَبُ
فِرَاشَةُ الْحِلْمِ، فِرْعَوْنُ الْعِقَابِ وَإِنْ تُطْلَبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبُ
قُتِلَ مُرْوَانُ يَوْمَ الْأَحَدِ لثَلَاثَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَانِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ خَمْسَ سَنِينَ وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ؟، وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ⁽⁴⁾.

وهكذا انتهى حكم الأمويين بمقتل مروان بن محمد سنة (132هـ) ثنتين وثلاثين ومائة هجرية، لقد كان لانهايار الدولة الأموية مجموعة من الأسباب التي أدت إلى سقوطها.

وقد صوّر المسعودي الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية حيث قال:

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص353 وما بعدها، سنة 129.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص432 وما بعدها سنة 132 هـ.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص434 سنة 132هـ.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص442 سنة 132هـ.

"سُئِلَ بعض شيوخ بني أمية ومُحَصِّلِيهَا⁽¹⁾، عقب زوال الملك عنهم إلى بني العباس: ما كان سبب زوال ملككم؟ قال: إِنَّا شَغَلْنَا بِلذَاتِنَا عَنْ تَفَقُّدِ مَا كَانَ تَفَقُّدُهُ يُلْزِمُنَا، فَظَلَمْنَا رَعِيَّتَنَا، فَيُئْسُوا مِنْ إِنْصَافِنَا وَتَمَنَّوْا الرَّاحَةَ مِنَّا وَتَحَوَّلَ عَلَى أَهْلِ خِرَاجِنَا، فَتَخَلَّوْا عَنَّا، وَخَرَبَتْ ضِيَاعُنَا فَخَلَّتْ بِيُوتُ أَمْوَالِنَا، وَوَثَقْنَا بوزَارِنَا فَأَثَرُوا مِرَافِقَهُمْ عَلَى مَنَافِعِنَا، وَأَمْضُوا أَمْوَرًا دُونَنَا وَأَخَفُوا عِلْمَهَا عَنَّا، وَتَأَخَّرَ عَطَاءُ جُنْدِنَا فَزَالَتْ طَاعَتُهُمْ لَنَا، وَاسْتَدْعَاهُمْ أَعَادِينَا فَتَظَاهَرُوا مَعَهُمْ عَلَى حَرْبِنَا، وَطَلَبْنَا أَعْدَاؤَنَا فَحَجَزْنَا عَنْهُمْ لِقَلَّةِ أَنْصَارِنَا، وَكَانَ اسْتِتَارُ الْأَخْبَارِ عَنَّا مِنْ أَوْكَدِ أَسْبَابِ زَوَالِ مَلِكُنَا"⁽²⁾.

بالإضافة إلى ذلك، فقد بُني حكم الأمويين على الضغط والقهر والاستبداد، والعنصرية، وكذلك التعصب للعرب، مما أدى إلى اشتداد أمر الموالي، ورفضهم لهذا الظلم لعدم مساواتهم في الحقوق والواجبات مع العرب.

2.2 الحياة الاجتماعية في عصر بني أمية:

تميزت الحياة الاجتماعية في العصر الأموي بالتطور الملحوظ، وذلك نتيجة لمجموعة من المؤثرات، من أبرزها: مغنم الفتوح التي أدت إلى ثراء أبناء العصر الأموي بالإضافة إلى الموالي الذين كانوا يحملون ثقافات جديدة مختلفة كان لها أبرز الأثر في تطور الحياة الاجتماعية في هذا العصر⁽³⁾.

كان المجتمع الأموي يتكون من أربع طبقات متميزة⁽⁴⁾، من حيث وضعها الاجتماعي والاقتصادي:

1- طبقة الأمراء من البيت الحاكم والاقطاعيين والأثرياء من العرب.

(1) مُحَصِّلِيهَا: العارفين بأمور الدولة.

(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، ج3، ص241.

(3) العصر الأموي، أدبه وحضارته، عزيزة فوال بابتي، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، ط1، 1984، ص68.

(4) في الأدب العباسي، عز الدين اسماعيل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975، ص15.

2- طبقة متوسطة ميسورة الحال، تتكون من العاملين بالجيش والمشتغلين بالتجارة.

3- طبقة الموالي، واستطاعت هذه الطبقة مع مرور الزمن تحسين وضعها.

4- طبقة العبيد والإماء.

كانت التقاليد العربية أرسخ في نفوس العرب من أية تقاليد أخرى، فعلى الرغم من اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى كالفرس والروم نتيجة الفتوحات الإسلامية إلا أن العرب حافظوا على تقاليدهم على الرغم من تمدنهم وسكنهم في القصور، فكان الذوق العربي واضحاً كل الوضوح في العهد الأموي.

يُروى أن الحجاج بن يوسف الثقفي أولم في اختتان بعض ولده، فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس، وقال: أخبرني بأعظم صنيع شهدته، فقال له: نعم، أيها الأمير، شهدتُ بعض مرازية كسرى، وقد صنع لأهل فارس صنيعاً، أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة الفضة - أربعاً كل واحد - وتحمله أربع وصائف، ويجلس عليه أربعة من الناس، فإذا طعموا أتبعوا أربعتهم المائدة بصحائفها، ووصائفها، فقال الحجاج: يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس⁽¹⁾.
لذلك فقد كره الحجاج ذلك واستعظمه، ودل ذلك على ذوقه العربي، فنفر إلى عادات قومه⁽²⁾.

كان العنصر العربي هو العنصر الذي كوّن الدولة الأموية، وقامت الدولة الأموية، منذ أيام معاوية على فكرة العصبية العربية⁽³⁾.
معتمدة على العنصر العربي ولم تمنح الموالي المساواة في العطاء أو النظرة الاجتماعية⁽⁴⁾.

(1) ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1972، ج1، ص101-102.

(2) المرجع نفسه، 102/1.

(3) الحضارة الإسلامية، عطية القوصي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1985، ص82.

(4) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، 1991م، ص87.

كان العرب في العصر الأموي أصحاب الصدارة والنفوذ، فاستأثروا بالمناصب الهامة، سواء أكانت سياسية أم دينية، فعاملوا الموالي معاملة سيئة، فلم يسمحوا لهم بتولي أية مناصب حساسة في الدولة وإنما سمحوا لهم بالأعمال التي كانوا يأنفون منها، كالزراعة، والحرف اليدوية، والصناعة⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى الحرف اليدوية التي كان يمتنها الموالي كانوا يقومون بأعمال أرقى من ذلك، كالأعمال الكتابية، والجباية، ولم يكن لهم نصيب بديوان العطاء أو الغنائم والفيء⁽²⁾.

لم يكن للمولى الحق في الزواج من عربية حرة، بل يتزوج من نساء الموالي⁽³⁾، وهكذا فقد حُرِم المولى من أن يمارس أبسط حقوقه في العصر الأموي، وكان ينظر إليه على أنه خادم عليه الطاعة دون أن يكون له أدنى الحق في أن يبوح برأيه.

تعصب الأمويون للعرب، وكانون ينظرون إلى الموالي نظرة السيد للمسود⁽⁴⁾، وكان أكثر هؤلاء الموالي من أسرى العرب في الحروب ومغانمها، فعاشوا مع العرب يقومون على خدمتهم، لذلك نظر العرب إلى هؤلاء نظرة مزرية⁽⁵⁾، وكثيراً منهم حملوا لواء العلم والدين والثقافة الإسلامية⁽⁶⁾، وكان هؤلاء الموالي يشعرون بسيادة العرب عليهم⁽⁷⁾، لذلك كان من الطبيعي أن يثور هؤلاء الموالي على حكم الأمويين طلباً للمساواة.

(1) حياة الشعر في الكوفة، ص 171.

(2) في الشعر العباسي (الرؤية والفن)، عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، 1994، ص 66.

(3) المرجع نفسه، ص 67.

(4) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 431.

(5) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ج 5، ص 113.

(6) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص 82.

(7) التطور والتجديد في الشعر الأموي، ج 5، ص 113.

تمتع أهل الذمة، وهم اليهود والنصارى، بالحرية الدينية، وقد عامل العرب من ظل من الفرس معاملة حسنة⁽¹⁾، فكان لتسامح العرب دوراً في اعتناق بعض أهل الذمة والفرس الدين الإسلامي الحنيف.

وتطورت الحياة الاجتماعية في مختلف البلاد الإسلامية لما شاع فيها من مظاهر الترف واللهو والبذخ، فأقبل الشباب على الاستمتاع بالحياة الجديدة، فسكنوا القصور، وأخذوا يأكلون في أوان من الذهب والفضة⁽²⁾.

ولم تكن بعض الأمصار الإسلامية مدناً عربية خالصة خاصة الكوفة، فإلى جانب العنصر العربي كانت هناك عناصر أجنبية أخرى بعضها فارسي، وبعضها سرياني، وبعضها نبطي⁽³⁾.

ومن أبرز الظواهر الاجتماعية في حياة الكوفة أنها كانت منزل الارستقراطية العربية، أو الاستقراطية الدينية التي كان همها الوحيد هو الاتصال بالنبي أيام حياته⁽⁴⁾، وإلى جانب هذه الاستقراطية الدينية كانت هناك الاستقراطية الدنيوية والتي تعتمد على ما يرثه الأبناء من الآباء من الشرف والتلبد⁽⁵⁾.

إلى جانب هذه الطبقة الارستقراطية التي كانت في الكوفة كان هناك طبقة الأجانب الذين لم يعتنقوا الإسلام وإنما بقوا متمسكين بدياناتهم القديمة⁽⁶⁾.

وكان هناك الطبقة الشعبية من العرب والتي كانت تتألف من أفراد القبائل العربية بالإضافة إلى الجند المقاتلين الذين اتخذوا من الكوفة معسكراً لهم⁽⁷⁾.

وكان لهذه الطبقة العامة التي تتألف من أفراد القبائل النازلين إلى الكوفة والجند المقاتلين أن اتاحت لهم فرص الثراء الواسع، فقد كانت الكوفة معسكراً تتدفق

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 432.

(2) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص 69.

(3) حياة الشعر في الكوفة، ص 157.

(4) المرجع نفسه، ص 158.

(5) المرجع نفسه، ص 159.

(6) المرجع نفسه، ص 174.

(7) المرجع نفسه، ص 174.

منه الجيوش الإسلامية للغزو والجهاد، في الأقاليم التي تُعدُّ من أغنى أقاليم العالم ثراء وخصباً⁽¹⁾.

غلب طابع الحياة الجاهلية على كلٍّ من الكوفة والبصرة فلم ينسَ العرب حياتهم القديمة، فكانت القبائل التي نزلت هاتين المدينتين ما زالت محافظة على حياتها القديمة فلم يتم فيها اندماج العرب، فكانت كلُّ قبيلة تنزل على حدة، فكانت تميم مثلاً تنزل في جانب، وهكذا بالنسبة إلى باقي القبائل العربية الأخرى⁽²⁾.

كانت البصرة دار هجرة ومدينة محصنة، فلم تكن مجرد بلدة يأوي إليها حشد من القوم، وملجأ تجتمع فيه غنائم هؤلاء، فكانت مركزاً هاماً لتبادل السلع بين البدو والقرويين، ومركزاً هاماً من المراكز التجارية وبلداً زراعياً من الطراز الرفيع، ومقرّاً تنبعث منه أصول الصناعات وفنونها⁽³⁾.

فقد كانت البصرة المصدر الرئيس للفنون الصناعية ولذلك ظلت طويلاً المركز الصناعي لبناء السفن في منطقة الخليج⁽⁴⁾.

شهد المجتمع الأموي تطوراً ملحوظاً في مختلف المجالات وخاصة في الناحية الاجتماعية، ولعلّ ذلك يعود إلى اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى كالفرس والروم وذلك نتيجة لاتساع حركة الفتوح الإسلامية.

أخذ الأمويون نظام مجالسهم عن الفرس، وكانت هذه المجالس في عهد أردشير بن بابك، فقيل إنه كان أول من رتب الندماء، فجعلهم في ثلاث طبقات⁽⁵⁾.

(1) حياة الشعر في الكوفة، ص 175.

(2) التنطور والتجديد في الشعر الأموي، ج 5، ص 109.

(3) خطط البصرة وبغداد، ل. ماسنيون، ترجمة إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1981، ص 30، 31.

(4) المصدر نفسه، ص 32.

(5) كتاب التاج في أخلاق الملوك، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق

عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، ص 110-111.

فكانت الأساورة⁽¹⁾، وأبناء الملوك في الطبقة الأولى، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، وكان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع، وهي بطانة الملك وندماؤه من أهل الشرف والعلم.

ثم الطبقة الثالثة، وكان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة، غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضيعه، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر، ولا مؤوف (مصاب بأفة)، ولا مرمي بأبنة (عيب) ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام، ولو كان يعلم الغيب مثلاً.

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحذاقة، بالموسيقىات والأغاني.

ويقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك وبطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

ويقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب الونج والمعازف والطنابير، وكان لا يزمر الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من المغنين، وإن أمره الملك بذلك راجعه واحتجّ عليه⁽²⁾.

وفي العصر الأموي حلّ الغناء محل الشعر، فكان معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد لا يظهرون للندماء، بل كان بينهم حجاب، حتى لا يطلع الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب⁽³⁾.

وأما بقية الخلفاء من بني أمية فكانوا لا يتحاشون أن يتجرّدوا ويحظروا عراة بحضرة الندماء⁽⁴⁾.

(1) الأسوار: جمعها أساورة وهم الفرسان.

(2) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص 112-113.

(3) المصدر نفسه، ص 118.

(4) المصدر نفسه، ص 118.

وقد أغرم العرب في العصر الأموي بفني الغناء والموسيقا وذلك بسبب الأموال التي تدفقت عليهم بعد الفتوحات فانطلق العرب إلى حياة الترف، فتأنقوا في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم، وتطوروا بتطور الحضارة والترف⁽¹⁾.

يُنسب إلى يزيد بن معاوية أنه أول من أدخل الملاهي وترتب على ذلك ظهور السّمار والندماء والظرفاء، وبخاصة السميريات، وهنّ القيان البارعات في فنون الغواية من غناء ورقص⁽²⁾.

دخل الغناء والموسيقى إلى الحجاز عن طريق المغنيات والجواري من الموالي⁽³⁾، ونتيجة لحياة الفراغ والترف فقد انصرف الناس إلى الاستماع إلى الغناء واقتناء الجواري والقيان لملء فراغهم⁽⁴⁾، وقد لعب الغناء دوراً في المجتمع الحجازي، وكان للموالي والجواري والمغنيات الأثر الواضح في تطور فن الغناء في هذا المجتمع⁽⁵⁾.

تطور فن الغناء في الشام كما هو الحال في الحجاز ويعود السبب في ذلك إلى اهتمام بعض الخلفاء الأمويين به وخاصة يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد، كما أن كثيراً من الجواري والمغنيين تردّدوا على الشام فأدّى ذلك إلى رقي فن الغناء في الشام⁽⁶⁾.

وفي عهد الوليد الثاني كُلفَ الناس بالموسيقا والغناء وكانوا يسرفون في ذلك كل الإسراف، وينفقون ببذخ على المغنيين المشهورين والموسيقيين الذين كان الخليفة يدعوهم إلى دمشق من أقاصي البلاد، وليس أدلّ على كلف الأمويين بالمغنيين

(1) تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)،

السيد عبدالعزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ص 689.

(2) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، عبد المنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1972، ص 137.

(3) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص 69.

(4) تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، ص 689.

(5) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص 70.

(6) المرجع نفسه، ص 72.

والإنفاق عليهم عن سعة مما ذكره الطبري، إذ قال: (حج يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك، فاشترى حُبابة - وكان اسمها العالية- بأربعة آلاف دينار، فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد فرد يزيد حُبابة فاشتراها رجل من أهل مصر، فلما ولى يزيد الخلافة قالت له زوجته سعدة: يا أمير المؤمنين هل بقي في الدنيا شيء تتمناه بعد؟ قال: نعم حُبابة فأرسلت سعدة رجلاً فاشتراها بأربعة آلاف دينار، فأراحتها حتى ذهب عنها كلال السفر، ثم أتت بها يزيد فأجلستُها من وراء الستر وقالت: يا أمير المؤمنين! أبقى شيء من الدنيا تتمناه؟ قال: ألم تسأليني عن هذا مرة فاعلمتك فرفعت الستر، وقالت: هذه حُبابة، فحظيت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها⁽¹⁾، وقد أثر تدفق طبقات المغنّين المحترفين على دمشق في أخلاق الناس، وفي حياة المجتمع حتى دبّ الترف في الدولة.

ومن فضل الخلفاء على المغنّين أن سليمان بن عبد الملك لما حجّ سبق بين المغنّين بدرّة، أي كيس فيه ألوف من الدراهم فجاء ابن سريج وقد أغلق الباب، فلما يأذن له الحاجب، فأمسك حتى سكتوا وغنى:

يَسْرِي هَمَّتِي وَهَمُّ الْمَرْءِ بَسْرِي

فأمر سليمان بدفع البدره إليه⁽²⁾.

وكان المغنون كثيراً ما يحصلون على جوائز وأعطيات من الخلفاء، فقد أبطأت جائزة نصيب عند عبدالعزيز بن مروان فقال⁽³⁾:

وإن وراء ظهري يا بن ليلي	أناساً ينظرون متى أووبُ
أمامة منهم ولمأقيها	غداة البين في أثري غروبُ
تركت بلادها ونأيت عنها	فأشبه ما رأيت بها السلوبُ
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا	نثيبك لكن الله المثيبُ

فعجل جائزته وسرحه.

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص23 سنة 105 هـ.

(2) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1994م، ح1، ص253.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص268.

كان الناسُ في العصر الأموي مولعين بالغناء حتى في مواسم الحج، فيذكر أن ابن سريج غنى في الحج فأخذ الحاجُّ يركب بعضهم بعضاً، حتى جاء انسانٌ من آخر القطرات فقال: يا هذا قد قطعت على الحاج وحبستهم، والوقتُ قد ضاق فاتق الله وقم عنهم، فقام وسار الناسُ⁽¹⁾.

ومن أشهر المُغَنِّين في هذا العصر "طويس" مولى بني مخزوم، وكان لا يضرب بالعود، وإنما كان ينقر بالدف⁽²⁾، وكذلك أبو مروان الغريض الذي اشتهر بفن الغناء في هذا العصر، وقد أبدع في الغناء حتى توهم الناس أنه يتلقى غناؤه عن الجن⁽³⁾.

ارتقى فن الغناء في هذا العصر عن طريق الأسرى الذين حملوا معهم موسيقاهم وفنونهم الغنائية⁽⁴⁾.

كان أكثر المُغَنِّين والقيان في هذا العصر من غير العرب⁽⁵⁾، استمتع معاوية ذات ليلة على ما عند يزيد من الغناء فاعجبه فلما أصبح قال ليزيد: من كان ملهيك البارحة؟ فقال له يزيد: ذاك سائب خاثر، فقال معاوية: فاكثر له في العطاء⁽⁶⁾.

ومن أشهر الآلات الموسيقية التي استعملها المغنون والموسيقيون في ذلك العصر: (الصنج)، والطنبور والطنطنة، والمزمار⁽⁷⁾.

وكما كان لخلفاء بني أمية عاداتهم الخاصة بهم في الاستماع إلى المُغَنِّين والندماء، كان لهم أيضاً عاداتهم وطريقتهم بالنسبة للزي.

(1) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 1، ص 253.

(2) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 435.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 435.

(4) تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، ص 689.

(5) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 436.

(6) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص 73.

(7) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 437.

فكان الحجاج بن يوسف إذا وضع على رأسه قلنسوة طويلة عالية لم يتجرأ أحد من الرعية أن يدخل إلى مجلسه وعلى رأسه مثلها. وكذلك الحال بالنسبة إلى عبدالملك بن مروان، الذي كان إذا لبس الخفّ الأصفر، لم يلبس أحد من الرعية خفّاً أصفر حتى ينزعه. وكان أبو أحيحة؛ سعيد بن العاص إذا اعتّم لم يعتّم أحدٌ بعمّة ما دامت على رأسه⁽¹⁾.

اقتبس خلفاء الدولة الأموية الطراز من دولتي الروم والفرس، وكان في قصور الخلفاء دور تسمى دور الطراز الخاصة تمييزاً لها عن دور الطراز العامة التي تتولى صناعة ثياب الرعية⁽²⁾.

وكان من فخامة السلطان وأبهة الملك أن ترسم أسماء الملوك أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسم من الحرير أو الديباج أو الأبريسم⁽³⁾. وقد كان للخلفاء الأثر الواضح في تطوير صناعة الزي، ومن هؤلاء الخليفة سليمان بن عبدالملك الذي أدخل زي الوشي، وهي الثياب الحريرية المثقلة بالذهب، وأما هشام بن عبدالملك فقد أدخل زيّ الخز أي القماش الناعم⁽⁴⁾.

كان الزي الرسمي في بادئ الأمر بسيطاً ساذجاً ولكنه تطور تطوراً ملحوظاً في العصر الأموي وعلى يد الخلفاء أنفسهم، فدخلته الألوان والزخارف وأصبح يُصنَعُ من الحرير المذهب، وتميّز في كلّ مناسبة، كذلك كثر عدده إلى حد أن الخليفة هشام بن عبد الملك حمل ملابسه الداخلية فقط على ستمائة جمل⁽⁵⁾. ولا شك أن مثل هذه الروايات تحمل كثيراً من المبالغة ولكنها تُعطي دلالة ما على صورة الترف والبذخ في قصور الخلفاء.

(1) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص 133.

(2) تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، ص 181.

(3) المرجع نفسه، ص 686.

(4) تاريخ الحضارة الإسلامية (في العصور الوسطى)، ص 114.

(5) المرجع نفسه، ص 119.

شاع في عصر سليمان بن عبد الملك نوع من الترف والتأنق في الزي بتوجيه من الخليفة، ونرى أن سليمان بن عبد الملك كان شديد الولع باللباس الموشى، لذلك فقد فرض على أهل بيته ورجاله وخدمه ارتداء هذا النوع من اللباس وكان هذا النسيج الموشى الذي تدخل في لحمته وسداه خيوط من الذهب يُعرف أيضاً بالمقصَّب، وفي عهده لبس الناس جميعاً الموشى جباباً وأردية وسراويل وعمائم وقلانس⁽¹⁾.

وكان الملوك يختلفون في كيفية ارتداء الملابس؛ فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة، فإذا نزعه لم يعد إلى لبسه، ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم يلبسه بعد⁽²⁾.

كان معاوية وعبد الملك وسليمان بن عبدالعزيز وهشام ومروان بن محمد يلبسون القميص مراراً ويغسلون له غسلاً⁽³⁾، فأما يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ابن الوليد كانوا لا يلبسون القميص إلا لبسة واحدة، إلا أن يكون الثوب نادراً مُعجباً غريباً⁽⁴⁾.

كان رداء سليمان بن عبد الملك إذا جلس أو ارتقى المنبر من الوشي⁽⁵⁾، وكان لباس الناس يتكون من قباء طويل مشقوق من الوسط وملتد إلى العقب ومربوط من الوسط بحزام من الجلد، أما لباس الرأس فهو العمامة، وكان حجمها يختلف تبعاً للسن والمركز العلمي، وكانوا يلقون الطيلسان فوق العمامة⁽⁶⁾، ولذلك فقد كانت الأردية تختلف وفقاً لثراء الناس ومركزهم الاجتماعي، فمن الطبيعي أن يختلف لباس الجند عن لباس العامة، وكذلك يختلف لباس الخاصة عن لباس الرعية.

(1) تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، ص 687.

(2) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص 226.

(3) المصدر نفسه، ص 227.

(4) المصدر نفسه، ص 227.

(5) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 444.

(6) المرجع نفسه، ج 1، ص 243.

أمّا بالنسبة إلى ثياب المرأة فكانت تتكون من سروال فضفاض وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق⁽¹⁾.

ونتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى أن تعددت أصناف الطعام لديهم وتعددت ألوانها واستحدثوا فيها طرقاً غير طرقهم، ومن ألوان الطعام "القديد"، والشواء والبسيسة وغيرها من أصناف الطعام الأخرى⁽²⁾.

وفي عهد الأمويين استعمل العرب، والملاحق وكانت الملاعق تصنع من الخشب⁽³⁾، وقد أهتم ولاة الأمويين بالطعام حتى أن أحد ولايتهم يرى أن مال ولايته - خرسان - لا يكفي لمطبخه⁽⁴⁾.

وكان لتناول الطعام بين أيدي الخلفاء آدابٌ معينة، فإذا وضع الطعام على المائدة أمام الخليفة فينبغي للجالسين معه على الطعام أن يتأدّبوا في تناول الطعام وإن يضبطوا أنفسهم؛ وإن اشتهوا ذلك الطعام، ومن ذلك أن معاوية بن أبي سفيان حين وضع دجاجة بين يدي الحسن عليه السلام ففكّها، نظر إليه معاوية فقال: هل كان بينك وبينها عداوة؟ فقال له الحسن: هل كان بينك وبين أمها قرابة⁽⁵⁾؟

فمعاوية لم يقل ما قال لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة بل غضب معاوية، لأنّ الحسن لم يضبط نفسه في تناول الطعام.

وكان الخلفاء يعتبرون أنّ الأكل معهم من قبل العامة أو حتّى المقربين إليهم للشرف؛ لا للشبع فينبغي ألاّ يبسط الشخص في الطعام ويتناوله بشره. ونرى أنّ الخلفاء الأمويين أولوا الطعام عنايةً خاصةً، وكانوا يهتمون باختيار أصناف الطعام والتفنن في اختيار ألوانه.

فقد اشتهر سليمان بن عبد الملك بحبه للطعام وتفننه في اختيار ألوانه، وعُرف بينهم، فقليل إنّ الطباخ كان يأتيه بالدجاجة فلا يصبر حتى تبرّد فيأخذها بكمه

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص244.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص442.

(3) المرجع نفسه، ص442.

(4) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص132.

(5) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص101.

فيفصلها عن السفافيد⁽¹⁾.

وكان معاوية بن أبي سفيان يكثر من الطعام حتى قيل إنه كان يأكل في كل يوم خمس أكلات⁽²⁾.

وجد عند المسلمين في العصر الأموي أنواعاً متعددة من التسلية منها الانغماس في الغناء والرقص الذي ابتدأ منذ عهد الأمويين⁽³⁾، بالإضافة إلى ذلك سباق الخيل، ويعدُّ هشام بن عبد الملك أول الخلفاء الأمويين الذي أنشأ حلبه لسباق الخيل⁽⁴⁾. وقد شجع الخلفاء الأمويون سباق الخيل وكذلك كان لهم الدور البارز في الاعتناء بالخيل واقتنائها، فقد كان الوليد بن يزيد مغرمًا بالخيل، وكان له فرس يسمى السندي⁽⁵⁾، وقد اجتمع للوليد بن يزيد في الحلبه ألف قارح⁽⁶⁾.

كان سباق الخيل أهم أنواع التسلية في العصر الأموي، ولم يقتصر سباق الخيل على طبقة الخلفاء والأمراء، وإنما كان معروفاً على مستوى الطبقات جميعها⁽⁷⁾.

وكان في العصر الأموي مراتب للخيل في الحلبه، فالخيل إذا جرت فأولها السابق، ثم المصلّى، ثم الثالث والرابع وكذلك إلى التاسع، والعاشر السكّيت، وما جاء بعد ذلك لم يعتد به، والفسكل الذي يجيء في الحلبه آخر الخيل⁽⁸⁾. وبالإضافة إلى اهتمام الأمويين بسباق الخيل فقد شغلوا بالصيد ولم يكن الصيد في ذلك العصر للتسلية فحسب وإنما كان له أهداف أخرى منها تمرين

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 442.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 442.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 434.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص 447.

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، ص 230.

(6) المصدر نفسه، ج 3، ص 231.

(7) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ص 434.

(8) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، ص 230.

العساكر على الركض والكر وتعويدهم الفروسية⁽¹⁾.
وكان يزيد بن معاوية من أكثر الأمويين حباً للصيد وكان يلبس كلاب الصيد
الأساور من الذهب، ويخصص لكل كلب عبداً يقوم على خدمته⁽²⁾.

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص446.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 447.

الفصل الثالث

دراسة موضوعية للشعر

1.3 الرثاء:

يأتي الرثاء في المرتبة الأولى من حيث الكم بين الأغراض الشعرية المختلفة في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى عدة أقسام: رثاء الخلفاء، رثاء آل البيت، رثاء الولاة والقادة ورثاء أصحاب المذاهب.

أ- رثاء الخلفاء:

كانت قصائد الرثاء تتصل بروح الشعب، وتدور على الألسنة وخاصةً عندما يُفجع الشعب في خليفة أو بطل من أبطاله، وممن رثي من الخلفاء الأمويين معاوية ابن أبي سفيان، فعندما مات خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر، وأكفان معاوية على يديه تلوح فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن معاوية كان عود العرب وجد العرب، قطع الله عزَّ وجلَّ به الفتنة، وملَّكهُ على العباد، وفتح به البلاد، ألا إنه قد مات فهذه أكفانه، فنحن مُدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده، فليحضر عند الأولى، فقال يزيد بن أبي سفيان ينقل خبر وفاة معاوية بن أبي سفيان وبموته كأن الأرض تميد، أو كادت تميد فالمصيبة عظيمة، والفقيد كان خليفةً عظيماً، أرسى أساس الدولة الأموية بحلمه وحكمته، وبكاء زوجته رَملة جعل قلوب الناس تنفطر حزناً وأسفاً على الفقيد يزيد بن أبي سفيان⁽¹⁾.

فأوجس القلبُ من قرطاسه فزعا	جاء البريدُ بقرطاسٍ يخبُ به
قالوا: الخليفةُ أمسى مُثبِتاً وجعا	قلنا: لك الويلُ ماذا في كتابكم؟
كأن أغبرَ من أركانها انقطعاً	فمادت الأرضُ أو كادت تميدُ بنا
توشكُ مقاليدُ تلك النفس أن تقعا	من لا تزلْ نفسُهُ توفى على شرف
وصوتُ رملةٍ ريعَ القلبُ فانصدعا	لما انتهينا وبابُ الدار مُنصفقٌ

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص328.

وعندما توفي الوليد بن عبد الملك رثاه جرير بدموع غزيرة وهو يستمطر عينيه أن تجودا عليه بالدمع حزناً على الخليفة، وما كان له أن يدّخر دموعه بعد اليوم، ولمن يدّخرها، وهل هناك أفضل من الخليفة كي يرثيه؟ وهل هناك من هو أولى بالحزن وبالدموع منه؟ ويتعجب جرير من هذه الأقدار النازلة والتي أودت بالخليفة، وأصبحت شمائله الحسنة، وأخلاقه الفاضلة تحت الصفائح والتراب، لكنها المنايا والأقدار إذا جاءت فلا يستطيع أحد أن يردّها أو أن يدفعها، يقول جرير⁽¹⁾:

يا عينُ جودي بدمعِ هَاجَةٍ الذَّكْرُ	فما لدمعِكَ بَعْدَ اليومِ مُدْخَرُ
إِنَّ الخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلُهُ	غِبْرَاءُ مُلْحَدَةٍ فِي جَوْلِهَا زَوَرُ
أَضْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ	مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعاً فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتُهُ	عَبْدُ العَزِيزِ وَلَا رُوحٌ وَلَا عَمْرُ

وعندما رثى عفيف القوافي عمر بن عبدالعزيز، وكأنه يستحضر الصورة التي طبعها الخليفة المرثي في أذهان الناس من العدل والرحمة حتى أعاد سيرة الراشدين، فيخاطب الشاعر الخليفة، وكأنه حيٌّ أمامه أن يجيبه، إن كان رأى النبيّ محمداً صلى الله عليه وسلم في الدار الآخرة وفي جنّات النعيم لأنه واثق أنّ الخليفة من الصالحين والأتقياء الأبرار، ولذا سيكون على ثقة من لقاء ربه لأنه ساس الناس بالعدل والرحمة وكانت يداؤه تفيضان جوداً وكرماً، يقول في رثائه⁽²⁾:

أَجْبَنِي أَبَا حَفْصٍ لَقِيتَ مُحَمَّدًا	عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا وَرَاكَا؟
فَأَنْتَ امْرُؤٌ كُلَّتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةً	شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سَوَاكَا

ويبدو أنّ المغنيات في العصر الأمويّ قد شاركن في الرثاء وأحسنن بعملية الفقد، فهذه سلامة القس تعبر عن حزنها وتوجعها وتفجعها على فقد يزيد بن عبد الملك الذي كان باراً بها وبالرعية، وبموته فقدت ليالي الأنس، ولحظات البهجة، وأيام الصفاء التي كانت تظهر في مجالسه، تقول⁽³⁾:

لَا تَلُمْنَا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِالْخَشْوِ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص497.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص566.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص23.

قَدْ لَعَمْرِي بَتُّ لَيْلِي كَأَخَى الدَّاءِ الْوَجِيعِ
 ثُمَّ بَاتَ الْهَمُّ مَنَى دُونَ مَنْ لِي مِنْ ضَجِيعِ
 لِلَّذِي جَلَّ بِنَا الْيَوْمِ مِمَّنْ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ
 كُلَّمَا أَبْصَرْتُ رَبْعَاءُ خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي
 قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدٍ كَا نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ

ب- رثاء آل البيت:

وكما كان للأمويين أنصار من الشعراء يمدحونهم ويرثونهم كذلك كان لآل البيت شعراء يمدحونهم ويرثونهم بحرارة وذلك نتيجة لما تعرض له آل البيت من قهر واضطهاد على يد خصومهم، وما فرض عليهم من صراع مع هؤلاء الخصوم، دفعاً للظلم عنهم، أو سعياً وراء استرداد حقوقهم⁽¹⁾.

فعندما قُتل الحسين بن علي وحز رأسه، بعثوا به إلى يزيد بن معاوية، فردَّ يزيد بن معاوية النساء والأطفال من آل البيت اللاتي كنَّ في صحبة الحسين من الشام إلى المدينة، خرجت عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من بني هاشم وهي تقول⁽²⁾:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتُم وأنتم آخر الأمم
 بعترتي وبأهلي بغد مُفْتَقِدِي منهم أسارى وقتلى ضُرِّجُوا بِدَمِ
 ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي

فهذا تفجع أليم، يهز القلوب، ويفجر الدموع فمقتل الحسين على هذه الصورة جريمة بشعة زلزلت مشاعر المسلمين، وجرحت عواطف الحب والوفاء لرسول الله عليه السلام في أبنائه لدى الأمة، فأخذت الشاعرة تسوق مشاعرها من خلال الغضب والتقريع لبني أمية.

ويثور شاعر آخر بموجة عارمة من الغضب الشديد على قتل الحسين من قبل الأمويين تدفعه نفسه الثائرة إلى أن يستمطر اللعنات على قتلة الحسين من أهل

(1) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي - القاهرة،

ط1، 1986، ص106.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص390.

السماء والأرض جميعاً من ملائكة وأنبياء، وكل قبيل من الناس، ويسجل عليهم
اللعنة والحرمان من الله في كل الكتب المقدسة السابقة من زبور داود، وتوراة
موسى وإنجيل عيسى، فيبشروهم بغضب الله والعذاب الشديد، والتكليف المروع⁽¹⁾:

أيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حُسَيْنًا أَبْشُرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّكْلِيفِ
كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمَلَكٍ وَقَبِيلٍ
قَدْ لَعْنَتْكُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَمُوسَى وَحَامِلِ الْإِنْجِيلِ

وفي رثاء مسكين بن عامر بن أنيف نرى موجة عارمة من الحزن والألم
لمقتل الحسين بن علي ونرى في شعره ثورة غاضبة، وفيه تحسّر وندم ونرى أن
الشاعر يتمنى لو أنهم ماتوا قبل أن يروا ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين.

وأكثر رثاء الشيعة للحسين يعبر عن الغضب النائر العنيف لأن مقتل الحسين
على تلك الصورة جريمة بشعة⁽²⁾، فهذا مسكين بن عامر يتولول على قتل الحسين
ويفزع لقتله على تلك الصورة فيقول⁽³⁾:

لَيْتَنَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِتْنَا أَوْ فَعَلْنَا مَا تَفْعَلُ الْأَحْرَارُ
فَعَلَّ قَوْمٌ تَقَاذِفَ الْخَيْرِ عَنْهُمْ لَمْ نُقَاتِلْ وَقَاتَلَ الْعِزَّارُ
وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَأُصِيبُوا وَنَفَانِي عَنْهُمْ شَنَارٌ وَعَارُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شِهَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ الْمَخْتَارُ

ونرى أن الحزن والألم يعتصر قلوب الشعراء لموت الحسين بن علي، ومن
هؤلاء المتوكل الليثي حيث يمزج في رثائه بين الحزن والسخط والثورة والتهديد
فيقول⁽⁴⁾:

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هُمْ يَنْعُونَهُ إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
مَا شُرْطَةُ الدَّجَالِ تَحْتَ لَوَائِهِ بِأَضَلِّ مَمَّنْ غَرَّهُ الْمَخْتَارُ

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص467.

(2) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ص110.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص70.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص70 وما بعدها.

إِنِّي لأرجو أن يُكذَّبَ وحيُّكم طعنٌ يشقُّ عصاكُم وحِصارُ
ويجيئكم قومٌ كأنَّ سُيوفَهُم بأكفَهُم تحتَ العجاجة نارُ
لا ينثنونَ إذا هُم لاقوكُم إلَّا وهامُ كُماتِكُم أعشارُ

المتوكِّل الليثي شاعرٌ مُجيد قوي العبارة حسن الأسلوب يُعبر عن معناه في غير تكلف أو مشقة، فالحديث عن الحسين وأصحابه حديث رقيق، والحديث عن الوعيد والتهديد فيه عنف وقسوة وإرهاب⁽¹⁾.

ويرى المتوكِّل الليثي أنَّ المختار ومن معه يدعون أنفسهم أنَّهم خرجوا من أجل الثأر للحسين فإنَّ هذه مهزلة، لأنَّهم هم أنفسهم الذين كانوا سبباً في مصرعه، بل هم الذين قتلوه، ثم يقومون في جنازته ليكون، فليأتينهم قوم شجعان يفلقون رؤوسهم بسيوفهم.

ويضيقُ ابنُ الحر بحياته في الكوفة بين أولئك المنافقين من أهلها فيخرج منها، مخلفاً وراءه ابن زياد ودولته، فيتوجه إلى كربلاء ينظر إلى مصارع القوم⁽²⁾، ويستغفر لهم هو وأصحابه فهو لا يتورع عن أن يصف ابن زياد بأنَّه أميرٌ غادر، وأنَّه قتل الحسين وأنصاره ظلماً، ويُعلن أنه لن يعطيه طاعة، وأنَّه يفكر في أن يسير لحربهم، ثمَّ يهددهم ويتوعددهم، ويتحدث عن الحسين وأصحابه، فيصرح بندمه وحسرتة على عدم نصرته.

ثمَّ يتحدَّث عن شجاعتهم وصبرهم في القتال، ونصرهم لابن بنت النبي، ويذكر أن كلَّ المسلمين المخلصين محزونون عليهم، فقال⁽³⁾:

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقَّ غادرٍ ألا كُنْتُ قاتِلَتَ الشهيد ابنَ فاطمة
فيا ندمي ألا أكونَ نصرتهُ ألا كلُّ نفسٍ لا تُسدِّد نادمه
وإنِّي لأنِّي لم أكن من حُماته لذو حسرةٍ ما إن تفارق لازمه
سقى الله أرواحَ الذين تآزروا على نصره سُقيا من الغيثِ دائمه
وقفتُ على أجدائِهِم ومجالِهِم فكاد الحشا ينفُضَ والعين ساجمه

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص 405.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 469 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 470.

لَعَمْرَى لَقَدْ كَانُوا مَصَالِيَتٍ فِي الْوَعَى
تَأَسَّوْا عَلَى نَصْرِ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمْ
أَنْقَلَبْتَهُمْ ظُلُمًا وَتَرْجُو وَدَادَنَا
فَكْفُوا وَإِلَّا ذُنُوبُكُمْ فِي كِتَابٍ
سِرَاعًا إِلَى الْهَيْجَا حُمَاً خَضَارِمَةً
بِأَسْيَافِهِمْ أَسَادَ غِيلٍ ضَرَاغِمَةً
فَدَعَ خُطَّةً لَيْسَتْ لَنَا بِمَلَائِمَةٍ
أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِنْ زُخُوفِ الدِّيَالِمَةِ

ج- رثاء الولاة والقادة:

وكما قام الشعراء برثاء الخلفاء وآل البيت قاموا برثاء الولاة على الأقاليم ورثوا كذلك القادة، ومن هؤلاء الولاة زياد بن أبيه فعندما حضرته الوفاة قال له ابنه: يا أبت قد هيأت لك ستين ثوباً أكفنك فيها، قال: يا بني، قد دنا من أبيك لباسٌ خيرٌ من لباسه هذا أو سلبٌ سريع، فمات فدفن بالثوبية إلى جانب الكوفة، فقال مسكين بن عامر شريح يرثيه⁽¹⁾:

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جِهَاراً حِينَ وَدَعْنَا زِيَادُ

ونجد أن الحزن والألم يعتصران قلب الجعد بن قيس الذي يطلب من عاذله أن لا يلومه إذا زالت نعمته بعد موت زياد بن أبيه، فقد ذهب الكريم السخي الذي يجود بعطائه على الجميع فيقول⁽²⁾:

أَبَقِ عَلَى عَاذِلِي مِنَ اللَّوْمِ فِيمَا أُزِيلَتْ نِعْمَتِي قَبْلَ الْيَوْمِ
قَدْ ذَهَبَ الْكَرِيمُ وَالظَّلُّ الدَّوْمُ وَالنَّعْمُ الْمُؤْتَلُ الدَّثَرُ الْحَوْمُ

وعندما قُتل محمد بن الأشعث في حربه مع الحجاج رثاه أعشى همدان الذي كان ضد الحكم الأموي وكان لا يرضى عن ولاه بني أمية، ويراهم ظالمين للرعية يسومونها العذاب⁽³⁾، فقال أعشى يرثيه بحسرة وألم فحتى البلاد والأشجار بكته وحزنت عليه فقال⁽⁴⁾:

تَأَوَّبَ عَيْنَاكَ عَوَارَهَا وَعَادَ لِنَفْسِكَ تَذَكَارَهَا
وَإِجْدَى لِيَا لِيَا رَاغَتْهَا أَرَقَّتْ وَلَوْ سُمَارَهَا

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص290.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص297.

(3) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط7، ص334.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص101.

وما ذاقَت العينُ طَعْمَ الرُّقَادِ دِ حَتَّى تَبْلُجَ إِسْفَارُهَا
عَلَيْكَ مُحَمَّدٌ لَمَّا ثَوِيَتْ تُبْكِي الْبِلَادُ وَأَشْجَارُهَا

وعندما بعث مصعب بن الزبير أبا بكر بن مخنف على إستان العال، قدمت الخوارج المدائن فسرّحوا إليه عصابة منهم، عليها صالح بن مخرّاق فنزل أبو بكر لقتالهم فقتل، فقال سُرّاقه بن مرداس البارقي يرثي أبا بكر بن مخنف مخاطباً قومه ويذكرهم بمدى الهموم التي حلت بهم بهذا الحدث بمقتل كريم صادق، فبموته غوّرت النجوم، ثم يخاطب المرثي وكأنّه يستحضر صورته أمامه ويتمنى أن يتلقاه الله برحمته وأن يصلي عليه الله تعالى، ثم يعود إلى مخاطبة المرثي ويقول له: لو جئت إلينا في بيوتنا فسوف تسمع العويل والنواح عليك فأنت صبور وقت الحرب من أجل ذلك أصبحت حزيناً، وشاب شعري⁽¹⁾:

ألا يا القومي للهموم الطّوارقِ وللحدّث الجاني بإحدى الصّقائِقِ
ومَقْتَل غَطْرِيفٍ كَرِيمٍ نَجَارُهُ من المُقَدِّمين الذّائدين الأَصْدَاقِ
أَتَانِي دُؤَيْنُ الْخَيْفِ قَتْلُ ابْنِ مِخْنَفٍ وَقَدْ غَوَّرَتْ أُولَى النُّجُومِ الْخَوَافِقِ
فَقُلْتُ: تَلَقَّاكَ الْإِلَهَ بِرَحْمَةٍ وَصَلَّى عَلَيْكَ اللهُ رَبُّ الْمَشَارِقِ
لِحَا اللهِ قَوْمًا عَرَدُوا عَنْكَ بُكْرَةً وَلَمْ يَصْبِرُوا لِلْأَمْعَاتِ الْبَوَارِقِ
تَوَلَّوْا فَأَجَلَّوْا بِالضُّحَى عَنْ زَعِيمِنَا وَسَيَدِنَا فِي الْمَازِقِ الْمُتَضَاقِقِ
فَأَنْتَ مَتَى مَا جِئْتَنَا فِي بُيُوتِنَا سَمِعْتَ عَوِيلاً مِنْ عَوَانٍ وَعَاتِقِ
يُبَكِّينَ مَحْمُودَ الضَّرِيَّةِ مَاجِداً صَبُوراً لَدَى الْهَيْجَاءِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ
لَقَدْ أَصْبَحْتُ نَفْسِي لِذَاكَ حَزِينَةً وَشَابَتْ لِمَا حَمَلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِي

وعندما وصل خبر موت الحجاج الثقفي إلى قتيبة بن مسلم سنة خمس وسبعين حزن لموته، فلا حياة بعد موته ويقول إنّ الحياة بعد موته لا معنى لها ولا قيمة⁽²⁾:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أعلقتُه الحبائلُ
فإن تحي لا أمل حياتي وإن تمّت فما في حياة بعد موتك طائلُ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص122 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص492.

وتوفي هبيرة بن مُشمرج الكلابي فرثاه سواده بن عبدالله السلولّي الذي يبكي فيه حُسْنَهُ وفصاحته وإنسانيته وشجاعته، ويستسقي لقبره، ويُبَيِّنُ عظم البلية فيه، بحيث تألمت لوفاته كلُّ النساءِ الفقيرات اللاتي كان يشملهنَّ بعطفه وبرّه في الضائقات، وبحيث شاركت في الحزن عليه الخيولُ التي كان يركبها، ويغزو بها، والرماحُ التي كان يستخدمها ويُطاعنُ فيها، فإذا هي تسكَبُ الدُموع حسرةً لفراقه وإجلالاً لذكراه، قال سواده⁽¹⁾:

لله قبرُ هُبيرةَ بن مُشمرَج	ماذا تَضَمَّنَ من ندى وَجَمالٍ
وبديهةٍ بَعِيابها أَبناؤُها	عند احتفالٍ مشاهدِ الأقوالِ
كان الربيعُ إذا السّنون تتابعت	والليثُ عندَ تكعكعِ الأبطالِ
فَسَقَتْ بقربةً حيثُ أمسى قبره	غُرٌّ يَرُحْنَ بمسبلٍ هَطّالِ
بكتُ الجيادُ الصافناتُ لفقدِه	وبكاه كلُّ مُتَقَفٍ عَسالِ
وبكته شُعْتُ لم يجدن مُواسياً	في العام ذى السّنوات والإمحالِ

وفي سنة إحدى وسبعين توجّه عبدالمك بن مروان إلى العراق لأخذ البيعة لنفسه فرفض مصعب بن الزبير مبايعته فنشب بينهما حربٌ انتهت بمقتل مصعب على يد زائدة بن قدامة⁽²⁾، فقال ابنُ قيس الرقيّات يرثيه بألمٍ وجزعٍ لموته، ويلوم بعض القبائل التي لم تقف في وجه ربيعة، ويوبخ بكرأ، ويؤنب تميماً، ويرمى مضر باللؤم، ويصب غضبه على أهل المصريين الكوفة والبصرة بعامّة.

وروح العصبية القبلية تُطلُّ من هذا الرثاء وكأنّه رثاء قبلي وهذا ليس بغريب من ابن قيس الرقيّات، فالقبيلة باعته الأساسي في شعره الذي يناصر آل الزبير، ويؤيد دولتهم، لأنّه في الحقيقة انتصار لقريش، وتأيد لحقها في استرداد عزها⁽³⁾. فقال ابن قيس الرقيّات⁽⁴⁾:

لقد أورث المصريين خِزياً وذلةً قتلٌ بدير الجاثليق مُقيمٌ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص503.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص151 - 159.

(3) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ص226.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص161 وما بعدها.

فما نصحتُ الله بكرُ بنِ وائلٍ ولا صَبَرْتُ عندَ اللَّقَاءِ تَمِيمُ
ولو كانَ بكرِيًّا تَعَطَّفَ حَوَلَهُ كَتَائِبُ يَغْلَى حَمِيُّهَا وَيُدُومُ
ولكنَّهُ ضَاعَ الذِّمَامُ ولم يكن بها مُضْرِيُّ يَوْمَ ذاكَ كَرِيمُ
جزى الله كوفيًّا هناكَ ملامَةً وبصريَّهم إنَّ المَلِيمَ مُلِيمُ

كان نهار بن توسعة مُتَشَبِّهًا بمخالفة الأزد، حريصاً على التعاون معهم، مُخلصاً في مساندتهم على خصومهم، وكان يُحَبِّذُ أن يكون الوالي منهم على أن يكون من غيرهم⁽¹⁾، فعندما توفي المهلب بن أبي صفرة سنة اثنين وثمانين رثاه نهار ابن توسعة التميمي فقد تعطلت الغارات بوفاته، وهو الذي أفنى عمره في الإغارة حتى فتح الفتوحات الكثيرة، وحاز الانتصارات الكبيرة، وحتى احتل المدن الجبلية، والبلدان السهلية، بطوائف الأفراس التي كان يُفرِّقها في النواحي المختلفة، فتدفع بفرسانها لا تخاف الطعن، بل تتقدم نحو الأعداء، وترجع سالمة، وآثارُ الدِّماء لا تزال تُصَبِّغُ هوارِيتها وأجسادها، وانتهى الكرم بانطوائه، لقد أفل من سماء العرب نجم ساطع كان يُضيء لهم على تعدُّد أحيائهم، فقد كان ملاذ الأزد، وحلفائهم من بكر وتغلب، فقال نهار يرثيه⁽²⁾:

ألا ذهبَ الغزوُ المقربُ للغنى وماتَ الندى والجودُ بعدَ المهلبِ
أقاما بمرورِ الرُّوذِ رَهْنَى ضريحِهِ وقد غُيِّبَا عن كلِّ شرقٍ ومغربِ
إذا قيلَ أيُّ الناسِ أولى بنعمةٍ على الناسِ؟ قلناه ولم ننتهيبِ
أباحَ لنا سهلَ البلادِ وحَزَنُهَا بخيلِ كَأرسالِ القَطَا المتسَرِّبِ
يُعَرِّضُهَا للطَّعنِ حتَّى كأنما يُجَلِّلُهَا بالأرجوانِ المُخَضَّبِ
تُطِيفُ به قَحْطَانُ قد عَصَبَتْ به وأحلافُهَا من حَيِّ بكرٍ وتغلبِ
وحَيًّا معدُّ عُوْدٍ بِلِوَائِهِ يُفْدُونَهُ بالنفسِ والأُمِّ والأبِ

سطع نجم ثابت قطنة في ولاية يزيد بن المهلب على خراسان وساهم مع ابن المهلب في مناهضته للجيش الأموي الذي قاده مسلمة بن عبد الملك، وقمع به المهالبة

(1) الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، حسين عطوان، دار الجيل-

بيروت، ط2، 1989 ص266.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص355.

ومن التفّ حولهم⁽¹⁾، وعندما لحق يزيد بن المهلب بالبصرة حبس عاملها عدي بن أرطأة الفزاري، وخلع يزيد بن عبد الملك، ثم أرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة في جيش من أهل الشام لمحق الخارجين على طاعته، فاستعاد البصرة، واستمرّ مسلمة يطارد ابن المهلب حتى قتله، ومزق جنوده تمزيقاً. فقال ثابت قطنة يرثي يزيد بن المهلب وقد خابت كل الآمال التي عقدها على الثورة، والتي كان يرجو أن تُتوّج بفوز ابن المهلب بالخلافة، فتحول يرثيه ويرثي الهالكين من أسرته، فيصف مواجهه وآلامه الممضة لفقده، ويتوعد بني أمية بأنهم لن يفلتوا من القصاص ويعلن غضبه على القبائل اليمنية التي ناصرته، يقول⁽²⁾:

ألا يا هند طال على ليلي	وعاد قصيرة ليلاً تماماً
كأنني حين خلّقت الثريّا	سقيت لعاب أسود أو سمّاماً
أمرّ على خلّو العيش يوم	من الأيام شيبني غلاماً
مُصاب بني أبيك وغبت عنهم	فلم أشهدهم ومضوا كراماً
فلا والله لا أنسى يزيداً	ولا القتلَى التي قتلت حراماً
فعلي أن أبو أخيك يوماً	يزيداً أو أبوء به هشاماً
وعلى أن أقود الخيل شعناً	شواذب ضمراً تقص الإكاماً
فأصبحهنّ حمير من قريب	وعكاً أو أرغ بهما جذاماً
ونسقى مذحجاً والحيّ كلباً	من الذّيفان أنفاساً قواماً
عشائرنا التي تبغى علينا	تجربنا زكاً عاماً فعاماً
ولولا هم وما جلبوا علينا	لأصبح وسطاناً ملكاً هماماً

فالشاعر يصف تبدل حاله، وما يقاسي من المواقف ويعترف بأنه كان غائباً عن مسرح الأحداث ويُنذر بني أمية ومن ساندتهم من العشائر اليمنية والشامية التي ساعدتهم، والتي دمّروا بها المهالبة، فقد كان ينتظر منها أن تتخلى عن بني أمية، وتبايع المهالبة.

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص 220.

(2) تاريخ الطبري، ج 6، ص 603.

وفي مريثة ثانية يبكي ابن المهلب، ويعلن أنّ مما يُضاعف توجُّعه بعده عن ميدان المعركة التي دارت بينه وبين مسلمة بن عبد الملك، ويوعده مسلمة بأنه سيتربص به حتى يغتاله ويفتخر بالأزد، أصحاب العقول الراجحة، والشجاعة الخارقة الحامية للجار، المطعمين الضيف خيار إيلهم في الجذب، ويتمدح بمجدهم التّليد في الجاهلية مُمثلاً في دولة الغساسنة العزيزة القوية، يقول⁽¹⁾:

أصيبَ ولم أشهد ولو كنتُ شاهداً	تسلّبتُ إن لم يجمع الخيَ مأتماً
وفي غيرِ الأيَّام يا هندُ فاعلمي	لطالبٍ وتِرِ نظرةٍ إن تلوّماً
فعليّ إن مالت بيّ الريح ميّلةً	على ابن أبي ذبيان أن يتنتما
أمسلم إن يقدرُ عليك رماحنا	نذيقك بها قِيءَ الأسودِ مُسلماً
وإن تلقَ للعباس في الدهر عثرةً	نكافئه باليوم الذي كان قدماً
قصاصاً ولا نعدو الذي كان قد أتى	إلينا وإن كان ابن مروان أظلماً
وإنّا لعطافون بالحلم بعد ما	نرى الجهل من فرط اللّيم تكرماً
نرى أن للجيران حاجاً وحرمةً	إذا الناسُ لم يرعوا لدى الجارِ محرماً
وإنّا لنقري الضيف من قمع الذرى	إذا كان رقدُ الرافدين تجسّماً
وراحت بصُرّادٍ ملثٌ جلیده	على الطلح أرماكاً من الشهب صيماً
وقد كان في غسان مجدٌ يعبده	وعاديتُ كانت من المجدِ معظماً

وعزل هشامُ عبد الملك الجُنيد بن عبد الرحمن المُرّي عن خراسان لتزوجه بنت يزيد بن المهلب فغضب عليه هشام بسبب العداء الذي كان بين الأسرة المالكة وبين المهلب، وولى بدلاً منه على خراسان عاصم بن عبد الله فمرض الجُنيد في تلك السنة فمات، فنعاها أبو الجويرية عيسى بن عصمة العبدى، فصور حزنه وتقبُّعه عليه، ورفع صوته بالدعاء له، ويقول لقد مات الجود والكرم بموت الجُنيد⁽²⁾:

هلكَ الجُودُ والجنيذُ جميعاً	فعلى الجود والجُنيد السّلامُ
أصبحتُ ثاويين في أرض مروٍ	ما تغنّت على الغُصون الحمامُ
كنتما نُزّهةَ الكرام فلما	مِتَّ ماتَ الندى وماتَ الكرامُ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص604 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص94.

ورثى ابنُ عَرسِ العبدِ أسدَ بن عبد الله القسري، فالشاعر وإن استسلم للقضاء، وأذعن للقدر، فإنّه عاجز عن التجلّد على الفجيعة بأسد، ويعول في البكاء عليه، بل على خصاله النبيلة من الإباء والمضاء والجود، فقال⁽¹⁾:

نَعَى أسدَ بن عبد الله ناعٍ	فَرِيعَ القلبِ للملِكِ المُطاعِ
ببلخٍ وافقَ المقدارُ يُسرى	وما لقضاء ربك من دَفاعِ
فجودى عينُ بالعَبَرَاتِ سَحَا	ألم يُحزنكِ تفريقُ الجماعِ
أتاه حِمَامُهُ في جوفِ صِيغِ	وكم بالصيغِ من بطلٍ شُجاعِ
كتائبٌ قد يُجيبونُ المنادي	على جُرْدِ مُسومةٍ سراعِ
سُقِيتَ الغيثُ إنَّكَ كُنتَ غِيثاً	مَريعاً عند مُرتادِ النّجّاعِ

وكان سليمان بن قتّة مولى بنى تميم بن مرة القرشيين، صديقاً لأسد القسري⁽²⁾، فرثاه رثاءً حاراً تحرق فيه عليه واستسقى لقبره، وأشاد به، فقد كان أسد في رأيه حامياً لحقيقتهم، قائماً بأمورهم، حاملاً لهمومهم، ساعياً لانتزاع حقوقهم، أخذاً بثاراتهم، وكان فارسهم المشهور، يقول⁽³⁾:

سقى الله بلخاً، سهلاً بلخٍ وحزنها	ومروى خراسان السحابِ المُحجّما
ومابي لتسقاؤه ولكن حُفرة	بها غيّبوا شِلوا كريماً وأعظما
مُراجِمَ أقوامٍ ومُردى عظيمة	وطلابٍ أوتارٍ عَفَرناً عثمنا
لقد كان يُعطى السيف في الرّوع حقّه	ويُروى السّنان الزّاغبيّ المقومّا

وكان عثمان الهنّي ممّن شهد قتل الحسين بن علي فلما قُتل قال أعشى همدان يرثيه بحزن ويصفه بالفروسية⁽⁴⁾:

يا عَيْنَ بَكى فتى الفتيانِ عُثمانا	لا يَبْعَدَنَّ الفتى من آلِ دُهمانا
واذكر فتىً ماجداً خلوا شمائله	ما مثله فارسٌ في آلِ هَمَدانا

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص141.

(2) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص209.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص141.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص59.

د- رثاء أصحاب المذاهب:

ظهر في عصر بني أمية فن المكتّمات، وسميت كذلك لأنّ هذا النوع من الشعر بقي في طي الكتمان خوفاً من العقاب من الحكام⁽¹⁾، وهو فن ظهر في العصر الأموي، وهو نتاج طبيعي للصراعات الاجتماعية والتناقضات الفطرية بين الأفراد والجماعات في مجالاتها المختلفة، ولا سيما ما كان منها متصلاً بالعقيدة والسياسة والعاطفة⁽²⁾.

ويُعد فن المكتّمات من أصدق الفنون تعبيراً عن طبيعة هذا العصر وذلك لما يحمل هذا الشعر من المعاني الخبيثة في نفوس الأفراد والجماعات التي ينتمون إليها، وعادة ما تكون هذه الأفكار التي تعتمل في تلك النفوس ذات خطر على هذه "جماعات أو غيرها من الجماعات"⁽³⁾.

ومما يدلُّ على أن هذا الشعر وجد ولكنه كُتم، ما قاله الطبري في تقديم مكتمة أعشى همدان التي رثى بها التوابين من الشيعة وذكر فيها ندمهم على مأساة الحسين وآل البيت: "وكان ممّا قيل من الشعر في ذلك قول أعشى همدان، وهي إحدى المكتّمات كن يكتمن في ذلك الزمان"⁽⁴⁾.

وتكمن أهمية المكتّمات في أنها تمثل مؤشراً فعالاً في دلالاته على طبيعة العصر ومن أكثر العوامل تأثيراً في الحياة الاجتماعية والحياة الأدبية كذلك، ويدلُّ أيضاً على أن العامل السياسي هو المؤثر الأول في ظاهرة الكتم ولا سيما في عصور الاضطراب السياسي⁽⁵⁾.

ومن النماذج الشعرية لهذا النوع من الشعر (المكتّمات) بائية أعشى همدان والتي جاءت في رثاء التوابين، وهم الجماعة التي خرجت للانتقام من قتلة الحسين ابن عليّ تكفيراً عن ذنبهم، وكانوا بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي.

(1) المكتّمات، كاظم الظواهري، ط1، 1987، ص36.

(2) المرجع نفسه، ص37.

(3) المرجع نفسه، ص17.

(4) تاريخ الطبري، ج5، ص607.

(5) المكتّمات، ص43.

بدأ الشاعر موضوعه بذكر رئيس التوابين سليمان بن صُرد فوصفه بالتقوى والزهد في الدنيا، والجهاد في سبيله والتوبة إليه ثم يشير إلى عقيدة التوابين في الندم على ما فعلوا مع الحسين وسببوه له والتوبة والعزم على الثأر له، ثم يصرح باسم عبيدالله بن زياد وهو العدو التقليدي لأهل العراق قبل مقتل الحسين وبعده يقول⁽¹⁾:

فإني وإن لم أنسهن لذاكر	رزية مخبات كريم المناصب
توسل بالتقوى إلى الله صادقاً	وتقوى الإله خير تكساب كاسب
وخلّى عن الدنيا فلم يلتبس بها	وتاب إلى الله الرفيع المراتب
وما أنا فيما يكبر الناس فقد	ويسعي له الساعون فيها براغب
فوجهة نحو الثوية سائراً	إلى ابن زياد في الجموع الكباكب
بقوم هم أهل التقية والنهي	مصاليك أنجاد سراً مناجب
فجاءهم جمع من الشام بعده	جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيدت سراتهم	فلم ينج منهم ثم غير عصائب
فأضحى الخزاعي الرئيس مجذلاً	كأن لم يقاتل مرة ويحارب

2.3 المدح:

ارتبط المدح بالأحداث التاريخية ارتباطاً وثيقاً، وقد يأتي المدح في المرتبة الثانية من حيث الكم بين الأغراض الشعرية المختلفة في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- مدح الخلفاء:

أكثر الشعراء من مدحهم للخلفاء الأمويين، فما أن تحدث مناسبة حتى يسرع الشعراء لنظم قصائدهم، ومدح الخلفاء لينالوا الحظوة والمال، فعندما قام يزيد بن مفرغ الحميري بهجاء عباد بن زياد توجه إلى البصرة، فكتب عباد إلى عبيد الله ببعض ما هجاه به، فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية وأستأذنه في قتله، فأبى معاوية ذلك، وقال: أدبه ولا تبلغ به القتل فأنشد ابن مفرغ في مدح معاوية بن

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص60.

أبي سُفيان تعبيراً عن شكره لمعاوية الذي حماه وعفا عنه، فأخذ يصفه بأنه إمامٌ وحبلٌ وثيقٌ للناس كافة⁽¹⁾:

عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ
لَعَمْرِي لَقَدْ نَجَّكَ مِنْ هُوَةِ الرَّدَى إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقُ
سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ نِعْمَةٍ وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُنْعِمِينَ حَقِيقُ

وفي سنة تسع وستين خرج عبد الملك بن مروان إلى عين وردة، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبد الملك، فرجع إلى دمشق فحاصره فقاتله فيها أياماً، ثم إنَّ عبد الملك وعمرأ اصطلاحاً، وكتبا بينهما كتاباً، ولكن عبد الملك لم ينسَ غدر ابن سعيد به فأمر عبدالعزيز بن مروان بقتله، ولكن ابن عمرو ناشد عبدالعزيز بقوله: أذكرك الله والرحم أن تلي قتلي، فلمّا علم عبد الملك بعد مقتل عمرو قال لعبد العزيز، لمَ لم تقتله، فقال له عبدالعزيز أَنَّهُ ناشدَهُ الله والرحم، فقال له عبد الملك: أخزى الله أمك البوّالة على عقيبها فإنك لم تشبه غيرها وأُمُّ عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة، وكانت أُمُّ عبدالعزيز ليلي، فقد ركّز الشعراء الأمويين على قضية النسب في مدحهم للخلفاء الأمويين ومن ذلك ما قاله عبيد الله بن قيس الرُّقيّات في مدحه لعبد العزيز بن مروان⁽²⁾:

ذَاكَ ابْنُ لَيْلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بِيَا بَلِيُونَ تَغْدُو جَفَانُهُ رُدُماً

ونجد أن الشعراء الأمويين كرروا في مدحهم للخلفاء الأمويين بعض المعاني الدينية منها حماية الدين وحراسته، وذلك إيماناً منهم بأحقية الأمويين بالخلافة دون غيرهم، (فقد تحدث شعراء الحزب الأموي عن أن بني أمية هم خلفاء الله على الناس وهم سيوف الله المسلولة لحماية الدين ونصرته)⁽³⁾، لذلك حاول الشعراء أن يضيفوا على خلافتهم هالة من الدين، وأن الله هو الذي اصطفاهم للخلافة وليس البشر، فقد نسج الحجاج الثعلبي هذه المعاني في مدح عبد الملك بن مروان، فجعله

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص319 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص140-145.

(3) العصر الأموي، قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1998، ص68.

الحامي للدين والحارس له، وأنه صاحب الرأي السديد، ثم يصفه بالشجاعة في القتال يقول⁽¹⁾:

يا ابن أبي العاص ويا خير فتى	أنت سداد الدين إن دين وهى
أنت الذي لا يجعل الأمر سدى	جبيت قريش عنكم جوب الرعى
إن أبا العاصى وفي ذلك اعتصى	أوصى بنيه فوعوا عنه الوصى
إن يسعروا الحرب ويأبوا ما أبى	الطاعنين في النحور والكلى
شزراً ووصلاً للسيوف بالخطا	إلى القتال فحوا ما قد حوى

وكان الشعراء يقدون إلى الخلفاء مادحين من أجل التكسب فقد قدم علباء بن منظور الليثي على هشام بن عبد الملك يشكو إليه ويستعطفه، ويمدح هشام بأنه ملجأ لكل محتاج، فأمر له هشام بخمسمائة درهم وألحق له عيلاً في العطاء يقول⁽²⁾:

قالت غليّة واعتزمت لرحلة	زوراء بالأذنين ذات تسدر
أين الرحيل وأهل بيتك كلهم	كل عليك كبيرهم كالأصغر
فأصاغر أمثال سلكان القطا	لا في ثرى مال ولا في معشر
إني إلى ملك الشام لراجل	وإليه يرخل كل عبد موقر
فلأتركك إني حبيت غنيّة	بندى الخليفة ذى الفعال الأزهر
إنّا أناس ميت ديواننا	ومتى يصبه ندى الخليفة ينشر

وكان هشام بن عبد الملك يُعيب الوليد بن يزيد ويتنقصه وكثر عبثه به وبأصحابه، فطلب الوليد من شاعره عبد الصمد بن عبد الأعلى أن يقول فيه شعراً، فقال عبد الصمد بن عبد الأعلى يمدح الوليد⁽³⁾:

ألم تر للنجم إذ شيعا	يُبادر في بُرجه المَرَجعا
تحير عن قصد مجراته	أتى الغور والتمس المَطلعا
فقلت وأعجبني شأنه	وقد لاح إذ لاح لي مُطمعا
لعل الوليد دنا ملكه	فأمسى إليه قد استجمعا

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص421.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص206.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص211.

وَكُنَّا نُوَمِّلُ فِي مَلِكِهِ كَتَأْمِيلُ ذِي الْجَدْبِ أَنْ يُمرَعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُو رِ طَوْعاً فَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

وعندما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك أطلق الأسارى وختلى أهل السجون، وأحسن إلى الناس فقال ابن الأبيض يمدحه مؤكداً على أن الخلافة سوف تبقى في آل مروان وأن سليمان ورث الخلافة عن أجداده وآبائه وأن نور الخلافة يشع من جبينه الذي كان يُبشر بأنك الملك الرابع في آل مروان⁽¹⁾:

حَازَ الْخِلَافَةَ وَالِدَاكَ كِلَاهُمَا مِنْ بَيْنِ سُخْطَةٍ سَاخِطٍ أَوْ طَائِعٍ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخَوَاكَ أَصْبَحَ ثَالِثَا وَعَلَى جَبِينِكَ نُورُ مَلِكِ الرَّابِعِ

ويبدو أن الجواري كنَّ يُشاركن مدح الخلفاء في العصر الأموي، ومن ذلك ما قالت إحدى الجواري تمدح سليمان بن عبد الملك وأنه أفضل متاع في الحياة لو بقي ولكن لا بقاء لحى، وأنه لا عيب فيه سوى إنه فان⁽²⁾:

أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُهُ فَيْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانَ

وقال نصر بن سيار يمدح خلفاء بني أمية قال يصفها بالكرم والمجد والنسب الكريم، مركزاً كغيره من الشعراء على نظرية الحق الإلهي للأمويين في الحكم وأن بيت خليفة الرحمن فيهم وأن الله هو الذي اصطفاهم للخلافة، وليس البشر، وأن الخلافة وراثية فيهم أباً عن جد يقول⁽³⁾:

خَلِيفَتُنَا الَّذِي فَازَتْ يَدَاهُ بِقَذْحِ الْحَمْدِ وَالْمَلِكِ الْهَمَامُ
نَسُوسُهُمْ وَلَنَا عَلَيْهِمُ إِذَا قَلْنَا مَكَارِمُهُ جَسَامُ
أَبُو الْعَاصِي أَبُوهُ وَعَبْدُ شَمْسٍ وَحَرْبٍ وَالْقَمَاقِمَةُ الْكَرَامُ
وَمُرَوَّانٌ أَبُو الْخَلَفَاءِ عَالٍ عَلَيْهِ الْمَجْدُ فَهُوَ لَهُمْ نِظَامُ
وَبَيْتُ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ فِينَا وَبَيْتَاهُ الْمُقَدَّسُ وَالْحَرَامُ
وَنَحْنُ الْأَكْرَمُونَ إِذَا نُسَبْنَا وَعَرْنَيْنُ الْبَرِيَّةِ وَالسَّانَامُ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص546.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص547.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص158.

فَأَمْسَيْنَا لَنَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ خِرَاطِيمُ الْبَرِّيَّةِ وَالزَّمَامِ
لَنَا أَيْدٍ نَرِيشُ بِهَا وَنُبْرِي وَأَيْدٍ فِي بَوَادِرِهَا السَّمَامِ
وَبَأْسٌ فِي الْكَرْيَةِ حِينَ نَلْقَى إِذَا كَانَ النَّذِيرُ بِهَا الْخُسَامِ

ونجد أن الشعراء كثيراً ما يؤكدون حق الأمويين بالإمارة والخلافة، وأنهم أهل المشورة والرأي والمانعون والنافعون، فيقول أعشى بني شيبان في مدحهم⁽¹⁾:
عَرَفْتُ قَرِيشَ كُلِّهَا لَبْنَى أَبِي الْعَاصِ الْإِمَارَةَ
لَأَبْرَرَهَا وَأَحَقَّهَا عِنْدَ الْمَشُورَةِ، بِالْإِشَارَةِ
الْمَانِعِينَ لِمَا وَلَوْ وَالنَّافِعِينَ ذَوِي الضَّرَاوَةِ
وَهُمْ أَحَقُّهُمْ بِهَا عِنْدَ الْحَلَاوَةِ وَالْمَرَارَةِ

ب- مدح الولاة والوزراء ورجالات الدولة:

لم يكتفِ الشعراء بمدح الخلفاء والثناء عليهم بل قاموا بمدح وولاتهم ووزرائهم ورجال دولتهم، فقد كان لهؤلاء الولاة والوزراء الدور الكبير في الحكم بعد الخلفاء فقد كانوا ينوبون عنهم في الحكم ويقود بعضهم الجيوش في الفتح، وإخماد الثورات. وقد عظمت مكانتهم، حتى قصدهم الشعراء، فمدحوهم، ونالوا جوائزهم، وأعجب الشعراء بالقواد الذين أرسوا قواعد الملك وحموه من الصدع بانتصارهم على الثائرين، وبتوغلهم في الفتح⁽²⁾.

فقد مدح حارثة بن بدر زياد بن أبيه بأنه نعم أخو الخليفة ووزيره، لأنه حاكم عادل حازم ماهر في تصريف الأمور، وقال إنه مؤيد بنصر الله، وإنه يلتزم حدود الله، وإن حكمه خير على الناس، لأنهم ينعمون في عهده بالثراء والأمن والمساواة، ثم وصفه بأنه كالمطر الذي ينزل على الأرض العطشى فيحييها، وقال إنه تولى الحكم في زمن فسد ناسه، وتفاقت شرورهم فاستطاع أن يقر الأمن والعدل بسيفه،

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص422.

(2) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط5، ص164.

وسمّاه سيف الله، ووصفه بأنه قوي ماضٍ مجرب مبرأ ومن طيش الفتيان ومن ضعف الشيوخ قال حارثة⁽¹⁾:

ألا من مُبلغٍ عنّي زياداً	فَنِعَمَ أَخُو الخليفة والأَمير!
فَأَنْتَ إِمَامٌ مَعْدَلَةٌ وَقَصْدٌ	وَحَزَمٌ حِينَ تَحْضُرُكَ الْأُمُورُ
أَخُوكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ ابْنُ حَرْبٍ	وَأَنْتَ وَزِيرُهُ، نِعَمَ الْوَزِيرُ!
تُصِيبُ عَلَى الْهَوَى مِنْهُ وَتَأْتِي	مُحِبِّكَ مَا يُجِنُّ لَنَا الضَّمِيرُ
بَأَمْرِ اللَّهِ مَنْصُورٌ مُعَانٌ	إِذَا جَارَ الرَّعِيَّةُ لَا تَجُورُ
يَدِرُّ عَلَى يَدَيْكَ لَمَّا أَرَادُوا	مِنَ الدُّنْيَا لَهُمْ حَلَبٌ غَزِيرُ
وَتَقْسَمُ بِالسَّوَاءِ فَلَا غِنَى	لِضَنِيمٍ يَشْتَكِيكَ وَلَا فَقِيرُ
وَكُنْتَ حَيًّا وَجِئْتَ عَلَى زَمَانٍ	خَبِيثٍ، ظَاهِرٌ فِيهِ شَرُّورُ
تَقَاسَمَتِ الرَّحَالُ بِهِ هَوَاهَا	فَمَا تُخْفِي ضِغَائِنَهَا الصُّدُورُ
وَخَافَ الْحَاضِرُونَ وَكُلَّ بَادٍ	يُقِيمُ عَلَى الْمَخَافَةِ أَوْ يَسِيرُ
فَلَمَّا قَامَ سَيْفُ اللَّهِ فِيهِمْ	زِيَادٌ قَامَ أَلْبَجُ مُسْتَتِيرُ
قَوًى لَا مِنَ الْحَدَثَانِ غَرُّ	وَلَا جَزَعٌ وَلَا فَنٍ كَبِيرُ

وقد جرى الشعراء السياسة في تقلبها ودهائها، فأيدوا الخليفة في استخلاف من يليه، وفي نقل البيعة من ولي إلى آخر⁽²⁾، ومن ذلك ما قاله عمران بن عصام العنزيّ عندما أخذ ينشد عبدالملك أبياتاً يُزين له بيعة الوليد، ومن أجل ذلك أخذ يمدح الوليد ويصفه بالتقوى، وأنه شبيه لأبيه عبدالملك وبه يستمطر الناس الغماما، ثم أخذ يحذر الخليفة من أن يجعل الخلافة والملك لأخيه عبدالعزيز أو أحداً من أبنائه، لأن الخليفة إن فعل ذلك فإنه سوف يندم وتكون سحابة ثم تعود لهم جهاما، فيقول عمران⁽³⁾:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي	عَلَى النَّأْيِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا
أَجْبَنِي فِي بَنِيكَ يَكُنْ جَوَابِي	لَهُمْ عَادِيَّةٌ وَلَنَا قَوَامَا

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص223 وما بعدها.

(2) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد محمد الحوفي، ص159.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص413.

فلو أن الوليد أطاع فيه
شبيهك حول قُبته قريش
ومثلك في التقى لم يصب يوماً
فإن تُؤثر أخاك بها فإننا
ولكننا نحاذر من بنيه
ونخشى إن جعلت الملك فيهم
فلا يك ما حلت غداً لقوم
جعلت له الخلافة والذمما
به يستمطر الناس الغمما
لأن خلع القلائد والتما
وذلك لا نطيق لها اتهاما
بني العلات مآثرة سماما
سحاباً أن تعود لهم جهاما
وبعد غد بنوك هم العياما

وشارك بعض الشعراء في السياسة الأموية نفسها، فناصروا أميراً على أمير،
وعضد الخليفة في تنحية العهد عن ولي إلى آخر، كما نرى في ترويح جرير لبيعة
عبد العزيز بن الوليد وخلع سليمان بن عبد الملك فقال جرير في ذلك⁽¹⁾:

إذا قيل أي الناس خير خليفة؟ أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
رأوه أحق الناس كلهم بها وما ظلموا، فبايعوه وسارعوا

وقال أيضاً جرير يحض الوليد على بيعة عبد العزيز وهي من المرتكزات
السياسية للحزب الأموي⁽²⁾:

إلى عبد العزيز سمت عيون الرّ
إليه دعت دواعيه إذا ما
وقال أولو الحكومة من قريش
عينة إذ تحيرت الرّعاء
عماد الملك خرت والسماء
علينا البيع إن بلغ الغلاء

وفي السنة الثالثة والثمانين كانت وقعة مسكن بين الحجاج وبين عبدالرحمن
بن الأشعث⁽³⁾، شارك أعشى همدان في تسجيل هذه الموقعة وكان مؤيداً للثورة يمدح
صاحبها ابن الأشعث، ويهجو الحجاج، وتحول إلى شاعر يتبرأ منها ومن صاحبها
بل يهجو ابن الأشعث ويهجو أجداده، ويمدح الحجاج ويتغنى بالخليفة الأموي⁽⁴⁾،
ولعل السبب في ذلك يعود إلى خوف الاعشى من سطوة الحجاج الذي كان أشد عنفاً

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص506.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص506.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص366.

(4) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف 416 وما بعدها.

في معاملة أعدائه وأبعد من أن يتأثر بدموعهم وتذلّهم، من أجل ذلك انقلب الأعشى في مسيرة شعره من شاعر يهجو الحجاج وأجداده إلى شاعر يتغنى بأمجاد الحجاج وبانتصاراته على أعدائه.

لذلك قال أعشى همدان قصيدة طويلة يمدح فيها الحجاج بانتصاره عليهم، على الرغم من كثرة عددهم، فقد دلفوا في صفوف كأنها الجبال، ولكنه لم يلبث أن سلّ سيفه في وجوههم فإذا جموعهم المتراسة تُؤلي الأدبار، ثم يصف الحجاج بأنه معانٍ من عند الله، مظفر في حروبه، أما أعداؤه فإنهم في ظلمات كأنها من قطع الليل الأسود، قال الأعشى⁽¹⁾:

دلفنا إليه في صفوف كأنها	جبال شروزي لو تعان فتتهدا
فما لبث الحجاج أن سلّ سيفه	علينا فولّى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج إلا رأيت	معاناً ملقى للفتوح معودا
وإن ابن عباسٍ لفي مرجحة	نشبهها قطعاً من الليل أسودا
فما شرعوا رُمحاً ولا جردوا له	ألا ربّما لاقى الجبان فجرّدا
وكرت علينا خيل سفيان كرة	بفرسانها والسمهريّ مقصدا

وقد كان لأسرة المهلب بن أبي صفرة مكانة بارزة في الدولة الأموية، فلم تحظ أسرة بما حظيت به هذه الأسرة من التقدير، فقد كان أفرادها بحوراً فياضة، فنوّه بهم الشعراء طويلاً في خراسان والعراق جميعاً⁽²⁾، ويؤثر عن المهلب أنه كان يقول: "عجبت لمن يشتري الممالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه"⁽³⁾.

وقد كان الشعراء يصطفون لمدح أبناء هذه الأسرة، وفي مقدمتهم كعب الأشقري، فبالإضافة إلى الدور الذي لعبته هذه الأسرة في القضاء على الفتن الداخلية كان لها الدور البارز في الحروب الخارجية، خاصة في قتال الترك الذين كانوا يمثلون خطراً يهدّد كيان الدولة الأموية، وفي قتال يزيد بن المهلب مع الترك قال

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص376 وما بعدها.

(2) العصر الإسلامي، ط7، ص218.

(3) المرجع نفسه، ص218 وما بعدها.

كعب الأشقرى يمدح يزيد ويصفه بالشهاب الذي يُبدد الظلمة، ثم يشبه جنوده بأسود الغاب الذين اعتصموا بالصبر والتأسي، فقال⁽¹⁾:

والتُّركُ تعلمُ إذْ لاقى جُموعَهُمُ	أنْ قد لَقوهُ شِهَاباً يَفْرَجُ الظُّلما
بفتيةٍ كأَسودِ الغابِ لم يَجِدوا	غِيرَ التَّأسَى وَغِيرَ الصَّبْرِ مُعْتَصِما
نرى شرائجَ تَغشى القومَ من علقِ	وما أرى نبوةَ منهم ولا كَرَمًا
وتحتهم قُرَحٌ يركبنَ ما ركبوا	من الكريهةِ حتَّى ينتعلنَ دَمًا
في حازةِ الموتِ حتَّى جنَّ ليلُهُمُ	كِلَا الفريقينِ ما ولَّى ولا انهزما

وفي سنة أربع وثمانين هاجم يزيد بن المهلب قلعة "باذغيس" وكان نيزك ينزل بها، فتحين يزيد غرةً منه، ووضع العيون عليه، فلما علم أنه خرج منها، خالفه إليها، فرجع نيزك وصالحه على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن، ويرتحل بعياله عنها، فقال كعب بن معدان الأشقرى يصور علو القلعة الشاهق الذي يطاول عنان السماء، وأضواءها التي تتراءى في الليل المظلم، كأنها النجوم المتلألئة، ويصور مناعتها، فلما تقدّم إليها يزيد وحاصرها فوقع الذعر في قلوب أهلها فاستجابوا له، ثم أخذ الشاعر يُشيد بيزيد ويفتخر بشجاعته، ذاهباً إلى أن الله هو الذي وفقه في محاصرة القلعة واقتحامها، فهو شديد النكاية بأعدائه، كثير البر والرحمة بسائليه، يقول⁽²⁾:

وباذغيسُ التي من حل ذُرُوتها	عزّ الملوكَ فإن شا جَار أو ظَلما
منيعةٌ لم يكذها قبله ملكٌ	إلا إذا واجهت جيشاً له وجَمَا
تخال نيرانها من بُعد منظرها	بعض النجوم إذا ماليلها عَتَمَا
لما أطاف بها ضاقت صدورهمُ	حتّى أقرّوا بالحكم فاحتكما
فذل ساكنها من بعد عزّته	يُعطي الجزى عارفاً بالذل مُهتَضَمَا
وبعد ذلك أياماً نعدّدها	وقبلها ما كَشَفَتِ الكرب والظَلما
أعطاك ذاك وليُّ الرزق يَقسِمُهُ	بين الخلائق والمحروم من حُرما

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص352.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص386.

وفي سنة خمس وثمانين غزا المفضل بن المهلب باذغيس ففتحها وأصاب مغنماً فقسمه بين الناس، ولم يكن له بيت مال، فكان يعطي الناس كلما جاءه شيء، فقال كعب الأشقري يمدح المفضل بن محمد الذي ولي خراسان بأمر الحجاج بدلاً من يزيد بن المهلب لمدة تسعة أشهر، ويذكر كرمه وحسن أخلاقه، وأنه ملجأ لكل محتاج فقير، ويبين الشاعر أن المفضل ورث الكرم والاخلاق الطيبة عن أبيه المهلب⁽¹⁾:

تري ذا الغنى والفقر من كل معشرٍ	عصائب شتى يَنْتَوون المفضلاً
فمن زائرٍ يرجو فواضلٍ سنيهِ	وآخر يقضى حاجة قد ترحلاً
إذا ما انتوينا غير أرضك لم نجد	بها منتوى خيراً ولا متعللاً
إذا ما عددنا الأكرمين ذوي النهى	وقد قدموا من صالح كنت أولاً
لغمرى لقد صال المفضل صولةً	أباحت بشومان المناهل والكلا
ويوم ابن عباس تناولت مثلها	فكانت لنا بين الفريقين فيصلاً
صفت لك أخلاق المهلب كلها	وسربلت من مسعاته ما تسربلاً
أبوك الذي لم يسع ساع كسعيه	فأورث مجداً لم يكن متحلاً

وعندما توفي المغيرة بن المهلب في سنة اثنتين وثمانين حزن أبوه لموته وقام بإرسال يزيد إلى مرو لقتال الترك، فقال الراجز يمدح يزيد بن المهلب ويصف شجاعته في المعركة⁽²⁾:

يزيدُ يا سيفَ أبي سعيدٍ	قد علم الأقوام والجنودُ
والجمعُ يومَ الجمعِ المشهودُ	أنك يومَ التركِ صلبُ العودُ

وعندما انتهى يزيد بن المهلب من حرب الأزارقة وحقق النصر، مدحه عبدالملك بن سلام السلولي فوصفه بالكرم والجود ويشبّهه بالربيع فعاش عليه الفقير والمقتدر ثم يشبه جوده بالسحابة التي تعم البلاد فترويها، قال ابن سلام السلولي⁽³⁾:

ما زال سيئك يا يزيدُ بحوبتي	حتى ارتويتُ وجودكم لا ينكرُ
-----------------------------	-----------------------------

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص397.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص352.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص529.

أَنْتَ الرَّبِّيعُ إِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً عَاشَ السَّقِيمُ بِهِ وَعَاشَ الْمُقْتَرُ
عَمَّتْ سَحَابَتُهُ جَمِيعَ بِلَادِكُمْ فَرُّوْا وَأَغْدَقَهُمْ سَحَابٌ مُمَطَّرُ
فَسَقَاكَ رَبُّكَ حَيْثُ كُنْتَ مَخِيلَةً رِيًّا سَحَائِبُهَا تَرُوحُ وَتُبَكِّرُ

وعندما تمكّن المفضل بن المهلب من فتح باذغيس سنة خمس وثمانين مدحة كعب الأشقرى، وأكثر ما يدور شعره على مديح المهالبة، وذكر حروبهم الخارجية وانتصاراتهم على الأعداء كالفرس والترك، والإشادة بأصولهم العريقة التي زكّتهم للنهوض بتلك المهمة، ومكّنتهم من تحقيق الانتصارات العظيمة⁽¹⁾، فقال كعب يصف المفضل بالكرم والجود وأنه يجود على الغني والفقير، وعندما فتح القلعة أصاب مغنماً فقسمه بين الناس، ثم يصور راحة عقله، وسماحة خلقه، وجلالة أعماله، وجوده الغمر، ممّا جعله قبلة العرب من كلّ قبيلة، يغدون إليه يطلبون معروفه مستبشرين، وينصرفون عنه راضين بما أخذوا من نواله فكان خير خلف لأبيه الذي بلغ شأواً لم يبلغه أحد⁽²⁾:

تَرَى ذَا الْغِنَى وَالْفَقْرَ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ عَصَائِبَ شَتَّى يَنْتَوُونَ الْمَفْضَلَا
فَمَنْ زَائِرٍ يَرْجُو فَوَاضِلَ سَيِّئِهِ وَآخِرَ يَقْضَى حَاجَةً قَدْ تَرَحَّلَا
إِذَا مَا انْتَوَيْنَا غَيْرَ أَرْضِكَ لَمْ نَجِدْ بِهَا مَنْتَوَى خَيْرًا وَلَا مُتَعَلَّلَا
إِذَا مَا عَدَدْنَا الْأَكْرَمِينَ ذَوَى النُّهَى وَقَدْ قَدَّمُوا مِنْ صَالِحٍ كُنْتَ أَوْلَا
أَبُوكَ الَّذِي لَمْ يَسْنَعْ سَاعٍ كَسَعِيهِ فَأُورِثَ مَجْدًا لَمْ يَكُنْ مُتَّحَلَا

عندما فرغ الحجاج من مقاتلة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث أخذ يفكر في الخلاص من يزيد بن المهلب وأهل بيته لتخوفه منهم، فقد استطاع الحجاج أن يذلّ أهل العراق كلّهم إلّا يزيد وأهل بيته، فتمكن من عزل يزيد بن المهلب عن خراسان، وتمكّن من سجنه، ولكن يزيد وإخوته استطاعوا الفرار من سجن الحجاج⁽³⁾.

وفي هروب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج قال الفرزدق يمدح آل المهلب، وقد كانت مدائح الفرزدق التي اتصلت بمصلحته المادية أو مصلحته القبلية

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص 243.

(2) تاريخ الطبري، ج 6، ص 397 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 396 وما بعدها.

والتي مدح بها الأمويين وولاتهم، فلم تكن غنية في عاطفتها، كسائر قصائده التي مدح بها العلويين وأبناء الزبير، فقد خرجت عن مبدأ الإخلاص، واتصلت بالأغراض الشخصية ذات النفع المادي البحث⁽¹⁾.

فقال الفرزدق يذكر دهاء آل المهلب وشجاعتهم في الهرب من السجن وحيلتهم التي استخدموها للخلاص من سجن الحجاج⁽²⁾:

فلم أرَ كالرَّهْطِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا	على الجذع والحراسُ غيرُ نيام
مضوا وهُم مُسْتَيْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ	إلى قَدَرٍ أَجَالُهُمْ وَحِمَام
وإنَّ مِنْهُمْ إِلَّا يُسَكَّنُ جَاشَهُ	بَعْضُ صَقِيلٍ صَارِمٍ وَحُسَام
فَلَمَّا التَّقُوا لَمْ يَلْتَقُوا بِمُنْفَى	كَبِيرٍ وَلَا رَخْصِ الْعِظَامِ غَلَام
بِمَثَلِ أَبِيهِمْ حِينَ تَمَّتْ لِدَاتُهُمْ	لخمسِينَ قُلْ فِي جُرْأَةٍ وَتَمَام

وقال عبدالله بن همام السلولي قصيدة يمدح بها المختار الثقفي ورجاله، فقد كان ابنُ همام في أول أمره عثمانياً أمويّاً، وكان قد سمع أحد الموالى من الشيعة يذكر عثمان وينال منه فغضب لذلك وعنفه وضربه بالسوط، ثم يصبح هذا المولى الذي ضربه ابن همام - وهو أبو عمرة كيسان - رئيس حرس المختار فيشعر ابنُ همام بالخطر، ويستخفي ويظل مستخفياً حتى يستأمن له أحد أبناء قبيلته من المقربين إلى المختار، وهو عبدالله بن شداد الحشمي فيؤمنه المختار، ويأتي ابنُ همام إليه، فينشده شعراً له في تأييد حركته، فيرضى عنه، ولكن بعضهم لا يعجبهم ذلك فأخذوا يذكرون ماضي هذا الشاعر السياسي المعارض لهم، ويهمون بقتله، فيقف إلى جانبه ابراهيم بن الأستر، ويعلن أنه جار له فيقبل عليه المختار فيؤمنه مرة أخرى⁽³⁾.

ومضى ابنُ همام يُعبّر في شعره عن ثورة المختار ومبادئها ويرسم صورة للقتال، فيتحدث عن شجاعة المختار ورجاله في المعركة، ثم يتحدث عن القبائل العربية التي اشتركت في القتال ويتحدث عن قوادها، ومن هذه القبائل مذحج بقيادة

(1) العصر الأموي، قصي الحسين، ص 58.

(2) تاريخ الطبري، ج 6، ص 449.

(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص 391 وما بعدها.

ابن مالك، وأسد بقيادة يزيد، وشيبان بقيادة نعيم وغيرها من القبائل الأخرى وهو عندما يذكر أسماء هؤلاء القادة يذكرهم بإعجاب وإكبار قال ابن همام⁽¹⁾:

وفي ليلة المختار ما يُذهلُ الفتى	ويلهيه عن رود الشباب شموع
دعا بالثراتِ الحسين فأقبلتُ	كتائبُ من همدانَ بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيسُ ابنُ مالك	يقودُ جموعاً عُبَّيتْ بجموع
ومن أسدٍ وافى يزيدُ لنصره	بكل فتى حامى الذمار منيع
وجاء نعيمٌ خيرُ شيبانِ كلها	بأمر لدى الهيجا أحدٌ جميع
ولا قيسُ نهْدٍ لا ولا ابنُ هوزانِ	وكلُّ أخو إخبطةٍ وخُشوع

ثم إنَّ عبدالله بن همام السلولي قال قصيدةً يمدح فيها إبراهيم بن الأشتر بعد أن أجاره وحماه من رجال المختار الذين حاولوا قتله، لأنهم أخذوا يذكرون ماضي ابن همام السياسي المعارض لهم، فأخذ ابن همام يذكر بسالة ابن الأشتر في القتال، ويذكر قبيلة هوازن التي غضبت له، فقال⁽²⁾:

أطفأ عني نارَ كلبين ألبا	على الكلابِ ذو الفِعالِ ابنُ مالكِ
فتى حين يلقى الخيلَ يفرقُ بينها	بطعنِ دراكٍ أو بضربِ مؤاشِكِ
وقد غضبتُ لى من هوازنِ عصابةً	طوالِ الذرا فيها عراضِ المباركِ

وعندما تولى نصر بن سيار على خراسان سنة عشرين بعد المائة، عمّرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والجبابة، فقال سوار بن الأشعر يمدح نصر بن سيار الذي أمن خراسان وأهلها بعد خوفهم من الظلم والأشرار، ثم أخذ يمدح نصر بن سيار ويتغنى به فقال⁽³⁾:

أضحت خراسانُ بعدَ الخوفِ أمانةً	من ظلم كلِّ غشومِ الحكمِ جبار
لما أتى يوسفُ أخبارُ ما لقيتُ	اختارَ نصراً لها نصرَ بنِ سيار
وفي سنة إحدى وعشرين بعد المائة، تمكن نصر بن سيار من قتل الأخرم	

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص35.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص37.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص158.

فارس التّرك فقال أبو نُميلة صالح بن الأَبَر يمدحه على ذلك⁽¹⁾:

كُنَّا وَأَوْبَةُ نَصْرَ عِنْدَ غِيْبَتِهِ كَرَأْبِ النَّوْءِ حَتَّى جَادَهُ الْمَطَرُ
أَوْذَى بِأَخْرَمَ مِنْهُ عَارِضٌ بَرْدٌ مُسْتَرْجِفٌ بِمَنَايَا الْقَوْمِ مُنْهَمَرٌ

3.3 الفخر:

لقد ارتبط الفخر بالأحداث التاريخية، مثله مثل المدح والثناء، وقد جاء في المرتبة الثالثة من حيث الكم بين الأغراض المختلفة في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- الفخر القبلي.

ب- الفخر الشخصي.

أ- الفخر القبلي:

مُنْذُ أَنْ وَجُدْتَ الْعَصِيَّةَ كَانَ الشُّعْرَاءُ حَمَلَةً لَوَائِهَا وَرَسَلَهَا الْمُخْلِصِينَ، يُبَشِّرُونَ بِدَعْوَتِهَا وَيَسِيرُونَ فِي رِكَابِهَا، حَتَّى كَادَتْ الْعَصِيَّةُ تَسْتَأْثِرُ بِمُشَاعِرِهِ وَعَوَاطِفِهِ، فَقَدْ كَانَ دَاعِيًا مُخْلِصًا مِنْ دَعَاةِ الْعَصِيَّةِ يَهْتَدِي بِهَدْيِهَا وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهَا، لِذَلِكَ كَانَ الطَّابِعُ الْقَبْلِيُّ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى شِعْرِهِ⁽²⁾.

وكان للأحداث في العصر الأموي أن تلقي بظلالها على القبائل وعلى شعرائها بوجه خاص، فوقف كلُّ شاعرٍ يمجّد قبيلته ويذكر مواقفها، ويعدّد أيامها سواء ما كان منها في الجاهلية وفي الإسلام، وكان موقف الشاعر ينبني على موقف قبيلته في الغالب، ففي سنة ثمان وستين كتب زُفر بن الحارث إلى مصعب: "قد كفيّتك قتال ابن الزرقاء وابن الحرّ يهجو قيساً"⁽³⁾، وبعد ذلك قتله رجل من قيس عيلان يُقال له عيَّاش، فقال زُفر بن الحارث يفتخر بقبيلة قيس عيلان لقتالها عبيد الله ابن الحرّ جزاءً له على هجائه لقبيلة قيس فابن الحرّ كما يقول ابن الحارث يجهل

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص176.

(2) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص365.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص137.

تلك القبيلة وسطوتها فلو كان ابن الحرّ على علم لعلم أنها يمانية، ولعلم قوتنا ووقع سيوفنا، فقال⁽¹⁾:

لما رأيتُ الناسَ أولادَ علةٍ	وأغرق فينا نزعَةَ كُلِّ قائلٍ
تكلّمَ عنّا مشيُنا بسيوفنا	إلى الموتِ واستنشاطِ حبلِ المراكِلِ
فلو يسألُ ابنُ الحرّ أخبِرَ أنّها	يمانية لا تُشترى بالمغازلِ
وأخبِرَ أنّا ذاتُ عِلْمٍ سيوفنا	بأعناقِ ما بينَ الطلّى والكواهِلِ

وكان عبيد الله بن الحرّ خارجاً على مصعب بن الزبير ورفض مبايعته، فكان يقول: "ما رأينا بعد الأربعة الماضين إماماً صالحاً، ولا وزيراً تقيّاً، كلهم عاصٍ مخالف، قويّ الدنيا ضعيفُ الآخرة، فعلام تستحلّ حرمتنا"⁽²⁾، فكان هذا من الأسباب التي أدت إلى قتله.

وقال عبدالله بن همام السلولي يفخر أيضاً بقتل عبيدالله بن الحرّ على يد قبيلة قيس، ويؤنبه على هجائه الساقط لقبيلة قيس، ويذكره بتلك الرماح التي ضرب بها ويُعيّره بنسبه المتردي، ويقول لقد هُزم على أيدينا منذ أن كان يافعاً، ثم يقول تبا لقبيلة مذحج وسخطاً لهم، فقال⁽³⁾:

ترنمتَ يابنَ الحرّ وحدك خالياً	بقول امرئٍ نشوانٍ أو قول ساقطٍ
أتذكرُ قوماً أوجعتك رماحهمُ	وذّبوا عن الأحسابِ عندَ المآقِطِ
وتبكي لما لاقت ربيعةً منهمُ	وما أنتَ في أحساب بكرٍ بواسِطِ
ضربنا بحدّ السيفِ مفرق رأسه	وكان حديثاً عهدُهُ بالمواشِطِ
فإن رغمتُ من ذاك أنفُ مذحجٍ	فرغماً وسخطاً للأنوف السّواخِطِ

وعندما كانت الحرب بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير، استجار خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد وهو أحد قادة جيش عبدالملك بمالك بن مسمع فأجاره ووقفت تميم إلى جانب عبدالملك في حربه ضد الزبيريين، فقال الفرزدق

(1) تاريخ الطبري، ص 137.

(2) المصدر نفسه، ج 6، ص 137.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 137 وما بعدها.

مفتخراً بقبيلة تميم ويعتب على قبيلته للحاقها بمالك بن مسمع ضد الزبيريين، فقال⁽¹⁾:

عجبت لأقوام تميم أبوهم	وهم في بني سعد عظام المبارك
وكانوا أعز الناس قبل مسيرهم	إلى الأزد مُصَفراً لحاها ومالك
فما ظنكم بآبن الحوارى مُصَنَّبٍ	إذا افترَّ عن أنيابه غير ضاحك
ونحن نفينا مالكا عن بلاده	ونحن فقأنا عينه بالنيازك

وعندما وصل خبر موت الوليد بن عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم وقيام سليمان بعث إليه بكتاب يهنئه وبكتاب آخر يُهدده فيه إن عزله عن خراسان وولي بدلاً منه يزيد بن المهلب فإنه سيقاتله، فغضب سليمان بن عبد الملك من ذلك وأرسل إليه جيشاً بقيادة وكيع وهو أحد قادة تميم فتمكن وكيع من قتل قتيبة⁽²⁾، فقال الفرزدق مفتخراً ببعض أرهاط تميم وقتل قتيبة، ويُشيد بوقعة وكيع، ويفتخر بأن تميماً هم الذين سلّوا السيوف في وجه الأعداء، ويرى أن بني تميم هم السادة والناس عبيد لهم، فوكيع كالجبل يعلو الجبال وأن فعله بهم كفعل الرجال المسلمين في غزوة بدر واليرموك، فقال⁽³⁾:

ومنا الذي سلّ السيوف وشامها	عشيّة باب القصر من فرغان
عشيّة لم تمنع بنيتها قبيلة	بعز عراقى ولا بيمان
رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التقت	رؤوس كبيرينهنّ ينّطحان
رجال على الإسلام إذ ما تجالدوا	على الدين حتى شاع كل مكان
وحتى دعا في سور كل مدينة	مناد ينادى فوقها بأذان
سيجزي وكيعاً بالجماعة إذ دعا	إليها بسيف صارم وبنان
جزاء بأعمال الرجال كما جرى	ببدر وباليرموك فئ جنان

وعندما لحق يزيد بن المهلب بالبصرة، واستولى عليها وحبس عاملها عدي ابن أرطاة الفزاري، وخلع يزيد بن عبد الملك اندفع ثابت يستفزّه لكي يمضي في

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص153 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص507 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص520.

ثورته، مُشجَّعاً له على التحرك السريع، واغتنام الوقت قبل أن تضيع الفرصة منه⁽¹⁾، فساندته الأزد وربيعه، وأقبل مدرك بن المهلب لينضم إلى أخيه يزيد بالبصرة، فلاقاه فرسان بني تميم، مضمرين قتله فعلمت الأزد بأمرهم فخرجت إليهم، ومنعتهم من التعرض له، فقال ثابت قطنه مفتخراً بقبيلة الأزد على شجاعتها في ملاقات فرسان بني تميم، فما منعهم من قتل مَذْرِك إلا رماح الأزد وعزّهم القديم في ميادين القتال، وما عُرف عنهم من شجاعة وبأس، وبهؤلاء الفرسان من الأزد استطاعوا حمايته من قتل مؤكد، فقال⁽²⁾:

ألم ترَ دَوْسَراً منعَت أخاها	وقد حَشَدْتُ لَتَقْتُلُهُ تَمِيمُ
رَأَوْا مِنْ دُونِهِ الزُّرُقَ الْعَوَالِي	وَحَيّاً مَا يُبَاحُ لَهُمْ حَرِيمُ
شَنُوعَتِهَا وَعَمْرَانُ بْنُ حَزْمٍ	هَنَّاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسْبُ الصَّمِيمُ
فَمَا حَمَلُوا وَلَكِنْ نَهْنَهَتَهُمْ	رِمَاحُ الْأَزْدِ وَالْعِزُّ الْقَدِيمُ
وَدَدْنَا مُدْرِكاً بِمَرْدٍّ صِدْقٍ	وَلَيْسَ بِوَجْهِهِ مِنْكُمْ كُلُّومُ
وَخَيْلٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ	لَدَى أَرْضٍ مَغَانِيهَا الْجَمِيمُ
بِهِمْ تُسْتَعْتَبُ السُّفَهَاءُ حَتَّى	تَرَى السُّفَهَاءَ تَرْدَعُهَا الْخُلُومُ

وفي سنة ست ومائة كانت وقعة البروقان بين المضرية واليمانية وربيعه بالقرب من أرض بلخ، والسبب في هذه الواقعة أنّ مسلم بن سعيد غزا فقطع النهر، وتباطأ الناس عنه، وكان ممّن تباطأ عنه البختري بن درهم، فأحرق نصر بن سيار باب البختري فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ، فتجمعت بكر والأزد بالبروقان رأسهم البختري، وخرجت مضر إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم، ثمّ كرّت تميم وهزموا أصحاب عمرو.

وانهزم عمرو، وقام نصر ومن معه وجردوهم سراويلاتهم فقال بيان العنبري يذكر حروبهم بالبرقان، ويُشيد ببلاء قومه تميم، وقد أرجفت هذه الواقعة كل من سمع عنها، ويصوّر الشاعر كيف هربت قبيلة بكر والقبائل المتحالفة معها من وجه

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص222.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص586.

فرسان تميم فقد أسلموا عمرو بن مسلم للموت، وكانت الرماح تلحق بهم، فقال⁽¹⁾:
 أَنَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لَأَلِ تَمِيمٍ أَرْجَفْتُ كُلَّ مُرْجَفٍ
 تَظَلُّ عُيُونُ الْبُرْشِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِذَا ذُكِرَتْ قَتْلَى الْبُرُوقَانِ تَذَرْفُ
 هُمْ أَسْلَمُوا لِلْمَوْتِ عَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ وَوَلَّوْا شِلَالاً وَالْأَسْنَةَ تَرْعَفُ
 وَكَانَتْ مِنَ الْفَتَيَانِ فِي الْحَرْبِ عَادَةً وَلَمْ يَصْبُرُوا عِنْدَ الْقَنَا الْمُنْقَصَفِ

ونرى أن مبدأ التحالف كان سائداً بين القبائل أثناء حروبها مع أعدائها، ويقول الدكتور إحسان النص: "أدركت القبائل في هذا العصر أن مصلحتها تقتضي بشدة تماسكها وتناصر أفرادها، لأنها بتماسكها وتناصرها تستطيع تحقيق أغراضها من تبوء المناصب الرفيعة في الدولة وجر المغانم إلى أبنائها"⁽²⁾.

وفي سنة ست وعشرين ومائة أجمع على قتل الوليد بن يزيد جماعة من قضاة واليمنية من أهل دمشق وذلك لما عُرف عنه من خلاعته ومجائنته واستخفافه بأمر دينه، فنقل ذلك من أمره على رعيته وجنده، فكرهوا أمره، من أجل ذلك أجمعوا على قتله، فأتوا إلى خالد بن عبدالله فدعوه إلى أمرهم فلم يجبههم، فسألوه أن يكتم عليهم، فقال: لا أسمى أحداً منكم، وأراد الوليد الحج، فخاف الوليد أن يفتكوا به في الطريق، فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين، أخر الحج العام، فقال: ولم؟ فلم يخبره، فأمر بحبسه وأن يستأدى ما عليه من أموال العراق.

فقال عمران بن هلباء الكلبي يفتخر بالقبائل اليمنية لدورها في نجدة خالد بن عبدالله، ويُشيد بشجاعته في مواجهة الأعداء ثم يمدح الشاعر خالد بن عبدالله وأن له الفضل الكبير على الأموات والأحياء من نزار، فقد كان يغيث اليتامى، ويكفن الموتى من نزار، ويثري حيهم نسباً ومالاً، ثم يتوعد الشاعر الذين جاروا على خالد ابن عبدالله، ويقول الشاعر لو أن الجائرين عليه كانوا بساحة قومه لكانوا نكالا، فقال⁽³⁾:

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص 32.

(2) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص282.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص235 وما بعدها.

قَفِي صَدْرَ الْمُطَيَّةِ يَا حَلَالَا
أَلَمْ يَحْزَنْكَ أَنْ ذَوَى يَمَانٍ
جَعَلْنَا لِلْقَبَائِلِ مِنْ نِزَارٍ
مَتَى تَلَقَّ السَّكُونُ وَتَلَقَّ كَلْبًا
كَذَاكَ الْمَرْءُ مَا لَمْ يُلَفَّ عَدْلًا
أَعْدُوا آلَ حَمِيرٍ إِذْ دُعِيتُمْ
سَنَبِكِي خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ
أَلَمْ يَكْ خَالِدٌ غَيْثَ الْيَتَامَى
يُكْفَنُ خَالِدٌ مَوْتَى نِزَارٍ
لَوْ أَنَّ الْجَائِرِينَ عَلَيْهِ كَانُوا
وَجَذَى حَبْلَ مَنْ قَطَعَ الْوَصَالَا
يُرى مَنْ حَاذَ قَيْلَهُمْ جَلَالَا
غَدَاةَ الْمَرْجِ أَيَامًا طَوَالَا
بَعْبُسٍ تَخْشَى مِنْ مَلِكٍ زَوَالَا
يَكُونُ عَلَيْهِ مِنْطَقُهُ وَبَالَا
سُيُوفَ الْهِنْدِ وَالْأَسْلَ النَّهَالَا
وَلَا تَذْهَبُ صَنَائِعُهُ ضَلَالَا
إِذَا حَضَرُوا وَكَنتَ لَهُمْ هُزَالَا
وَيُثْرَى حَيِّهِمْ نَشْبًا وَمَالَا
بِسَاحَةِ قَوْمِهِ كَانُوا نَكَالَا

وقد كان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة⁽¹⁾، لذلك ثارت عليه بعض القبائل، فقال بعض شعرائهم يفتخرون ببلاء هذه القبائل ومنها كلب وغسان وعبس وتغلب أي أن هناك عدداً كبيراً من القبائل التي ثارت عليه، فقال بعض الشعراء⁽²⁾:

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا
وكلب فجاءوهم بخيل وعدة
فأكرم بهم أحياء أنصار سنة
وجاءتهم شعبان والازد شرعاً
وغسان والحيان قيس وتغلب
فما أنصحوهم إلا وهم أهل ملكها
سكاسكها أهل البيوت الصناديد
من البيض والأبدان ثم السواعد
هم منعوها حرمتها كل جاحد
وعبس ولخم بين حام وذائد
وأحجم عنها كل وان وزاهد
قد استوثقوا من كل عاتٍ ومارد

وقال أيضاً أبو محجن مولى خالد يفتخر بالقبائل اليمانية التي ثارت على الوليد بن يزيد، ويقول من يسأل وليداً ويسأل أهل عسكره ماذا فعلنا بهم، والخيل

(1) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، بيروت - لبنان، ط2، 1986، ص541.

(2) تاريخ الطبري، ج7، ص242.

تحت عجاج الموت تطرد، ويقول من يهجنأ بلغة الشعر، فإننا نهجه بلغة السيوف والرماح، فقال⁽¹⁾:

سائل وليدأ وسائل أهل عسكره غداة صبحه شؤبؤبنا برِدْ
هل جاء من مضر نفس فتمنعهُ والخيل تحت عجاج الموت تطردْ
من يهجنأ جاهلاً بالشعر ننقضهُ بالببيض إنا بها نهجو ونفتدْ

وهكذا ثارت القبائل اليمانية لنجدة خالد بن عبدالله القسري عندما علمت بأسر الوليد بن يزيد له وحبسه، فقد كان خالد القسري والي العراق، شديد العصبية لقومه اليمانيين⁽²⁾.

ب- الفخر الشخصي:

في سنة أربع وستين وبعد وفاة معاوية الثاني وفراغ منصب الخلافة الإسلامية، كانت وقعة مرج راهط بين القبائل القيسية التي كانت تشايع عبدالله بن الزبير بقيادة الضحاك بن قيس الفهري، والقبائل اليمانية وخاصة قبيلة كلب التي كان هواها مع البيت الأموي، فقال زفر بن الحارث يتوعد بني أمية والقبائل اليمانية التي كانت تناصرها، وتقف معها ويتحسّر على من قُتل في المعركة من رجالات قيس وزعمائها ويؤكد على تنامي الجرح داخل نفسه، وأنه لن ينسى ما حدث ويتوعد بأنه سوف يأخذ الثأر من الأمويين، ويذكر بلاءه وشجاعته في المعركة فيقول مفتخراً⁽³⁾:

أريني سلاحى لا أبا لك إتنى أرى الحرب لا تزداد إلا تآمدا
أتاني عن مروان بالغيب أنه مقيّد دمي أو قاطع من لسانيا
فلا تحسبوني إن تغيبت غافلاً ولا تفرحوا إن جئكم بلقائيا
أذهب كلب لم تنلها رماحنا وتترك قتلى راهط هي ما هيا
فلم تر منى نبوة قبل هذه فرارى وتركى صاحبى ورائيا
عشية أعدو بالقران فلا أرى من الناس إلا من على ولا ليا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا وتثار من نسوان كلب نسائيا

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص261.

(2) العصر الأموي، قصي الحسين، ص131.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص541 وما بعدها.

وعندما تمكّن وكيع وهو أحد قادة بني تميم من قتل قُتَيْبَةَ بن مُسلم سنة ست وتسعين أخذ يفتخر بنفسه ونسبه، فقال⁽¹⁾:

أنا ابن خِنْدَفَ تَتَمِينِي قِبَائِلُهَا لِلصَّالِحَاتِ وَعَمَى قَيْسُ عَيْلَانَا
كان كعب بن جابر أحد الكوفيين الذين كانوا يقاتلون مع بني أمية ضد الحسين بن علي، فعندما انتهى القتال عادَ إلى الكوفة، فلامته امرأته أو أخته على ذلك⁽²⁾، ونلاحظ أن الشاعر ساخط على صاحبتة غاضب عليها غضباً يصل به إلى هجائها، لأنها تحولُ بينه وبين الإخلاص لمبدئه السياسي ويُعلن لها أن دينه ليس دين هذه العصبة التي خرجت مع الحسين وهو يقصد عقيدته السياسية، ويتحدث عن أسلحته التي خرج بها للقتال ويتحدث أيضاً عن شجاعة أنصار الحسين وبطولاتهم وصبرهم ثم يتحدث ويفتخر بشجاعته، وأنه يقاتل مع بني أمية وعنهم باقتناع كامل، فهواه معهم، ودينه دينهم، وقد خبرهم وعرفهم مذ كان غلاماً يافعاً، تشرّب حبهم وكبر معه احترامهم، وبالتالي فهواه ليس مع هوى الهاشميين أو غيرهم ممّن يُعادي الأمويين يقول⁽³⁾:

سَلَى تُخْبِرِي عَنِّي وَأَنْتِ ذَمِيمَةٌ	غَدَاةَ حُسَيْنٍ وَالرَّمَاخُ شَوَارِعُ
أَلَمْ آتِ أَقْصَى مَا كَرِهْتَ وَلَمْ يُخِلْ	عَلَى غَدَاةِ الرَّوْعِ مَا أَنَا صَانِعُ
مَعِيَ يَزْنِي لَمْ تَخُنْهُ كَعُوبُهُ	وَأَبْيَضُ مَخْشُوبُ الْغَرَارِينَ قَاطِعُ
فَجَرَدَتْهُ فِي عُصْبَةٍ لَيْسَ دِينُهُمْ	بَدِينِي وَإِنِّي بَابِنِ حَرْبٍ لِقَانِعُ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُمْ فِي زَمَانِهِمْ	وَلَا قَبْلَهُمْ فِي النَّاسِ إِذْ أَنَا يَافِعُ
أَشَدَّ قِرَاعاً بِالسَّيُوفِ لَدَى الْوَعْيِ	أَلَا كُلُّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَارَ مُقَارِعُ
وَقَدْ صَبَرُوا لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ حُسْرًا	وَقَدْ نَازَلُوا لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
فَأَبْلَغُ عَبْدِ اللَّهِ إِمَّا لَقِيْتَهُ	بَأَنِّي مُطِيعٌ لِلْخَلِيفَةِ سَامِعُ

وعند محاصرة الحسين بن علي ومَنْ معه من أهل الكوفة سنة إحدى وستين من قبل الجيش الأموي طلب منهم الحسين بن علي أن يكفوا عنهم حتى يصلوا فقال

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص518.

(2) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص374.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص433.

لهم الحصين بن تميم: إنها لا تُقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: الصلاة لا تقبل من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل منك يا حمار، فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه فجعل حبيب يقول مفتخراً بنسبه وبأبيه الفارس ويفتخر بمن كان مع الحسين من أنصاره وأنهم أتقى من الأمويين وأعلى حجةً فقال⁽¹⁾:

أنا حبيب وأبى مَظَاهِرُ فارسٌ هِجَاءٌ وحربٌ تُسَعِرُ
أنتم أعدُّ عُدَّةٍ وأكثُرُ ونحن أَوْ في منكم وأصْبِرُ
ونحن أعلى حُجَّةً وأظْهَرُ حقاً وأتقى منكم وأعْذِرُ

ولم يُتَح للشعراء وخاصة الشعراء الكوفيين أن يتحدثوا عن ثورة الحسين ومصرعه إلا بعد وقت غير قصير، عندما بدأت صيحة "يا لثارات الحسين"⁽²⁾، ولعلّ السبب في ذلك هو خوف الشعراء من بني أمية.

وقد شارك الرجز إلى جانب القصيد في التعبير عن ثورة الحسين، وتسجيل بطولاتها، فقد كان يزيد بن زياد الكندي يُناصر الحسين، فأخذ يرتجز مفتخراً بشجاعته ومفتخراً بنفسه وبآبائه فقال⁽³⁾:

أنا يزيد وأبى مُهَاصِرُ أشجعُ من ليثٍ بغيلٍ خادرٍ
يا ربّ إنّي للحسين ناصرٍ ولابن سعدٍ تاركٍ وهاجرٍ

قال الحسين بن علي في خطبته "وأنا أحقُّ من غيري"⁽⁴⁾، ولعلّه أراد من ذلك أن يُشعر المسلمين أن آل البيت أحقُّ من غيرهم في الخلافة لأنهم ورثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك ليُشعر المسلمين بحقيقة ادعاءات الأمويين الدينية، وفي أثناء معركة كربلاء أخذ الحسين بن علي يرتجز مفتخراً بشجاعته وعدم رضاه ببيعة

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص439.

(2) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص370.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص445.

(4) الشعر الأموي بين الفن والسلطان، عبدالمجيد زراقت، دار الباحث، بيروت - لبنان،

ط1، 1983، ص274.

ال خليفة وواليه عبيدالله بن زياد، لأنَّ عبيدالله لا يستحقُّ الولاية، لأنَّه دعى النسب ولا ينتمي إلى آباء مشاهير معروفين، فقال⁽¹⁾:

أنا عليُّ بنُ حسين بن علي نحن وربُّ البيت أولى بالنبي

تالله لا يحكمُ فينا ابن الدّعي

وكان عبدالله بن عمير الكلبيّ أحد أنصار الحسين، يرتجز أثناء قتاله مفتخراً بنسبه وبشجاعته، وأنَّه يقاتل بشجاعة في صفوف الحسين، فهو يتقدمهم في القتال، فقال⁽²⁾:

إنْ تُنكرونني فأنا ابن كلب حَسْبِي بَيْتِي فِي عَليِّمِ حَسْبِي

إنِّي امرؤٌ ذو مِرَّةٍ وَعَصَبٍ وَلَسْتُ بِالخَوَّارِ عِنْدَ النَّكَبِ

إنِّي رَعِيمٌ لَكَ أُمَّ وَهَبٍ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مُقَدِّمًا وَالضَّرْبِ

ضَرَبِ غُلامٍ مُؤْمِنٍ بِالرَّبِّ

وقال أيضاً عمرو بن قرظة يرتجز مفتخراً بقتاله في صفوف الحسين بن

علي⁽³⁾:

قَدْ عَلِمْتُ كُتَيْبَةَ الْأَنْصَارِ أَنِّي سَأَحْمَى حَوْزَةَ الذَّمَّارِ

ضَرَبِ غُلامٍ غَيْرِ نَكْسٍ شَارِي دُونَ حُسَيْنٍ مُهْجَتِي وَدَارِي

وكما كان أنصار الحسين يفتخرون بقتالهم في صفوف الحسين بن علي نجد في المقابل أنَّ أعداء الحسين يتباهون ويفتخرون بقتالهم له، ومن هؤلاء شمر بن ذي الجوشن الذي أخذ يفتخر بشجاعته ويطلب من المقاتلين أن يتركوا الحسين وأنصاره له ليقتلهم، فقال⁽⁴⁾:

خَلَّوْا عُدَاةَ اللَّهِ خَلَّوْا عَنْ شَمْرِ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَفْرُ

وهو لكم صابٌ وسمٌ ومقرٌ

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص446.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص430.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص434.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص442.

وفي السنة السادسة والستين بعث المختار جيشه للمكر بعبدالله بن الزبير، فقال العباس مرتجزاً يفتخر بشجاعته في لقاء جيش المختار⁽¹⁾:

أنا ابن سهل فارس غير وكل
وأعتلى رأس الطرمّاح البطل
أروغ مقدام إذا الكبش نكل
بالسيف يوم الرّوع حتّى يُنزل

وفي سنة ثمان وستين هرب عبيد الله بن زياد، ومات يزيد بن معاوية، فقال عبيد الله بن الحرّ لفتيانته: قد بين الصبح لذي عينين، فخرج إلى المدائن فلم يدع مالا قدّم من الجبل للسلطان إلا أخذه، فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه⁽²⁾.

ولم يكن ابن الحرّ يُغير إلا على أموال الدولة، يجهد في حفظ النظام في المناطق التي يُسيطر عليها⁽³⁾، فكان ابن الحرّ كثيراً ما يصطدم مع المختار ويغير، وكان الثاني ينتقم منه بسجن امرأته أم سلمة الجعفيّة، فلما بلغ ذلك ابن الحرّ أقبل في فتيانته حتى دخل الكوفة ليلاً، فكسر باب السجن وأخرج امرأته ورجلاً كانا فيه.

فقال يفتخر بنفسه بأنه الفارس الحامي ويصف إمرأته ويشبه جبينها عندما بدا لهم بقرن الشمس، ويقول إنّ مغامرته هذه من أجل زوجته التي تستحق هذا، ومن أجل العيش الكريم، حيث يرى الأمل في العيش الكريم عندما يحقق انتصاره بعد المعركة، يقول⁽⁴⁾:

ألم تعلمي يا أمّ توبة أنّي	أنا الفارس الحامي حقائق مدحج
وأني صبحت السجن في سورة الضحى	بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما إن برحن السجن حتى بدا لنا	جبين كقرن الشمس غير مشنج
وما أنت إلا همّة النفس والهوى	عليك السلام من خليط مسجج
فبالله هل أبصرت مثلي فارساً	وقد ولجوا في السجن من كل مولج
ومثلي يحامي دون مثلك إنني	أشدّ إذا ما غمرة لم تفرج
أضاربهم بالسيف عنك لترجي	إلى الأمن والعيش الرفيع المخرفج

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص74.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص128.

(3) الشعر الأموي بين الفن والسلطان، عبدالمجيد زراقت، ص394.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص129 وما بعدها.

إذا ما أحاطوا بى كررتُ عليهمُ ككرَّ أبى شبلين في الخيس مُخرج
ثم قام ابنُ الحرِّ يعبثُ بعمّال المختار وأصحابه، ووثب همدان مع المختار
فأحرقوا داره، وانتهبوا ضيعته، فلما بلغه ذلك أقبل إلى السواد فلم يدع مالا لهمدانيّ
إلا أخذَه، فقال يفتخر بنفسه وبشجاعته في كلِّ موقف، ويقول أنه ليس من الحق أن
تُنهب ضياعه وتُحرق داره، وقبل ذلك قادوا زوجته إلى السجن، فتوعدهم بالقتل،
فقال⁽¹⁾:

وما تركَ الكذابُ منْ جُلِّ مالنا	ولا الزرقُ منْ همدانَ غيرَ شريدٍ
أفى الحق أن تنهبَ ضياعى شاكراً	وتأمنَ عندي ضيعةَ ابنِ سعيدٍ
ألم تعلمى يا أمَّ توبةَ أننى	على حدثان الدهر غَيْرُ بليدٍ
أشدُّ حيازيمى لكلِّ كريهةٍ	وإنى على ما ناب جدُّ جليدٍ
هُمُ هدموا دارى وقادوا حليلتى	إلى سِجْنِهِمُ والمسلمونَ شهودى
فما أنا بابن الحرِّ إن لم أرُعْهُمُ	بخيلٍ تعادى بالكِماءِ أسود

قام مصعب بن الزبير بسجن ابن الحرِّ، لأنَّ بعض الناس قالوا لمصعب إن
ابن الحرِّ شاق عبيد الله بن زياد والمختار ولا نأمنه أن يثبت بالسواد كما كان يفعل،
قال ابن الحر يفتخر بنفسه ويتوعد مصعب بن الزبير بالقتال وبالغارة عليه، وقد قال
هذه القصيدة عندما خرج من الحبس⁽²⁾:

لا كُوفَةٌ أُمى ولا بصرةٌ أبى	ولا أنا يثينى عن الرحلة الكسلُ
فلا تحسبنى ابنَ الزُّبيرِ كناعسٍ	إذا حلَّ أعفى أو يقال له ارتحل
فإن لم أزرِك الخيلَ تردى عوابساً	بفرسانها لا أدعَ بالحازمَ البطلُ
وإن لم ترَ الغارات من كلِّ جانبٍ	عليك فتندم عاجلاً أيُّها الرّجلُ
فلا وضعتُ عندي حصانٌ قناعها	ولا عشتُ إلا بالأمانى والعِللُ

(1) تاريخ الطبري، ج6، 130.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص132.

3.4 الهجاء:

لقد ارتبط الهجاء بالأحداث التاريخية، مثله مثل المدح والثناء والفخر، وقد جاء في المرتبة الرابعة من حيث الكم بين الأغراض الشعرية في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى عدة أقسام: هجاء الخلفاء والأمراء، وهجاء الولاة والقادة.

أ- هجاء الخلفاء والأمراء:

اتكأ الشعراء الأمويون في جانب كبير من أهاجيهم على المثالب التي اتكأ عليها الهجاءون في الجاهلية، إذ عابوا مهجويهم بوضاعة النسب، ودناءة الحسب⁽¹⁾، ومن ذلك هجاء يزيد بن مفرغ لأسرة زياد بن أبيه، فأخذ يهجو عبّاداً وأخاه عبيدالله والي العراق وأباهما زياداً هجاءً مقذعاً، وكان مما وقف عنده طويلاً استلحاق معاوية بن أبي سفيان لزياد مُعلنًا نكيره على هذا الاستلحاق، فكان أهل البصرة يتغنون بهجائه لتلك الأسرة، فأخذ يزيد بن مفرغ ينكر على معاوية أن يلحق زياد بنسبه ويقول له إن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان، فقال⁽²⁾:

ألا أبلغ معاوية بن حرب	مُغْلَغَلَةً من الرّجل اليماني
أتغضب أن يُقال أبوك عفّ	وترضى أن يُقال أبوك زان
فأشهد أن رَحَمَكَ من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان

ونجد أن ابن مفرغ يركز في هجائه لأسرة زياد بن أبيه على قضية النسب لما لها من أهمية في حياة العربي الحر؛ لأنّ العرب كانوا أكثر ما يتباهون بشرف النسب والحسب فاستغل ابن مفرغ قضية إلحاق معاوية لزياد بنسبه، فأخذ يهجوهم بها فقال⁽³⁾:

إذا أودى معاوية بن حرب	فبشّر شعباً قعبك بانصداع
فأشهد أن أمك لن تُبأشر	أبا سُفيان واضعة القناع
ولكن كان أمراً فيه لبس	على وجلٍ شديد وارتياح

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص 187.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 318.

(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 318 وما بعدها.

فسجنه عبيد الله بن زياد ونكّل به، وأمر أن يُسقى نبيذاً ويُحمل على بعير مقروناً إلى هرة وخنزير ويُطاف به في أزقة البصرة على تلك الصورة⁽¹⁾. وكان عباد بن زياد طويل اللحية عريضها، فركب ذات يوم وابن مفرغ يسير معه في موكبه بسجستان، فهبت ريح فنفتحت لحيته فقال ابن مفرغ⁽²⁾:
 أَلَا لَيْتَ اللَّحَى كَانَتْ حَشِيشاً فَنَعْلِفُهَا خُيُولَ الْمُسْلِمِينَ
 ثُمَّ هَجَا ابْنَ مَفْرَغٍ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَظَنَّهُ أَنَّ الْهَجَاءَ يَرْسُخُ فِيهِ لَا تَبْلِيهِ
 الأيام⁽³⁾:

يَغْسِلُ الْمَاءُ مَا صَنَعْتَ وَقَوْلِي رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي
 وفي سنة اثنتين وثمانين كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج، فقد خالف ابن الأشعث ومن معه من جنود العراق أن يقاتلوا بلاد ما وراء الترك فاتهمه الحجاج بالضعف والخذلان، فأقبل عبدالرحمن بن الأشعث وجنوده لحرب الحجاج فقال الطفيل بن عامر بن واثلة يهجو الحجاج ويتهمه بالجبن والخوف وأن جنود ابن الأشعث متى ما نزلوا الكوفة والبصرة فإنه سوف يهرب منهم ويتوعدده بالعذاب على يد ابن الأشعث وجنوده، فقال⁽⁴⁾:

أَلَا أَبْلُغُ الْحَجَّاجَ أَنَّ قَدْ أَظْلَمَ عَذَابَ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبُ
 متى نهبط المصريين يهرب محمدٌ وليس بمنجى ابن اللعين هروبُ
 قام الحجاج بعزل يزيد بن المهلب عن خراسان؛ لأنه كان يتخوف من سطوة آل المهلب وطاعتهم لآل الزبير، وولى بدلاً منه أخاه المفضل، ثم قام الحجاج بعزل المفضل، فقال الشاعر يهجو المفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه، فيقول لهم لقد حفرتم لأخيك حفرة فوقعتم فيها أخراكم الله على فعلتكم هذه⁽⁵⁾:
 يَا بَنِي بَهْلَةَ إِنَّمَا أَخْرَاكُمَا رَبِّي غَدَاةَ غَدَا الْهُمَامِ الْأَزْهَرُ

(1) العصر الإسلامي، ص 237.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 318.

(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 319.

(4) المصدر نفسه، ج 6، ص 343 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج 6، ص 395.

أحفرتم لأخيكُم فوقعتُم في قعرِ مُظلمةٍ أخوها المَعورُ
جودوا بتوبةٍ مُخلصينَ فإنما يَأبى ويأنف أن يتوبَ الأخصرُ

وعندما خرج ابن الأشعث من سجستان إلى العراق لحرب الحجاج، سار بين يديه الأعشى على فرس فقال قصيدةً يهجو فيها الحجاج، فيصبُّ هجاءه أولاً على ثقيف، تلك القبيلة التي خرج منها كذابان: المختار ثم الحجاج، ويذكر أن الله هياً لهمدان أن تتمكن من ثقيف لتنتقم منها، ثم ينتقل إلى الحديث عن حركة ابن الأشعث "السيد الغطريف" الذي خرج إلى الحجاج "الكفور الفتان" الذي كفر بعد إيمانه وطغى في كفره، ويذكر أن ابن الأشعث خرج في جيش ضخم من العراق من القحطانية والعدنانية على حدٍّ سواء، ويتوعد الحجاج "ولي الشيطان" بأن اليمينية يسقونه كأساً مسمومة قاتلة، يقول⁽¹⁾:

شَطَّتْ نَوَى مِنْ دَارُهُ بِالْإِيوَانِ	إِيوَانُ كَسَرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانِ
مَنْ عَاشَقَ أَمْسَى بِزَابِلِسْتَانَ	إِنْ ثَقِيفاً مِنْهُمْ الْكَذَابَانَ
كَذَابُهَا الْمَاضَى وَكَذَابُ ثَانَ	أَمْكَنَ رَبَّى مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانَ
يَوْمَا إِلَى اللَّيْلِ يُسَمَّى مَا كَانَ	إِنَّاتِ سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَانَ
حِينَ طَغَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ	بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
سَارَ بِجَمْعٍ كَالدَّبَى مِنْ قَحْطَانَ	وَمَنْ مَعَدُّ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ
بِجَحْقَلٍ جَمٌّ شَدِيدِ الْإِرْنَانَ	فَقُلْ لِحَجَّاجٍ وَلِىَّ الشَّيْطَانَ
يَثْبُتُ لَجْمَعٍ مَذْحِجٍ وَهَمْدَانَ	فَإِنَّهُمْ سَاقَوْهُ كَأْسَ الذِّيفَانَ

وَمُلْحِقُوهُ بِقُرَى ابْنِ مَرْوَانَ

ب- هجاء الولاة والقادة:

تولَّى حرب الخوارج ولاة أمويون منهم خالد بن عبدالله بن أسيد الذي ولي البصرة ونهض لحرب الخوارج، ولكنه وضع نفسه موضعاً حرجاً عند نهر تيري استنفذه منه المهلب فعاد الخوارج إلى كرمان كما عاد خالد إلى البصرة، وترك قيادة الجيش لأخيه عبد العزيز والي فارس، وتمكّن الخوارج من هزيمة عبدالعزيز هزيمة منكراً في دار بجرد وأسروا امرأته فأقاموها فيمن يزيد وقد تعرّض عبدالعزيز للوم

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص337.

شديد وتقريع بالغ من الشاعر ابن قيس الرقيات ويعيّره بفراره وهزيمته من قبل الخوارج وكيف أنه ترك جيشه صرعى، فهذا عار عليه مدى الحياة، فقال⁽¹⁾:

عبدالعزیز فَضَحْتَ جيشك كلهم	وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذی عطشٍ يجودُ بنفسه	وملحَّبٍ بين الرجال قتيل
هلاً صبرتَ مع الشهيد مقاتلاً	إذ رُحِتَ منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أميرَ عليهم	فارجع بعارٍ في الحياة طويل
ونسيتَ عرسَكَ إذا تُقَادُ سبيّة	تُبكى العيون برّنة وعويل

وعندما بلغ معاوية بن أبي سفيان أن حبر بن عديّ تجمع إليه شيعة عليّ ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه أمر معاوية بضرب عنقه فقتل⁽²⁾، فقال عبّدة الكنديّ يُعيّر محمد بن الأشعث خذلانه حُجراً، وأنه لم يقاتل إلى جانبه بل تخلى عنه وتركه لمعاوية يقتله، فقال⁽³⁾:

أسلمتَ عمَّكَ لم تُقاتِلْ دونه	فَرَقاً ولولا أنتَ كان منيعاً
وقتلْتَ وإفدَ آل بيت محمدٍ	وسلبتَ أسياًفاً له ودُرُوعاً
لو كنتَ من أسدٍ عرفتَ كرامتي	ورأيتَ لى بيتَ الحُباب شفيعاً

وفي سنة اثنتين ومائة قامت التُّرك بغزو خدينة السُّغد فقام سعيد بن عبدالعزیز بن الحارث بن أبي العاص بالتصدّي لهم ولأهل السُّغد الذين نقضوا العهد وأعانوا التُّرك على المسلمين، ولكن سعيد بن عبدالعزیز كان يهدف من ذلك جمع الغنائم، وليس محاربة التُّرك والتصدّي لهم، فكان إذا أراد المسلمون مناوشة التُّرك نادى منادي سعيد لا تطلبوهم إنّما السُّغد بستان أمير المؤمنين، وقد هزمتوهم، أفتريدون بوارهم. وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا، وسبّوا، ردّ السبي وعاقب السرية، فقال الهجريّ يهجو سعيداً ويتهمه بالغدر والمكر، ويشبهه حرب سعيد مع الأعداء بأنها لهو ولعب وأنه لم يُشهر سيفه في وجوه الأعداء بل بقي في غمده،

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص173.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص256.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص285.

فقال(1):

وَأَنْتَ لِمَنْ عَادَيْتَ عِرْسٌ خَفِيَّةٌ وَأَنْتَ عَلَيْنَا كَالْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
فَلَّاهُ دَرَّ السَّغْدِ لَمَّا تَحَزَبُوا وَيَا عَجَباً مَنْ كَيْدِكَ الْمُتَرَدِّدِ

وقال ابنُ عرس في قصيدة طويلة يهجو الجُنيد ويُعيره بعدم جودة أدائه في حروبه مع الترك في يوم الشعب في نواحي سمرقند، فيقول ابن عرس إنَّ الأعداء قديماً كانوا يتقون بأسنا، فجاء الجُنيد فحول عزنا إلى ذلٍّ، فيتساءل الشاعر أين حُماة الحرب ورجالها الذين كانوا يزرعون الخوف في قلوب أعدائنا؟! ثمَّ يتساءل أترى للميت من رجعة أم للدهر من خلود؟ ثمَّ يشبهه الجُنيد بالطفلة المدللة في خدرها ليس لها بالحرب وكيدِها، وصعوبتها، فبسبب جهلك أصبحنا حكاية للغائب والشاهد، فالحرب تلعب بالجُنيد كلعب الصقور بالحمام الوارد الغافل، فقال(2):

أَيْنَ حُمَاةَ الْحَرْبِ مِنْ مَعْشَرٍ	كَانُوا جَمَالَ الْمَنْسَرِ الْحَارِدِ
بَادُوا بِأَجَالٍ تَوَافُوا لَهَا	وَالْعَائِرُ الْمُمَهْلُ كَالْبَائِدِ
فَالْعَيْنُ تُجْرِي دَمْعَهَا مُسْبِلًا	مَا الدُّمُوعُ الْعَيْنِ مِنْ ذَائِدِ
انْظُرْ تَرَى لِلْمَيْتِ مِنْ رَجْعَةٍ	أَمْ هَلْ تَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ خَالِدِ
كُنَّا قَدِيمًا يُتَقَى بِأُسْنَا	وَنَذَرُ الصَّادِرَ بِالْوَارِدِ
حَتَّى مُنِينَا بِالذِّى شَامَنَا	مَنْ بَعْدَ عِزٍّ نَاصِرٍ آئِدِ
إِذْ أَنْتَ كَالطَّفَلَةِ فِي خَدْرِهَا	لَمْ تَدْرِ يَوْمًا كَيْدَةَ الْكَائِدِ
إِنَّا أَنْاسٌ حَرْبُنَا صَعْبَةٌ	تَعْصِفُ بِالْقَائِمِ وَالْقَاعِدِ
أَضَحَتْ سَمَرْقَنْدُ وَأَشْيَاعُهَا	أَحْدَوْتُهُ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ
تَلْعَبُ بِكَ الْحَرْبُ وَأَبْنَاؤُهَا	لَعَبَ صُقُورٍ بِقُطَا وَارِدِ
طَارَ لَهَا قَلْبُكَ مِنْ خَيْفَةٍ	مَا قَبْلَكَ الطَّائِرُ بِالْعَائِدِ
لَا تَحْسِبَنَّ الْحَرْبَ يَوْمَ الضُّحَى	كَشَرَبِكَ الْمُزَّاءَ بِالْبَارِدِ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص614.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص86 وما بعدها.

وأساء أسيد بن عبدالله معاملة ثابت قُطنه، عندما استعمل أسيد عيسى بن شداد
البرجُمي إمرته الأولى، فأمره أن يُسيء إلى ثابت قُطنه، فغضب ثابت قُطنه، فقام
بهجاء أسد، فركّز في هجائه لأسد على قضية النسب فأخذ يُعيّره بوضاعة النسب،
فكلُّ يعرفُ أباه إلا أنتَ لا تعرفُ أباك وتتذبذب بينهم، ثمَّ إنَّه يعاتبه، فكيف تكنُ
العداوة لي وأنا أقفُ إلى جانبك في مُحاربة عدوك، فأنتَ تغفر لمن أذنب فما بالك
مع شخصٍ يُذنب، ويلومه لأنَّه فضّل عليه عبدٌ لئيم كالبرجُمي، يقول⁽¹⁾:

أرى كلَّ قومٍ يعرفونَ أباهُ	وأبو بجيلةَ بينهمُ يتذبذبُ
إنِّي وجدتُ أبي أباك فلا تكن	إلباً علىَّ معَ العدوِّ تجلبُ
أرمى بسهمي من رماك بسهمه	وعدوّ من عاديتَ غيرُ مكذبُ
أسدُ بن عبدالله جَلَّ عفوهُ	أهلَ الذَّنُونِ فكيفَ من لم يُذنبُ؟
أجعلتني للبرجُمي حقيبةً	والبرجُمي هو اللئيمُ المحقَّبُ
عبدٌ إذا استبقَ الكرامُ رأيتهُ	يأتى سُكيناً حاملاً في الموكبِ

قُتل زياد بن مُقاتل أثناء قتاله في وقعة الزاوية التي دارت بين الحجاج وابن
الأسعث، فقامت حميدة ابنته تندبه، فقالت⁽²⁾:

وحامي زيادَ على رأيتهِ وفرَّ جُديُّ بني العنبرِ
فسمعها البلتع السعديّ وهي تندب أباهَا، وتعيب التميميَّ فقال يهجو أباهَا زياد
ابن مُقاتل ويعيِّره بضعفه وعدم قدرته على القتال، فيقول لها لا تلومي من قتله ولكن
لومي أباك الذي قُتل أثناء فراره، فقال⁽³⁾:

عَلَامَ تلومينَ من لم يَلَمَ	تَطاولَ ليلاكَ من مُعَصِرِ
فإن كان أَردى أباك السَّنانُ	فقد تَلحقُ الخيلُ بالمَدبرِ
وقد تَنطخُ الخيلُ تحتَ العَجَا	ج غيرَ البريِّ ولا المُعَذِرِ
ونحنُ منعنا لواءَ الحَرِيشِ	وطاح لواءُ بني جُحدرِ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص51.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص344.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص344.

وفي السنة العاشرة بعد المائة خرج أشرس بن عبدالله ليغزو أهل السُغد الذين وقفوا مع الترك على المسلمين، ونقضوا العهد معهم، فوجّه أشرس رجلاً يُقال له مسعود أحد بني حيان في سرية، فلقبهم العدو، فقاتلهم، فأصيب رجال من المسلمين وهزم مسعود، فقال بعض شعرائهم يعيرونه بالهزيمة وخيبته في القتال وأنهم رجعوا يجرون أذيال الهزيمة ولم يغنموا⁽¹⁾:

خَابَتْ سَرِيَّةُ مَسْعُودٍ وَمَا غَنِمَتْ إِلَّا أَفَانِينَ مِنْ شَدٍّ وَتَقْرِيْبٍ
حَلُّوا بِأَرْضِ قَفَارٍ لَا أَنْيْسَ بِهَا وَهُنَّ بِالسَّفْحِ أَمْثَالُ الْيَعَاسِيْبِ

3.5 أغراض أخرى:

هناك موضوعات أخرى لم تكن بحجم الأغراض التي درسناها من حيث الكم، وقد رأينا أن نسلط عليها الضوء ومنها:

1- شعر الحكمة والموعظة:

كانت المقطوعات الشعرية التي تتدرج تحت باب الحكمة تتحدث عن الصبر على تقلبات الدهر، وإن الموت نهاية كل شيء، وأن لا شيء يدوم في هذه الحياة، وأن الفرح زائل، لذلك يجب على الإنسان أن لا يغتر بالدنيا ونعيمها فهي إلى زوال واندثار، يقول عبد الحميد بن يحيى⁽²⁾:

تَرْحَلْ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالزَّائِلِ
فَلَهْفِي عَلَى الْخَلْفِ النَّازِلِ وَلَهْفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ
أُبْكِي عَلَى ذَا وَأُبْكِي لَذَا بَكَاءَ مُوَلَّهَةٍ ثَاكِِلِ
تُبْكِي مِنْ ابْنِ لَهَا قَاطِعِ وَتُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا وَاصِلِ
فَلَيْسَتْ تَفْتَرُّ عَنْ عِبْرَةٍ لَهَا فِي الضَّمِيرِ وَمِنْ هَامِلِ
تَقْضَتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصَّبِيِّ وَرَدَّ التُّقَى عَنِ الْبَاطِلِ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص57.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص182.

وقال الحسين بن علي أبياتاً يُعلن فيها تبرُّهُ من الدهر، فهو خليلٌ لا يؤمن جانبه وغير وفيٍّ، وسوف يحصد الدهر أصحابه وأخلاءه يوماً ما⁽¹⁾:

يا دهرُ أف لك من خليل كم لك بالإشراق والاصيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيل والدَّهرُ لا يقنعُ بالبديل
وإنما الأمرُ إلى الجليل وكلُّ حيٍّ سالكُ السَّبيل

وقد لجأ كثير من المسلمين إلى حياة الاعتكاف والزهد احتجاجاً على ما ينكرون من النظام السياسي⁽²⁾، فكانوا يطمعون في تغيير نظام الحكم الأموي، فكانت النتيجة دائماً ضدهم، فنظرت إليهم الدولة على أنهم مصدر تهديد لها، فعاملتهم بقسوة، واستباحت دماءهم، فلم يجدوا أمام هذا الظلم وتلك القسوة وما استولى على نفوسهم من فزع وخوف، إلا أن يعتصموا بحبل الله وينصرفوا عن متاع الدنيا إلى متاع الآخرة، فتحول أولئك الذين خسروا الحروب الداخلية ولم يستطيعوا اقتناص الدنيا من أيدي الأمويين إلى الزهد فيها⁽³⁾.

ونتيجة لانتشار الموجه الدينية من الزهد والتقشف والتعبد أن طبعت نفسية كثير من الشعراء في العصر الأموي بطوابع جديدة لم تكن مألوفة في العصر الجاهلي⁽⁴⁾.

فقال عبد الملك بن مروان بيتاً من الشعر بظهر فيه إيمانه بالفناء والنهاية، وأنَّ الجديد إلى خلقٍ وبلى، والإنسان سيصبح ماضياً بعد أن كان كياناً موجوداً وفاعلاً، فقال⁽⁵⁾:

وكلُّ جديدٍ يا أميمٍ إلى بلى وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كان

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص420.

(2) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص201.

(3) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص59.

(4) المرجع نفسه، ص61.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص167.

وما دام الإنسان في حياته إلى زوالٍ وإنتهاء فعليه أن يؤدي الرسالة المُلقاة على عاتقه، ويؤدي دوره، لأن الحياة علمتنا أن ما كان فاعليةً في لحظة من الزمن سيصبح ماضياً، وأن الحاضر سيصبح ماضياً كأن لم يكن، يقول أيضاً⁽¹⁾:

اعمل على مهلٍ فإنك ميّت واكدح لنفسك أيّها الإنسان
فكأن ما قد كان لم يكُ إذ مضى وكأن ما هو كائن قد كان
وكثر حديث الشعراء عن الدهر لما له من أثر في الأحياء فإمّا أن يأتي بالرزؤ بالمال أو بفراق الأحبة كما قال زيادة بن زيد، وتمثّل به عبد الملك بن مروان⁽²⁾:

هل الدهرُ والأيام إلّا كما ترى رزيئة مالٍ أو فراق حبيب
وليس بعيدٌ ما يجيء كمقبلٍ ولا ما مضى من مفرح بقريب
وتمثّل عبدالله بن الزبير بأبيات عبدالله بن الزبير بأبيات للحُصين بن الحمام المرئي وفيها دعوة إلى الإقدام ما دام الموت هو النهاية المحتمة⁽³⁾:

أبى لابن سلمى أنه غيرُ خالدٍ مُلاقى المنايا أيّ صرفٍ تيمّما
فلسْتُ بمبتاع الحياة بسبّةٍ ولا مُرتقي من خشية الموت سلّما
وفي السنة السابعة والعشرين بعد المائة خرج عبدالله بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر إلى الكوفة وأخذ يدعو لنفسه، ثم خرج إلى المدائن، ثم خرج منها فغلب على الماهيين وهمدان وأصبهان والريّ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة فقال أبياتاً من الحكمة تدلُّ على تشمّره بالدعوة لنفسه وإن لا يلوم الإنسان شخصاً آخر على فعلٍ يفترضه، ويجب أن يتطابق القول مع الفعل عند الإنسان يقول⁽⁴⁾:

فلا تَرَكَبَنَّ الصنيعَ الذي تلومُ أخاك على مثله
ولا تُعْجِبَنَّكَ قول امرئٍ يخالف ما قال في فعله

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص167.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص185.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص191.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص303 وما بعدها.

2- الحماسة:

شارك الرجز إلى جانب القصيد في مواكبة الأحداث في تاريخ الطبري، فالرجز منذ أقدم عصوره فن شعبي كانت العرب تعتمد عليه كثيراً في أثناء حروبها⁽¹⁾، وكأنما كان المقاتلون يجدون في تفعيلاته السريعة المتكررة في تماثل متصل تشابهاً مع حركات القتال. وكان المقاتل يتغنى به في أثناء القتال مفتخراً بشجاعته وبطولته، أو متوعداً أعداءه بالموت والهزيمة⁽²⁾.

فعندما توجه مسلم بن عقيل إلى الكوفة لأخذ البيعة للحسين بن علي، علم بذلك عبيدالله بن زياد فأرسل في طلبه وتوجهوا لقتاله فخرج إليهم مسلم بن عقيل ليقاتلهم فأخذ يرتجز وهو مصمم على أن يحتفظ بحريته ولو أدى هذا إلى قتله، وهو يعلن في صراحة وصدق أن الموت شيء منكر، فالموت شيء لا يحبه ولكنه لا يفر منه ما دام قد صمم على الإحتفاظ بحريته، ثم يحاول أن يهدئ من روعه، فيحدث نفسه أن الدنيا متقلبة، وكل امرئ فيها لا بد أن يُلَاقِي منها ما يسوءه، فالبارد الحلو لا بد أن يخلط يوماً بسخن مر، والأيام الناعمة الظليلة لا بد أن يشوبها هجير القيط، بل إن شعاع الشمس المتدفق في حيوية ونشاط لا بد أن يرتد في النهاية ويستقر، فكل ضياء لا بد بعده ظلام فالشاعر حريص على الحياة ولكنه حريص أيضاً على الحرية⁽³⁾:

أقسمت لا أقتل إلا حراً	وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً	ويُخلط البارد سُخناً مُراً
رُدْ شعاع الشمس فاستقرا	أخاف أن أكذب أو أغرأ

ويُعدُّ عبدالله بن عوف بن الأحمر من الشعراء المعدودين الذين أنجبوا المكتّمات، وهي القصائد النارية التي ولدت يوم قُتل الحسين رضي الله عنه⁽⁴⁾.

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف، خليف، ص333.

(2) المرجع نفسه، ص333.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص374.

(4) المكتّمات، كاظم الظواهري، ص87.

وعندما خرج التوابون ليثأروا للحسين سنة خمس وستين قال عبدالله بن الأحمر أبياتاً من الرجز وهو يتقدم جيش التوابين إلى عين الوردية، ويمثل هذا الرجز صورة لتلك الحماسة التي كانت تسيطر عليهم وهم في طريقهم إلى القتال، فصورة الخيل العوابس التي تخرج للقتال أرسالاً بعضها في إثر بعض، وقد حملت فوق متونها أولئك الأبطال الذين تلمع في أيديهم السيوف، وقد خلفوا وراءهم الأهل والأحباب والأموال.

فقد كان هذا الشاعر ينشد هذا الرجز وهو خارج إلى القتال "على فرس له ملهوب كميته مربوع يتأكل أكلاً" كما يقول رواة الطبري⁽¹⁾. ولم يكتفِ الشاعر بهذه الصورة الحماسية الرائعة، بل أخذ منه مجالاً للإعلان عن مبادئ الثورة، فهو يعلن أنهم خرجوا لقتال أولئك الظالمين الغادرين الضالين، وأنهم يريدون أن ينالوا رضا الله، فقال⁽²⁾:

خرجن يلمعن بنا أرسالا عوابساً يَحْمَلُنَا أَبْطالاً
نريد أن نلقى به الأقتالا القاسطين الغدر الضللاً
وقد رَفَضْنَا الأهلَ والأموالاً والخفِراتِ البِيضَ والحِجالاً
نُرضى به ذا النعم المفضالاً

كان أكثر الرجز المؤيد لثورة التوابين قد جرى على لسان المختار نفسه، ويرى الدكتور يوسف خليف أن رجز المختار يتفاوت بين الأسلوب العربي التقليدي الذي كان القدماء يستخدمونه في رجزهم، وبين الأسلوب الإسلامي الجديد الذي يتأثر بألفاظ القرآن وأسانيهه، فهو أحياناً حديث عن الشجاعة والبطولة، واستلهم لحواء الخالدة في مواقف الفرع على نحو ما كان يفعل القدماء في رجزهم⁽³⁾، فقال⁽⁴⁾:

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة الخدين عجزاء الكفل
أنى غداة الروع مقدام بطل

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص591.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص591.

(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص389.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص20.

وقال عتاب بن ورقات أرجازاً حماسية يفتخر بقتاله الأزارقة ويشبههم بأنهم كالكلاب، فيسألهم عن فعله بهم وقتاله إياهم، فيسبب لهم القلق والخوف بالليل والنهار ثم يصفهم بأنهم أشرار، فقال⁽¹⁾:

كيف تَرُونَ يا كلابَ النار شَدَّ أبى هُريرةَ الهَرَّارِ
يَهْرُكُم بالَّليل والنَّهار يا بن أبي الماحوز والأشرار
كيف تُرى جَيَّ على المِضمار

وعندما خرج الحسين بن علي لمواجهة الأعداء في موقعة كربلاء، تمثل ببيتين من الشعر، يُظهر فيهما تجلده وصبره أمام الموت وأن الموت حق على الفتى وليس عار، فإذا أراد المرء أن يجاهد بحق فعليه أن يهيئ نفسه للموت، فقال⁽²⁾:

سأَمْضى وما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وآسى الرجالَ الصالحينَ بنفسه وفارق مثبوراً يغشُ ويُرغماً

3- الشكوى:

وردت بعض المقطوعات الشعرية التي تدور حول الشكوى سواء أكانت شكوى اقتصادية أم شكوى سياسية فالعامل الاقتصادي كان له أثره العميق في حياة الناس والشعراء في أثناء هذا العصر، فقد خرجوا إلى المدن واتسعت بهم ضرورات الحياة، وفرّق بين رجل البادية ورجل المدينة في المطالب اليومية لحياته ومعيشته⁽³⁾. فقد تذرّأ أهل الكوفة من فساد عامر بن مسعود بن خلف القرشيّ (دحروجة الجعل) الذي ولّاه أهل الكوفة عليهم سنة أربع وستين للهجرة، فأخذوا يتذمرون من سياسته المالية فقد كتب عبدالله بن همام السلوليّ شكوى طويلة فيهم إلى ابن الزبير يشكي فيها عمال العراق وأصحاب الخراج ومنهم عامر بن مسعود، وما نقصوا الناس من ثمرات، فهؤلاء العمال لا يوفّون الأمانة حقّها إلّا غصباً واحتيالاً على اقتطاع أموال الناس⁽⁴⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص125.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص404.

(3) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص118.

(4) تاريخ الطبري، ج5، ص529.

فقال عبدالله بن همام السلولي والبيت من قصيدة طويلة:

اشدُّ يديكَ يزيدُ إن ظفرت به واشفِ الأرامل من دُخروجة الجُعل
وأخذ يشكوا نهار بن توسعة إلى ابن المهلب تردي الوضع الاقتصادي في
خراسان، ويقول الشاعر أنهم كانوا يتأملون به خيراً، ولكن حين أصرّ يزيد بن
المهلب البكريّين بعض التأخير وأسرف في قطيعتهم، واحتجب عنهم، وعبس في
وجوههم، واصطنع أهل الشام وخراسان واعتمد عليهم، ولم يعاتبه عتاباً رقيقاً، بل
وبّخه توبيخاً فاحشاً، كما أنذره بتمرد البكريّين عليه، وعملهم من أجل الإحاطة به إذا
هو لم يلتفت إليهم، يقول⁽¹⁾:

وما كُنَّا نُؤمِّلُ من أمير	كما كُنَّا نُؤمِّلُ من يزيد
فأخطأ ظنُّنا فيه وقدماً	زهدنا في معاشرة الزَّهيد
إذا لم يُعْظِنا نصفاً أميرٌ	مَشِينا نحوهً مِثْلَ الأسود
فمهلاً يا يزيدُ أنب إلينا	ودعنا من معاشرة العبيد
نجيءُ فلا نرى إلا صُدوداً	على أنا نسلم من بعيد
ونرجعُ خائبين بلا نوالٍ	فما بالُ التجهُم والصُّدودِ

كانت كرمان في أيدي الخوارج وفارس في يد المهلب بن أبي صفرة فبعد أن
تمكن من هزيمة الأزارقة بقيادة قطري بن فجاءة أصبحت فارس كلها في يد
المهلب، فأخذها الحجاج وبعث عليها عماله، فبلغ ذلك عبد الملك فأمر أن تكون فارس
في يد المهلب، فقال الرُّقاد بن زياد بن همام يشكو إلى المهلب بأنهم يقاتلون،
ويجيبون الخير للآخرين⁽²⁾:

نُقاتل عن قُصور دار بجرد ونجبي للمغيرة والرقاد
كتب عبيدالله بن الحرّ الجعفي قصيدة إلى عبدالله بن الزبير يشكي فيها من
سوء معاملة مصعب بن الزبير له فهو يهجوّه، ويُقَدِّم عليه أهل البصرة، فهو يُبلِّغ
أمير المؤمنين أن مصعباً قد جعل وزرائه ممّن كان ابنُ الحرّ يحاربهم ويقول أن من

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص528.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص301.

حقه أن يتولى منصباً مهماً في الدولة كيف لا وقد كان ممّن بايع عبدالملك بالخلافة ولي عندكم حق وأطالبكم به، وكذلك ساند الدولة بماله، وإذا أراد الدخول إلى مصعب منعه حاجبه من الدخول إليه، يقول⁽¹⁾:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة	فلست على رأي قبيح أورائه
أفى الحق أن أجفى ويجعل مصعب	وزيره من قد كنت فيه أحرابه
فكيف وقد أبليتكم حق بينتي	وحتى يلوى عندكم وأطالبه
وأبليتكم مالا يضّيع مثله	وآسيتكم والأمر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدا	وأذرك من مال العراق رغائبه
جفا مصعب عني ولو كان غيره	لأصبح فيما بيننا لا أعائبه
إذا قمت عند الباب أدخل مسلم	ويمنعني أن أدخل الباب حاجبه

4- التشفي:

وقال عبدالله بن همام السلولي يتشفى بمقتل أوفى بن حصن على يد زياد بن أبيه، وأنّ جنبه شقاه قاده إلى ليث عرين وحية صماء، فيشبه زياد بالحية السامة التي تلدغ دون أن يشعر بها أحد، فيقول⁽²⁾:

خيب الله سعي أوفى بن حصن	حين أضحى فروجة الرقاء
قاده الجبن والشقاء إلى ليث	عرين وحية صماء

وعندما قُتل الحسين بن علي حمل قاتله وهو رجل من مذحج رأسه لينطلق بها إلى عبيد الله بن زياد، ويقف أمامه ليصور له شعوره في شطور من الزجر تُشيع فيه عاطفة الفرح والزهو، فرح القاتل بهذه الهدية الغالية التي يحملها إلى الأمير، والتي سينال عليها الذهب والفضة، لذلك فإنه يبدأ رجزه لا بالحديث عن الحادثة التي تعني الأمير، وإنما بالحديث عن الجائزة التي تعنيه هو، يقول⁽³⁾:

أوقر ركابي فضة وذهباً	فقد قتلت الملك المحجّبا
قتلت خير الناس أمّا وأبا	وخيرهم إذ ينسبون نسباً

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص136.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص236.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص390.

الفصل الرابع

مواكبة الشعر للأحداث

1.4 انتقال السلطة للأمويين:

كان الشعر في تاريخ الطبري مواكباً للأحداث التاريخية منذ بدايتها إلى أن تنتهي، وقد تحدثتُ عن انتقال السلطة للأمويين أثناء الحديث عن الحياة السياسية والذي يهمننا في هذا الفصل مواكبة الشعر للأحداث.

قدمت الوفود لمبايعة علي رضي الله عنه بعد أن قُتل سيدنا عثمان بن عفان، لكن معاوية بن أبي سفيان رفض مبايعة علي، فادّعى معاوية أنه ولي دم عثمان بن عفان واستطاع أن يستأثر بحكم الشام دون الخليفة الرابع⁽¹⁾.

أقنع معاوية بن أبي سفيان أهل الشام بضرورة مُحاربة علي بن أبي طالب، فسار علي ومعه أتباعه إلى صفين وسار كذلك معاوية وأتباعه فاقتتلوا مدة شهر ذي الحجة، ولمّا دخل شهر المحرم تحاجز القوم وتوادعوا على ترك الحرب طمعاً في الصلح⁽²⁾.

بعد شهر مُحرم عادوا إلى القتال مرةً أخرى، وكان على من خرج من أهل الكوفة يومئذ إبراهيم بن الأشتر، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة⁽³⁾.

أخذ علي يشجع المسلمين على القتال، ويدعوهم إلى التحلي بالصدق والصبر، ويدعوهم إلى لقاء القوم بالجدّ والحزم، فقال: "الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض، وما أبرم لا ينقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلّفت بنينا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النّعمة، وكان منه التغيير، حتى يكذب الله الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار، ليجزي الذين أسأوا بما

(1) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص330.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص5.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص12.

عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ألا إنكم ملأو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن وسلوا الله عزَّ وجلَّ النصر والصبر، والقوهم بالجدِّ والحزم، وكونوا صادقين، ثم انصرف، فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، ومرَّ بهم كعب بن جُعيل التغلبي وهو يرتجز فقال⁽¹⁾:

أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمَلِكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنْ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ

أخذ إبراهيم بن الأستر يَحْمَسُ المقاتلين ويشجعهم على القتال فكان يقول للمقاتلين: "عضوا على النواجز من الأضراس واستقبلوا القوم بهامِكُمْ، وشدوا شدة قوم موتورين"⁽²⁾.

وأخذ عبدالله بن بديل يستقدم أصحابه للقتال، فأرسل إليه الأستر ألا تفعل، فأخذ يُقاتل حتَّى قُتِلَ، وكان معاوية قال لابن بديل وهو يُقاتل: أترونه كبش القوم، فلما قُتِلَ مدَّوه فقال معاوية: "والله لو استطاعت نساء خُزاعة أن تقتلنا فضلاً على رجالها لفعلت، ومدَّوه، فمدَّوه، فقال: هذا والله كما قال الشاعر⁽³⁾:

أخو الحرب إنَّ عضَّتْ به الحرب عَضَّتْهَا وَإِنْ شَمَرَتْ يوماً به الحربُ شَمَرَا
زحف الأستر إليهم فاستقبله معاوية بعكِّ والأشعرين فقال الاشر لمذحج:
اكفونا عكًّا، ووقف في همدان، وقال بكندة: اكفونا الأشعرين، فاقتتلوا قتالاً شديداً،
وأخذ يخرج إلى قومه فيقول: إنَّما هم عكٌّ، فاحملوا عليهم، فيجثون على الرُكَبِ
ويرتجزون⁽⁴⁾:

يَا وَيْلَ أُمَّ مَذْحِجٍ مِنْ عَكٍّ هَاتِيكَ أُمَّ مَذْحِجٍ تُبْكِي
فقاتلهم الأستر في همدان، ثم شدَّ عليهم شدة أخرى وكانوا مُعَقِّلِينَ بالعمائم،
ودعا معاوية بفرس فركب، وكان يقول: "أردت أن أنهزم فذكرتُ قول ابن الإطنابة

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص13 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص23.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص23 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص24.

من الأنصار⁽¹⁾:

أبت لي عفتي وحياء نفسي وإقدامي على البطل المشيح
وإعطائي على المكروه مالي وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

وممن أبلوا بلاءً حسناً في قتال صفين، شمر بن ذى الجوشن، وفي إحدى
المرات دخل في قتال مع أدهم بن محرز الباهلي فقال شمر - وكان أدهم من ضرب
وجهه بالسيف سابقاً-⁽²⁾:

إنى زعيم لأخى باهله بطعنة إن لم أصب عاجلة
أو ضربة تحت القنا والوغي شبيهة بالقتل أو قاتلة

ومن القبائل التي كانت في صف علي أيام صفين، ربيعة وقاتلت مع علي
قتالاً شديداً، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه⁽³⁾:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها خضين تقدمها
يقدمها في الموت حتى يزيها حياض المنايا تقطر الموت والدماء
أذقنا ابن حرب طعننا وضربنا بأسيا فنا حتى تولى وأحجما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم لدى الموت قوماً ما أعف وأكرما

وعندما أصبح الموقف العسكري لغير صالح معاوية ومن شايعه من القبائل
العربية لجأ معاوية حينئذ إلى الحيلة والدهاء، فاستعان بعمر بن العاص المشهور
بالمكر والخداع، فأشار عليه عمرو برفع المصاحف على أسنة الرماح وتعليقها في
أعناق الخيل، ومطالبتهم بتحكيم القرآن⁽⁴⁾.

اتفق الفريقان على التحكيم بدومة الجندل، وأن يختار كل من الفريقين مندوباً،
فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، فلما

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص24.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص28.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص37.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص48 وما بعدها.

اجتمعوا في دومة الجندل، اتفق الفريقان على خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى يختار المسلمون من يريدون⁽¹⁾.

ويسبدو أن أهل العراق كانوا قد سئموا القتال وأرادوا رجلاً ليناً ليشتري لهم السلم، ولهذا اختاروا أبا موسى الأشعري لأنه كان محايداً ولم يكن يخفي حياده، وقد عُرف عنه هذا الحياد واحتج عليّ بسببه وحده على اتخاذه حكماً⁽²⁾.

كان عمرو بن العاص على قدر من الذكاء والحيلة فطلب من أبي موسى الأشعري أن يتقدم بخلع صاحبه من قبيل الاحترام لسنه، فبدأ أبو موسى بالكلام، وخلع صاحبه عليّاً، ثم تقدم عمرو بن العاص فقال: "إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبتّ صاحبي معاوية⁽³⁾."

كان التحكيم منذُ رفع المصاحف على أسنة الرماح إلى أن اجتمع الحكماء في صالح معاوية، فقد رُفعت الحرب عن جنده بعد أن أوشكوا على الهزيمة، بينما تورط أصحاب علي في الفتنة والخلاف⁽⁴⁾.

ونجح عمرو بن العاص حينما اتفق الحكماء على خلع علي ومعاوية بن أبي سفيان الذي لم يكن قد بُيع حتى يُخلع⁽⁵⁾.

لم يرضَ عليٌّ وأهل العراق بالذي جرى، فأتى عليّاً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت⁽⁶⁾.

ولمّا خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الأشعري قام عليٌّ في الكوفة فخطبهم فقال: "الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله أما بعد فإنّ المعصية تورث الحسرة، وتُعقب

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص67.

(2) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، دار المعارف بمصر، ص51.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص71.

(4) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، ص57.

(5) المرجع نفسه، ص55.

(6) تاريخ الطبري، ج5، ص76.

الندم، وقد كُنتُ أمرتكم في هذين الرجلين، وفي هذه الحكومة أمرى ونحلتكم رأيي،
لو كان لقصير آخر، ولكن أبيتم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن⁽¹⁾:
أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

ظل معاوية يرسل جيوشه إلى البلدان التي عليها ولاية علي ليقوموا بالتهب
والتخريب؛ ففي سنة تسع وثلاثين أغارت جيوش معاوية على عين التمر وبها عامل
لعلي، وفي نفس العام وجّه معاوية الضحاك بن قيس ليغير مع جنوده على
الأعراب⁽²⁾.

وفي سنة أربعين كانت المهادنة بين علي ومعاوية، فيكون لعلبي العراق،
ولمعاوية الشام⁽³⁾.

كانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر⁽⁴⁾، وفي سنة أربعين للهجرة قتل
ابن ملجم علي بن أبي طالب⁽⁵⁾. ولما انتهى إلى عائشة قتل علي قالت⁽⁶⁾:

فإن يك نائياً فلقد نعاؤه غلام ليس فيه التراب

وقال ابن مياس المرادي يتشفى باغتيال علي بن أبي طالب⁽⁷⁾:

ونحن ضربنا يالك الخير حيدراً أبا حسن مأمومة فتفطراً

ونحن خلعنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذ علأ وتجبرا

ونحن كرام في الصباح أعزّة إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا

وبعد أن قتل علي بن أبي طالب، بُويع ابنه الحسن بالخلافة، وكان لا يرى

القتال، فتنازل عن الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان حقناً لدماء المسلمين⁽⁸⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص77.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص133، 135.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص140.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص152.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص148، 145.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص150.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص150.

(8) المصدر نفسه، ج5، ص158.

بُويَع معاوية بالخلافة سنة 40هـ⁽¹⁾، فانتهى بذلك عصر الخلفاء الراشدين ليبدأ عصرٌ جديد هو عصر الخلفاء الأمويين.

2.4 الصراع بين الأمويين والزبيريين:

ينسب هذا الحزب إلى عبدالله بن الزبير بن العوام من قريش⁽²⁾، وترجع نشأته الأولى إلى ما بعد مقتل عثمان، إذ كان الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله قد بايعا علي بن أبي طالب، ثم نقضا بيعتهما، وثاراً على الإمام بدعوة المطالبة بدم عثمان⁽³⁾، وكان يرى هذا الحزب أن تعود الخلافة إلى الحجاز وأن يتولّاها أحد أبناء الصحابة الأولين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان⁽⁴⁾.

لم يُعمر سلطان الزبيريين أكثر من تسع سنوات (63-72هـ) قضاها عبدالله ابن الزبير في صراع مع الأمويين من جهة، والشيعية والخوارج من جهة أخرى⁽⁵⁾، أخذ عبدالله بن الزبير يدعو لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، فنقضبيعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ونقضها أنصاره، وهرب من المدينة إلى مكة ولمّا وصل إلى مكة قال: إنّما أنا عائد بالبيت، فلمّا استقرّ عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة، أعطى الله عهداً ليوثّقنه في سلسلة من فضّة فمرّ بها البريد على مروان ابن الحكم بالمدينة، فقال مروان⁽⁶⁾:

خَذَهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ فِيهَا مَقَالٌ لَامِرٍ مُتَضَعِفٍ

علا أمر ابن الزبير بمكة، فقال له الناس من أهل المدينة: أمّا إذ هلك الحسين عليه السلام فليس أحدٌ يُنازع ابن الزبير⁽⁷⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص161.

(2) العصر الأموي أدبه وحضارته، عزيزة بابتي، ص251.

(3) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد الحوفي، ص114.

(4) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص85.

(5) العصر الأموي، قصي الحسين، ص105.

(6) تاريخ الطبري، ج5، ص475.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص475.

بعث يزيد بن معاوية ابن عضاه الأشعري ومسعدة وأصحابهما إلى عبدالله بن الزبير بمكة ليؤتى به في جامعة لتبرّ يمين يزيد، فتوجهوا إليه وأبلغوه الرسالة فتمثل أحدهم فقال⁽¹⁾:

فخذها فليست للعزيز بخطّة وفيها مقال لامرئ متذلّل
أعامر إنّ القوم ساموك خطّة وذلك في الجيران غزل بمغزل
أراك إذا ما كنت للقوم ناصحاً يُقال له بالدلو أدبر وأقبل
فلما بلغت الرسل الرسالة تعرض لهم فقال متمثلاً أبياتاً من الشعر تدلّ على
أنّه مصرّ على موقفه في عدم مبايعة يزيد وأنّه لن يلين أو يضعف لغير الحق⁽²⁾:
إنّي لمن نبعة صنم مكاسرها إذا تناوحت القصباء والعشّـر
فلا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرر الماضغ الحـجـر

وبعد أن رأى الأمويون أنّه لا مناص من مواجهة ابن الزبير توجهت جيوش الأمويين بقيادة مسلم بن عقبة المري إلى قتال ابن الزبير، ولما انتهى مسلم بن عقبة إلى قفا المشلل مات، واستخلف على الجيش الحصين بن نمير السكوني، فسار الحصين حتى بلغ مكة هو وجنده فطوّقها، ونصب الحصين المجانيق والعرادات وقذفوا البيت وحرّقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون⁽³⁾:

1- خطّارة مثل الفنيق المزبد 2- نرّمي بها أعواد هذا المسجد

حاصر الحصين ابن الزبير أربعاً وستين يوماً حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية⁽⁴⁾.

وفي سنة أربع وستين قدم عبيدالله بن زياد إلى دمشق وكان عليها الضحّاك ابن قيس الفهريّ، فثار زفر بن الحارث الكلابيّ بقنسرين يُبايع لعبدالله بن الزبير⁽⁵⁾،

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص476.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص476.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص496-498.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص498.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص531 وما بعدها.

ثمَّ قام ابن الزبير بنفي بني أمية من المدينة ومكة والحجاز⁽¹⁾.

جمع مروان بن الحكم بنى أمية فبايعوه بالإمارة عليهم، ثمَّ سار في جيش عظيم إلى الضحاك بن قيس، والتقى الفريقان بمرج راهط، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الضحاك وعامة أصحابه فأنشد زفر بن الحارث قصيدة يُعبر فيها عن الهزيمة التي لحقت به وبأصحابه على يد الأمويين، ويهجو فيها قبيلة كلب التي وقفت إلى جانب الأمويين في المعركة، ويتوعد فيها قبيلة كلب بالثأر لقتلى قيس، مُعلنًا أنه لا هوادة في الخصومة بعد هذه الموقعة بين قيس وكلب اليمنية، محاولاً الاعتذار عن الفرار والهزيمة في هذا اليوم فقال⁽²⁾:

أرى الحربَ لا تزدادُ إلاَّ تماديا	أرى الحربَ لا تزدادُ إلاَّ تماديا
وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا	وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا
وتُترك قتلى راهط هي ما هيا	وتُترك قتلى راهط هي ما هيا
من الناس إلاَّ مَنْ عَلَى ولا ليا	من الناس إلاَّ مَنْ عَلَى ولا ليا
بصالح أيامي وحُسنِ بلائيا	بصالح أيامي وحُسنِ بلائيا
وتثأرَ من نسوانِ كلبِ نسائيا	وتثأرَ من نسوانِ كلبِ نسائيا

وتعتبر قصيدة زفر بن الحارث شاعر قيس والتي هجا بها قبيلة كلب، من أوائل شعر الهجاء الذي نشب بين القبائل⁽³⁾.

أقبل عبد الملك يريد مصعباً ومعه خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد، ثمَّ التقى الجيشان فاقتتلوا أربعة وعشرين يوماً، وكانت بني تميم قد وقفت إلى جانب جيش عبد الملك بن مروان ضد الزبيريين⁽⁴⁾، فقال الفرزدق يستغرب من انحياز تميم تحت ظلال الأزدي وهم قبيلة كبيرة، فندد بالثائرين، ونال من رجال تميم الذين انضموا إلى أنصار الأمويين، وخالفوا قومهم، وتكروا لابن الحواري مصعب فقال⁽⁵⁾:

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص540 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص541 وما بعدها.

(3) العصر الأموي، قصي الحسين، ص120.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص152 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص153 وما بعدها.

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَمِيمٌ أَبُوهُمْ وَهُمْ فِي بَنِي سَعْدٍ عِظَامُ الْمَبَارِكِ
وَكَانُوا أَعَزَّ النَّاسِ قَبْلَ قَسِيرِهِمْ إِلَى الْأَزْدِ مُصْفَرًّا لِحَايَا وَمَالِكِ
فَمَا ظَنُّكُمْ بِابْنِ الْحَوَارِيِّ مُصْنَعٍ إِذَا افْتَرَّ عَنْ أَنْيَابِهِ غَيْرَ ضَاكِحِ

وسار مصعب إلى باجميرا، وكتب عبد الملك إلى شيعته من أهل العراق،
والتقى القوم، فتقدم مصعب وقتل، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان، فاحتز
رأسه⁽¹⁾.

قال البعيثُ اليشكريُّ بعد قتل مُصعب أبياتاً من الشعر يفخر فيها بقتلهم
لمصعب، وأنهم لم يَرْضُوا عليهم والياً إلا من بنى أُميَّة⁽²⁾:

وَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ نَكْسًا صُدُورُهُ وَهُمْ الْهُوَادِي أَنْ تَكُنَّ تَوَالِيَا
صَبَرْنَا لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يُقِيمَهُ وَلَمْ نَرْضَ إِلَّا مِنْ أُمِيَّةٍ وَالِيَا
وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وَابْنَ مُصْعَبٍ أَخَا أَسَدٍ وَالنَّخَعِيَّ الْيَمَانِيَا

وحجَّ عبد الملك بعد ذلك، فدخلت عليه حُبَي، فقالت: أَقْتَلْتَ أَخَاكَ مُصْعَبًا؟
فقال⁽³⁾:

مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَتْرَكُهُ بِجَعَجَاعٍ

وفي مصرع مصعب بن الزبير يقول عبيد الله بن قيس الرقيّات، حيث يُقرّع
القبائل العربية مثل بكر بن وائل، وتميم لأنها لم تتاصر عبد الله بن الزبير ومصعباً،
ويعني عبد الله بـ "بني العلات" القبائل اليمانية لأنه يتهجم عليهم في الهزمية يقول⁽⁴⁾:

حَرَّقَتْهُ رِجَالُ لَخْمٍ، وَعَاكَ وَجُذَامٌ، وَحِمِيرٌ، وَصُدَاءُ

يقول ابنُ قيس الرقيّات في قتل مصعب⁽⁵⁾:

لَقَدْ أَوْزَتْ الْمَصْرِينَ خَزِيًّا وَذَلَّةً قَتِيلٌ بِدَيْرِ الْجَاثَلِيْقِ مَقِيمٌ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص157.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص160.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص161.

(4) شعر ابن قيس الرقيّات بين السياسة والغزل، تحقيق: ابراهيم عبدالرحمن محمد،

الشركة المصرية العالمية للنشر - لو نجمان، ط1، 1996، ص255.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص161 وما بعدها.

فما نصحت لله بكرُ بن وائل
ولو كان بكرياً تعطفَ حوله
ولكنه ضاع الذمام ولم يكن
جزى الله كوفياً هناك ملامة
وإن بني العلات أخلوا ظهورنا
فإن تفن لا يبقوا ولا يكُ بعدنا
ولا صبرت عند اللقاء تميم
كتائبُ يغلى حميها ويدوم
بها مضري يوم ذاك كريم
وبصر يهم إن المليم مليم
ونحن صريح بينهم وصميم
لذي حرمة في المسلمين حريم

فقال جواس بن قعطل الكلابي يردُّ على زفر بن الحارث ويذكر أن موقعة
مرج راهط أبقت في زفر بن الحارث داءً باقياً لا علاج له فقد أعيى الطبيب مداوياً،
لقد تراجع زفر بن الحارث عن وعيده عندما رأى فتیاناً كأسد الغاب⁽¹⁾:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
مقيماً ثوى بين الضلوع محلّه
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى
عليها كأسد فتیان نجدة
على زفر داء من الداء باقياً
وبين الحشا أعيى الطبيب مداوياً
سُيوف جناب والطوال المذاكياً
إذا شرعوا نحو الطعان العوالياً

وفي سنة إحدى وسبعين توجه عبد الملك بن مروان إلى العراق لحرب
مصعب بن الزبير، ويخرج مصعب إلى باجميرا، ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد
منهما إلى موضعه، فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي: ينعت مصعب
بالنفاق، ويشبه جيشهم بضجيج القطا⁽²⁾.

لعمري لقد أصحرت خيلنا
إذا ما منافق أهل العرا
دلفنا إليه بذى تذر
كان غاهم إذا ما غدوا
فقدّمنا واضح وجهه
أعين بنا ونصرنا به
بأكناف دجلة للمصعب
ق عوتب ثمت لم يعتب
قليل التفقد للغيب
ضجيج قطا بلد مخصب
كريم الضرائب والمنصب
ومن ينصر الله لم يغلب

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص542.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص151.

وفي سنة ثلاث وسبعين بعث عبدالملك بن مروان الحجاج إلى مكة لمحاربة عبدالله بن الزبير، توجه الحجاج إلى مكة فحاصرها ستة أشهر وسبع عشرة ليلة⁽¹⁾. كان عبدالله بن الزبير ثابتاً رغم تخلي كثير من أقاربه وأنصاره عنه، توجه عبدالله ابن الزبير لوداع أمه فقالت له: البس ثيابك مشمّرة، فانصرف وهو يقول⁽²⁾:
 إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
 وروى عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال: رأيتُه يوم الثلاثاء وإِنَّا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة من باب لنا ندخله، لا يدخله غيرنا فيخرج إلينا وحده في أثرنا، فما أنسى أرجوزة له⁽³⁾.
 إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْخُرُ
 إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ

وأخذ عبدالله بن الزبير يُشجع أصحابه ويحرضهم على القتال ويقول لهم: ولا تقولنّ أين عبدالله بن الزبير؟ ألا من كان سائلاً عني فأني في الرّعيّل الأوّل وتمثّل⁽⁴⁾:

أبى لابن سلمى أَنَّهُ غيرُ خالدٍ مُلاقى المنايا أَىّ صرفٍ تيمّما
 فلستُ بِمُبْتَاعِ الحياةِ بِسَبَّةٍ ولا مُرتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الموتِ سَلَمًا
 وقد أراد الحجاج أن يشرك أهل الأمصار جميعاً في دم ابن الزبير فجعل على أبواب المسجد رجلاً من كل بلد⁽⁵⁾.
 ثُمَّ هاجمتهم جيوش الأمويين فُرْمِي بآجرة، وأصابته في وجهه، فارعش لها ودمى وجهه، فلَمَّا وجد سخونة الدم تَسِيلُ على وجهه قال⁽⁶⁾:
 فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا ولكن على أقدامنا تقطُرُ الدّما

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص187.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص190.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص190.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص191.

(5) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، ص254.

(6) تاريخ الطبري، ج6، ص192.

دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان، وقد ترك مصرعه رنة أسى في أهل الكوفة وازدادوا أسى عندما صلبه الحجاج ليثير الرعب في قلوب أنصاره⁽¹⁾.

ويعزو كثير من المؤرخين إخفاق حركة عبدالله بن الزبير إلى سبب رئيس وهو تمسكه بالحجاز الذي أصبح منذ قتل عثمان ركناً ميثاً ولم يكن من الممكن جعله مركزاً للحياة السياسية⁽²⁾.

وقد كره ابن الزبير انتقال الحكومة إلى الشام وأثر بقاءها في الحجاز مسايرة لعصر الخلفاء الراشدين، كما كره أن ينقل عاصمة دولته إلى العراق حيث لا يمكن لأية حركة هناك أن تزاحم الشيعة⁽³⁾.

ومن الأسباب التي أدت إلى إخفاق حركة ابن الزبير حرصه على المال وبخله بالعطاء على طلاب العطاء، وانصرافه عن تأليف القلوب بالهبات، على حين أن بني أمية كانوا أسخياء⁽⁴⁾.

3.4 الصراع بين الأمويين والخوارج:

بدأ أمر الخوارج أثناء معركة صفين التي وقعت بين علي بن أبي طالب ومناصريه من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان ومناصريه من جهة أخرى، فعندما أحسّ معاوية وجنده بالهزيمة أشار عليهم عمرو بن العاص برفع المصاحف على أسنة الرماح وتعليقها في أعناق الخيل، وطلبوا من علي تحكيم القرآن بينهم، أخذ أصحاب علي بهذا الرأي، ولكن خرج بعض المتحاربين من صف علي احتجاجاً على قبول هذا التحكيم، وعُرف هؤلاء بالخوارج⁽⁵⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص192 وما بعدها.

(2) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، ص255.

(3) المرجع نفسه، ص256.

(4) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد الحوفي، ص120.

(5) تاريخ الطبري، ج5، ص48 وما بعدها.

حكم الخوارج بكفر على معاوية ومن ناصرهما بعد التحكيم؛ لأنهم حكموا بغير ما في كتاب الله، إذ عدلوا عن تحكيم الله إلى تحكيم الناس، وكانوا أشد بغضة لمعاوية لأنه سطا على الخلافة، واحتكر أموال المسلمين وعبث بها⁽¹⁾.

وأساس مبدئهم يقوم على أن لا تُقصر الخلافة على قريش، فالخلافة ليست حقاً لقريش بل هي حق لله، وينبغي أن يتولاها خير المسلمين تقوى وزهداً وورعاً وإن لم يكن قرشياً وقد خرجوا على المسلمين واعتبروا دارهم دار حرب فيجب أن يجاهدوهم، واستمروا في هذا الجهاد طوال عصر بني أمية⁽²⁾.

بدأ القتال بينهم وبين معاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين للهجرة، إذ نزلوا النخيلة بالقرب من الكوفة، فأرسل إليهم جيشاً من الشام، فانتصروا عليه، فاستنار معاوية أهل الكوفة لقتالهم، فأثخنوا في الخوارج، وانتصروا عليهم، ثم بعث إليهم معاوية جنداً فقتلوه جميعاً⁽³⁾.

وفي سنة اثنتين وأربعين تحركت الخوارج الذين انحازوا عن قتل منهم أو ارتث من جرحاهم بالنهروان فبرءوا وعفا عنهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه⁽⁴⁾.

ولكن هزيمتهم لم تفت في عضدهم فسرعان ما نصبوا المستورد بن علفة إماماً، وكان من الذين ارتثوا يوم النهروان فلماً بلغه قتل علي عاد إلى الكوفة يفكر في الانتقام، وكان المغيرة بن شعبة يسير سيرة لينة في الناس بالكوفة، وقد استغل الخوارج إغضائه فأخذوا يجتمعون لتبادل الرأي في الثأر لإخوانهم في دار حيان بن ظبيان الذي أخذ يحرضهم ويحثهم على الثأر من الظالمين بمثل قوله⁽⁵⁾:

خليلى ما بي من عزاء ولا صبر
إلا إربة بعد المصابين بالنهر
سوى نهضات في كتائب جمّة
إلى الله ما تدعو وفي الله ما تفرى

(1) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد الحوفي، ص 87.

(2) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج 5، ص 87.

(3) تاريخ الطبري، ج 5، ص 165 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج 5، ص 172.

(5) تاريخ الطبري، ج 5، ص 173 وما بعدها.

ثُمَّ اجتمع المغيرة بن شعبة برؤساء العشائر، واتفقوا على نفي من كان بينهم من الخوارج وأخذهم، وأن يدلّوا على من يرون أنه يُريد أن يهيج فتنة أو يفارق جماعة⁽¹⁾.

وفي سنة ثلاث وأربعين تجهّز الخوارج للقتال، بيد أن المغيرة شعر بالخطر فقام باعتقالهم، ومن داخل السجن تسربت أبيات لمعاذ بن جوين بن حصين، وجه بها إلى إخوانه الخوارج، والأبيات تحث الخوارج على أن يتحولوا عن ديار الجاهلين الذين يضطهدونهم وأن يقاتلوهم متمنياً أن يكون حراً طليقاً حتى يشاركهم في قتال الكفار المحليين من أهل القبلة وتفريق شملهم فقال⁽²⁾:

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ	شرى نفسه الله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة	وكل امرئ منكم يُصاد ليقتلا
فشدّوا على القوم العداة فإنما	أقامتكم للذبح رأياً مضللاً
ألا فاقصّدوا يا قوم للغاية التي	إذا ذكرتُ كانت أبرّ وأغدلاً
فيا ليتني فيكم على ظهر سابح	شديد القصيرى دارعاً غير أعزلاً
ويا ليتني فيكم أعادى عدوكم	فيسقيني كأس المنية أو لا
يعزّ على أن تُخافوا وتطردوا	ولما أجردت في المحليين مُنصلاً
ولما يفرّق جمّعهم كل ماجد	إذا قلت قد ولّى وأدبر أقبلاً
مُشياً بنصل السيف في حمس الوغى	يرى الصبر في بعض المواطن أمثلاً
وعزّ على أن تضاموا وتنقصوا	وأصبح ذا بث أسيراً مكبلاً

ثُمَّ إن المغيرة بن شعبة أخبر خبرهم، فدعا رؤساء الناس فقال: إن هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الجبن وسوء الرأي فمن ترون أبعث إليهم؟ فقام إليه عدى بن حاتم، فقال: "كلّنا لهم عدو، ولرأيهم مسفة، وبطاعتك مستمسك، فأيتنا شئت سار إليهم"، فجهّز المغيرة بن شعبة معقل بن قيس لمقاتلتهم وجهّز معه ثلاثة آلاف رجل من الشيعة⁽³⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص184 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص187 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص188.

وكان عُمر بن أبي أشاء ممّن نزل مع معقل بن قيس لقتال الخوارج فأخذ يضاربهم بسيفه وهو يرتجز مفتخراً بشجاعته في القتال فقال⁽¹⁾:

قد علّمت أنّى إذا ما أقشعوا عني والثاث اللئام الوضع
أخوس عند الروع ندب أروغ

استمر القتال بين الجيشين، ودعا معقل بن قيس أبا الرواغ وطلب منه أن يتبع الخوارج، فأقبل أبو الرواغ في إثرهم مسرعاً حتى لحق بهم، ثم نادى بهم أبو الرواغ فقال: يا فرسان السوء، يا حُماة السوء، بئس ما قاتلتم القوم، فعالج منهم نحواً من مائة فارس، فعطف عليهم، فقال مفتخراً بشجاعته وحسن بلائه في القتال⁽²⁾:

إنّ الفتى كلّ الفتى من لم يهمل إذا الجبان حاد عن وقع الأسل
قد علّمت أنّى إذا البأس نزل أروغ يوم الهيج مقدام بطل

ثمّ شدوا على الخوارج، وصدّموا خيلهم، وشدّ عليهم معقل وأصحابه، ثمّ تبارز معقل مع المستورد بن علفة الخارجي فطعنه المستورد في ظهره وقتله، وتولى القيادة من بعد معقل عمرو بن محرز، فشدّ عليهم، وأمر الناس أن يشدوا عليهم، فما لبثوا أن قتلوا الخوارج⁽³⁾.

وكان أبو بلال مرداس بن أدية التميمي أبرز شخصية بين خوارج البصرة، فضلاً عن إيمانه العميق بمبادئ الخوارج⁽⁴⁾. ففي سنة ثمان وخمسين جمع حوله أربعين رجلاً وتوجه بهم إلى الأهواز استعداداً لمحاربة عبيد الله بن زياد الذي قام بقتل عروة بن أدية⁽⁵⁾، كان أبو بلال نبيلاً في خروجه فلم يعتد على أحد كما لم يتعرض بسوء لأموال الخراج التي صادفته في طريقه فلم يأخذ منها غير عطائه وعطاء رفاقه⁽⁶⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص198.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص198.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص203.

(4) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، ص408.

(5) تاريخ الطبري، ج5، ص312 وما بعدها.

(6) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، ص408.

بعث ابنُ زياد جيشاً بقيادة ابن حصن التميمي، فدارت بينهم معركة مجيدة بين جيش ابن زياد ورجال أبي بلال الأربعين الذين أرغموا ابن حصن على الفرار وقتلوا جيشه⁽¹⁾.

وقد أشاد شاعر الخوارج عيسى بن فاتك الحبطي بهذا الانتصار المؤزر الذي أحرزته فئة قليلة على جيش ابن زياد مرجعاً السبب في ذلك إلى قوة إيمانهم وتقواهم في قوله⁽²⁾:

أَلْفَا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيُقْتَلُهُمْ بِأَسَاكٍ أَرْبَعُونَ
كَذِبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هِيَ الْفِتَّةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِتَّةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُّونَا

وهالت الهزيمة ابن زياد فقتلهم بثلاثة آلاف رجل بقيادة عبّاد بن الأخضر التميمي، فاتّبعه عبّاد يطلبه، فلحق بهم فتمكن جيش ابن زياد من القضاء على مرادس ومن معه سنة إحدى وستين⁽³⁾.

وفي سنة خمس وستين اشتدت شوكة الخوارج وعلى رأسهم نافع بن الأزرق، فاستغلوا اشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزد وربيعة وتميم، فأقبل نافع بن الأزرق ومن معه نحو البصرة، فبعث إليه عبّيد الله بن الحارث مسلم بن عبيس فخرج إليهم، فاقتتلوا أشدّ قتالاً، وقُتل نافع بن الأزرق، فأمرّوا عليهم

عبدالله بن الماحوز، واشتدّ القتال بين الفريقين⁽⁴⁾.

ونهب حارثة بن بدر الغداني لقيادة أهل البصرة بعد أن قُتل مسلم بن عبيس، وكان أهل البصرة على حال سيئة، وقد فشّت فيهم الجراحات، وعندما بلغ حارثة بد بدر أنّ المهلب بن أبي صفرة قد أمّر على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس⁽⁵⁾:

(1) تاريخ الطبري، ص 314.

(2) المصدر نفسه، ج 5، ص 314.

(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 471.

(4) المصدر نفسه، ج 5، ص 613 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج 5، ص 617.

كرنبوا ودولبوا وحيثُ شئتُم فاذهبوا
فدأمر المهلبُ

وفي سنة اثنتين وسبعين بعث عبدالملك بن مروان مقاتل بن مسمع على جيش وألحقه بناحية عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد لطلب الأزارقة فنزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قُتل، وانهزم عبدالعزيز بن عبدالله بramerمز، ثم طلب عبدالملك ابن بشر بن مروان أن يرسل خالد بن عبدالله ومعه خمسة آلاف رجل، وتوجه الجيش وعلى يمينته المهلب، وكان مع الجيش عبدالرحمن بن محمد، فقال له المهلب: يا ابن أخي، ما يمنعك من الخندق، فقال: والله لهم أهون على من ضرورة الجمل⁽¹⁾.

بلغ الخوارج قول عبدالرحمن بن محمد لهم: "أهون على من ضرورة الجمل" فقال شاعرهم⁽²⁾:

يا طالب الحق لا تستهو بالأمل فإن من دون ما تهوى مدى الأجل
وأعمل لربك وأسأله مثوبته فإن تقواه فاعلم أفضل العمل
وأغز المخانيث في الماذى معلمة كيما نصبح غدواً ضرورة الجمل

ثم زحف إليهم خالد بجيشه فالتقوا بمدينة الأهواز فتقاتلوا كأشد قتال، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم، ثم اتبعهم داود بن قحزم إلى أرض فارس، وعندما علم بذلك الخليفة عبدالملك كتب إلى بشر بن مروان أن يرسل فارساً شجاعاً ليلحق بجيش داود ابن قحزم فأرسل بشر بن مروان عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة التقوا مع جيش داود بن قحزم بأرض فارس فاتبعوا القوم يطلبونهم حتى أصابهم الجهد والجوع، فرجعوا إلى الأهواز⁽³⁾.

ولما دخلت سنة أربع وسبعين ولّى المهلب حرب الأزارقة من قبل عبدالملك ابن مروان، فخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج، ثم أقبل عبدالرحمن بن مخنف بأهل الكوفة، فترأى العسكران بramerمز، فلم يلبث

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص169 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص172.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص173.

الناس إلا عشراً حتى أتاها نعي بشر بن مروان، وتوفى بالبصرة فارفض ناس كثير من أهل الكوفة وأهل البصرة، واستخلف بشر خالد بن عبدالله بن أسيد وكان خليفة على الكوفة عمرو بن حريث، فكتب خالد إلى الناس الذين تركوا المعركة كتاباً يُرغبهم بالجهاد ويحذرهم من عقاب عبدالملك⁽¹⁾.

فلما أتاها الكتاب دخلوا إلى رحالهم حتى قدم الحجاج بن يوسف، ثم ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما، فأجلوا الأزارقة عن مهرمز من غير قتال شديد ثم لحقوا بهم إلى سابور فخذق المهلب، فزحف الخوارج إلى المهلب ليلاً فوجدوه أخذ حذره، فمالوا نحو عبدالرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخذق، فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل في أناس من أصحابه فقتل، فقال شاعرهم⁽²⁾:

لمن المعسكرُ المكلُّ بالصَّرِّ عى فهُم بين ميّتٍ وقَتيلٍ
فتراهُم تَسْفى الرياحُ عليهم حاصِبَ الرَّمْلِ بعدَ جَرِّ الذُّيولِ
وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة⁽³⁾.

وفي سنة سبع وسبعين وبعد تشّتت الأزارقة بالاختلاف الذي حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّه الكبير وبعضهم مع قطريّ بن الفجاءة، توجه فطريّ يُريد طبرستان فبلغ أمره الحجاج فوجه إليهم جيشاً بقيادة سفيان بن الأبرد⁽⁴⁾.

فتقدم الجيش نحو طبرستان ولحقوا بقطريّ في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه، ففرّق عنه أصحابه، ووقع عن دابته أسفل الشعب فهوى، ثم لحقوا به فقتلوه، واحتزوا رأسه وبعثوا به إلى الحجاج⁽⁵⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص195 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص211 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص215.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص309.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص309 وما بعدها.

ثم أقبل سفيان بن الأبرد إلى عسكر عبدة بن هلال وقد تحصن في قصر بقومس، فحاصره فقاتله أياماً، ثم أمر سفيان مناديه ينادى بهم: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، فقال عبدة بن هلال⁽¹⁾:

لَعَمْرِي لَقَدْ قَامَ الْأَصْمُ بِخُطْبَةٍ	لَذَى الشَّكِّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ غَلِيلُ
لَعَمْرِي لَنْ أُعْطِيتُ سَفِيَانُ بِيْعَتِي	وَفَارَقْتُ دِينِي إِنَّنِي لَجَهْلُولُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا تَرَى بِجِيَادِنَا	تَسَاوَكْ هَرَبِي مُخَهَّنَ قَلِيلُ
تَعَاوَرَهَا الْقَذَافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	بِقَوْمَسَ حَتَّى صَعِبَهْنَ ذُلُولُ
فَإِنْ يَكُ أَفْنَاهَا الْحِصَارُ فَرُبَّمَا	تَشَحَّطُ فِيمَا بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ
يُقَدِّنَ مِمَّا إِنْ يُقَدِّنَ عَلَى الْوَجَى	لَهْنٌ بِأَبْوَابِ الْقَبَابِ صَهِيلُ

التقى الأزارقة وجيش المهلب واقتتلوا أشد قتال، وقتل الأزارقة قتلاً ذريعاً، فانكفئوا راجعين مقتولين، وأقام المهلب بالأهواز، وسجل الشعر هذه الموقعة في تاريخ الأزارقة الحربي في أبيات شعرية لقطري بن الفجاءة الذي راح يصف لأُم حكيم حرب دولاب وما لقيت بكر بن وائل حين غرقت هي والأزد في ماء دُجيل وطففت على وجهه لحي الغرقى من شيوخ الأزد، وجرت الخيول محممة على تميم، ثم عاجت على عبد القيس شفرات السيوف وعلى أحلافها قبيلة يحصب وقبيلة سليم⁽²⁾:

يَا كَبْدًا مِنْ غَيْرِ جُوعٍ وَلَا ظَمَاءٍ	وَيَا كَبْدِي مِنْ حُبٍّ أَمْ حَكِيمٍ
وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذُلَابٍ أَبْصَرْتُ	طِعَانَ امْرِئٍ فِي الْحَرْبِ غَيْرَ لَثِيمٍ
غَدَاةً طَفَّتْ فِي الْمَاءِ بَكَرُ بْنُ وَائِلٍ	وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ
وَكَانَ لَعَبْدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ حَدَّنَا	وَذَلَّتْ شُيُوخُ الْأَزْدِ وَهِيَ تَعُومُ

وكان قطري بن الفجاءة يؤثر في شعره أن تكون أُم حكيم تشهده وهو يصارع الأبطال، وقد كان هؤلاء الشعراء الحماسيون يتمنون لو شهدتهم نساؤهم في العراك والطعان، ليملكوا قلوبهن بشجاعتهم⁽³⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص311.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص614 - 619.

(3) شعر الحرب في أدب العرب، زكي المحاسني، دار المعارف بمصر، ط2، ص71.

وفي سنة مائة للهجرة خرج شوذب اليشكري على عبدالحميد بن عبدالرحمن، فكان مخرجه في ثمانين فارساً فكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبدالحميد ألا يقاتلهم إلا أن يسفكوا دمًا ويُفسدوا في الأرض، وكتب إليه أن جهز جيشاً بقيادة رجل حازم فاختر عبدالحميد محمد بن جرير⁽¹⁾.

ثم كتب عمر بن عبدالعزيز إلى شوذب أن يبين له سبب خروجه عليه، فبعث شوذب برسولين إلى الخليفة عمر لينظرانه فدخلوا على الخليفة وسألوه عن سبب اختياره ليزيد من بعده خليفة فطلب منهم الخليفة عمر أن يُمهلاه ثلاثة أيام، فخاف بنو مروان أن يُخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد ففسدوا إليه من سقاه سُمًا⁽²⁾.

فلما مات الخليفة عمر أحبّ عبدالحميد بن عبدالرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبدالملك، فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه، فاقتتلوا وأصيب من الخوارج نفر، وتمكنوا من قتل عبدالحميد ومن معه، وقُتل من الخوارج في هذه المواجهة هُدبة اليشكري، وأبو شبيل مقاتل بن شيبان وآخرين⁽³⁾.

وعلى أثر المعركة التي دارت بين الخوارج بقيادة بسطام اليشكري الملقب بشوذب رثى أبو ثعلبة أيوب بن خولى قتلى الخوارج، وخص منهم هُدبة اليشكري ابن عم بسطام، وأبا شبيل مقاتل بن شيبان، فهو يعلى فيمن رثاهما مقارعة الأعداء واقتحام الأهوال، ونجدة الأسير، ويغبطهما على الفوز بالشهادة ولقاء الله، وبين أيديهما كل ما قدماه في سبيل الله فقال⁽⁴⁾:

تركنا تميماً في الغبار ملحّباً	تُبكى عليه عرسُهُ وقرائنه
فيا هُدبَ للهيجاء، ويا هُدبَ للندى	ويا هُدبَ للخِصم الألدَّ يُحاربُهُ
ويا هُدبَ كم من ملحم قد أجبته	وقد أسلمته للرّماح جوالبه
وكان أبو شيبان خيرَ مقاتلٍ	يُرجى ويخشى بأسه من يُحاربهُ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص555.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص556.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص575 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص576 وما بعدها.

فَفَازَ وَلاَقَى اللهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ وَخَذَمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللهِ ضَارِبُهُ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعاً وَمَغْفِراً وَعَضَبْنَا حُسَاماً لَمْ تَخْنُهُ مَضَارِبُهُ

إنَّ رِثَاءَ الْخَوَارِجِ لِشَهِدَائِهِمْ، يَخْتَلِفُ عَنْ رِثَاءِ الْقَتْلَى فِي شَعْرِ الْأَحْزَانِ
الْأُخْرَى، إِذْ يَقْلُ فِيهِ الْأَنِينُ وَالشُّكْوَى وَالْعَوِيلُ وَيَعْمُرُ بِطَلَبِ الْمَثُوبَةِ، وَتَحْقِيرِ أَمْرِ
الدُّنْيَا، وَإِعْظَامِ أَمْرِ الْمَجَاهِدِينَ الْمُسْتَشْهِدِينَ، وَتَمْنَى اللَّحَاقِ بِالشَّهْدَاءِ⁽¹⁾.

كَانَ الْخَوَارِجُ هَدَفًا دَائِمًا لِلْأَضْطِهَادِ وَالتَّشْرِيدِ عَلَى يَدِ بَنِي أُمِيَّةٍ، فَكَانَ وَضْعُهُمْ
سَيِّئًا فِي أَغْلَبِ أَحْوَالِهِمْ، فَكَانَ الْمَوْتُ عِنْدَهُمْ هُوَ (الْغَايَةُ الْمَنْشُودَةُ) وَلِذَلِكَ كَانَ الشَّاعِرُ
الْخَارِجِيُّ فِي صِرَاحٍ كَبِيرٍ مَعَ الزَّمَنِ، وَسَبِيلَهُ إِلَى الْإِنْتِصَارِ عَلَيْهِ هُوَ الْمَوْتُ⁽²⁾.

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً خَرَجَ الضَّحَّاكُ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ
بِقِيَادَةِ سَعِيدِ بْنِ بَهْدَلِ الشَّيْبَانِيِّ، فَلَحَقُوا بِمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا بِسْطَامَ وَمَنْ
مَعَهُ مِمَّنْ خَرَجُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَقَالَ الْخَبِيرِيُّ مَفْتَخِرًا بِنَفْسِهِ وَبِشَجَاعَتِهِ⁽³⁾:

إِنْ يَكُ بِسْطَامٍ فَإِنِّي الْخَبِيرِيُّ اضْرِبْ بِالسَّيْفِ وَأَحْمِ عَسْكَرِي
اجْتَمَعَ مَعَ الضَّحَّاكِ بْنُ قَيْسِ الشَّيْبَانِيِّ نَحْوُ مِنْ أَلْفٍ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْكُوفَةِ،
فَاسْتَوَلَى الضَّحَّاكُ عَلَى الْكُوفَةِ، وَهَلَكَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَامِلُهُ عَلَى الْكُوفَةِ، فَوَلَّى
مُرْوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ النَّضْرُ بْنُ سَعِيدِ الْحَرَشِيِّ⁽⁴⁾.

أَقْبَلَ الضَّحَّاكُ فَنَزَلَ النَّخِيلَةَ، فَخَفَّ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الشَّامِ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ
فَارِسًا، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَأَكْبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُلْقَمَةَ عَلَى
جَعْفَرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ فَقَتَلَهُ فَقَالَتْ أُمُّ الْبُرْذُونِ الصُّفْرِيَّةُ مَفْتَخِرَةٌ وَمَتَشْفِيَةٌ بِقَتْلِهِمْ لِعَاصِمٍ
وَجَعْفَرٍ⁽⁵⁾:

نَحْنُ قَتَلْنَا عَاصِمًا وَجَعْفَرًا وَالْفَارِسَ الضُّبِّيَّ حِينَ أَصْحَرَا
وَنَحْنُ جُنَّا الْخَنْدَقَ الْمَقْعَرَا

(1) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ص 192.

(2) المرجع نفسه، ص 191.

(3) تاريخ الطبري، ج 7، ص 316.

(4) المصدر نفسه، ج 7، ص 317.

(5) المصدر نفسه، ج 7، ص 319.

لم يأمن عبید الله بن العباس على نفسه فجنح إلى الضحاک فبايعه، فقال أبو عطاء السندی یعیره باتباعه الضحاک وقد قتل أخاه، وأن جعفرأ لو كان حیاً لما بايع الضحاک ولكنه سوف يأخذ بثأرك من الضحاک فقال⁽¹⁾:

قُلْ لِعُبَيدِ الله لو كان جعفرٌ هو الحيّ لم یجنح وأنت قتيلٌ
ولم يتبع المراق والثأرُ فيهم وفي كفّه عضبُ الذبابِ صقيلٌ
إلى معشرٍ أردوا أخاك وأكفروا أباك، فماذا بعد ذاك تقول!

دعا أهل الموصل الضحاک إلى بلدهم، فدخله وطرده عامل مروان، وعظم شأن الضحاک بالكوفة، ثم سار الضحاک إلى نصيبين، فحاصره عبدالله بن عمر بن مروان، ثم لحق به مروان نفسه فهزمه وقتله⁽²⁾.

4.4 الصراع بين الأمويين والشيعة:

أخذ الشيعة في الظهور بشكل واضح قبل أن يُقتل عثمان فلما قُتل أسرعوا إلى علي وبايعوه بالخلافة ومن حينئذ تكون هذا الحزب تكوناً سياسياً، وكان من أهم مبادئه أن تكون في بني هاشم، فهم آل الرسول، لذلك فهم أحق الناس بالخلافة⁽³⁾، كانت هناك جماعات أخرى ترى أحقية علي بالخلافة لسابقته في الإسلام وعلمه وفضله وكمال صفاته⁽⁴⁾.

عندما قام معاوية بن أبي سفيان بإباحة سبّ علي على منابر الكوفة عقب كل خطبة هاج الشيعة فقبض زياد بن أبيه والي الكوفة على كبرائهم سنة إحدى وخمسين للهجرة وأرسلهم إلى معاوية، فقتل منهم ثمانية، فيهم حُجر بن عدي، وعفا عن ستة تبرأوا من علي⁽⁵⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص320 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص345 وما بعدها.

(3) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص91.

(4) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص333.

(5) تاريخ الطبري، ج5، ص253-257.

وكانت هذه القسوة سبباً في ضعف الشيعة أيام معاوية، وقصر التشيع على ميدان العقيدة، لا على ميدان العمل والثورة⁽¹⁾.

فلما تولى الخلافة يزيد بن معاوية أرسل إلى عامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة من كبار الصحابة في الحجاز، رفض الحسين بن علي، وراسلته الشيعة من الكوفة، فبعثوا إليه كتباً عدة يطالبونه فيها أن يشخص إليهم، فبعث ابن عمه مسلم بن عقيل، فالتفوا حوله، وتمكن عبيد الله بن زياد من القضاء على ثورة الشيعة التي قادها مسلم، وصلبه بعد مقتله⁽²⁾.

وكان هانئ بن عروة ممن قُتل مع مسلم وصلب، فقال شاعرهم في رثائهم⁽³⁾:

فإن كنت لا تدرين ما الموتُ فانظري إلى هانئ في السوق وابن عقيل
أصابهما أمرُ الإمام فأصبحا أحاديثٌ من يسعى بكل سبيل
خرج الحسين بن علي إلى الكوفة، فتخلّى أهل الكوفة عنه، فلقينّه جنود عبيد الله عند كربلاء، فحارب هو وأهله، فقتلوا جميعاً سنة إحدى وستين للهجرة⁽⁴⁾.
لقد كان هذا الحادث البشع المنكر مذكياً للتشيع، وكان من العوامل التي أدت إلى وحدة الشيعة وحماسهم لنصرة مذهبهم، وسبباً في ثورتهم الجارفة ليثأروا من قتلة الحسين⁽⁵⁾.

لم يلبث عداء الشيعة للأمويين أن أعلن في عهد عبدالملك بن مروان، فتحركوا بالكوفة، واتعدوا الاجتماع بالأنخيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشام ليثأروا للحسين بن علي⁽⁶⁾، أجمع الشيعة على أنهم أفرطوا في دم الحسين،

(1) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد الحوفي، ص 39.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 347-350.

(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 350 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج 5، ص 452 وما بعدها.

(5) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد الحوفي، ص 41.

(6) تاريخ الطبري، ج 5، ص 551.

وندموا على ما اقترفوا، وتابوا مما اجترحوا، فسمّوا التوابين وتزعمهم سليمان بن صُرد الخزاعي⁽¹⁾.

توجّه الشيعة بقيادة سليمان بن صُرد إلى قبر الحسين بن علي وبكى الناس بأجمعهم، وعندما انصرف الشيعة وقائدهم سليمان بن صرد عن قبر الحسين أخذ عبدالله بن عوف بن الأحمر يرتجز وهو يتقدم جيش التوابين إلى عين الوردية، وأخذ يرسم صورة الخيل العوابس التي تخرج للقتال وتحمل فوق متونها أولئك الأبطال الذين تلمع في أيديهم السيوف، وقد خلفوا وراءهم الأهل والأحباب والأموال، فقال⁽²⁾:

خَرَجْنَ يَلْمَعْنَ بِنَا أَرْسَالَا عَوَابِسًا يَحْمَلُنَا أَبْطَالَا
نُرِيدُ أَنْ نَلْقَى بِهِ الْأَقْتَالَا الْقَاسِطِينَ الْغُدْرُ الضُّلَالَا
وَقَدْ رَفَضْنَا الْأَهْلَ وَالْأَمْوَالَا وَالْخَفِرَاتِ الْبَيْضَ وَالْحِجَالَا

نُرْضَى بِهِ ذَا النِّعَمِ الْمَفْضَالَا

أرسل عبيد الله بن زياد الحُصَيْن بن نُمَيْر على رأس اثني عشر ألفاً فقاتلهم قتالاً شديداً، وقُتل سليمان بن صرد فأخذ الراية المسيّب بن نجبة، فقاتل المسيّب حتى قُتل، ثم أخذ الراية عبدالله بن نفيل، وأخذ يقاتلهم وهو يقول أَرْجَاؤاً مَاسِيَةً يَفْتَخِرُ فِيهَا بِشَجَاعَتِهِ وَحَسَنَ بَلَاءِهِ فِي الْقِتَالِ، فقال⁽³⁾:

قَدْ عَلِمْتُ مَيَالَةَ الذَّوَائِبِ وَاضِحَةَ اللَّيَّاتِ وَالتَّرَائِبِ
أَنْى غَدَاةَ الرُّوْعِ وَالتَّغَالِبِ أَشْجَعُ مِنْ لِبْدِ مَوَائِبِ
قَطَّاعُ أَقْرَانٍ مَخَوْفُ الْجَانِبِ

وقُتل من الشيعة نفرٌ غير قليل منهم المزنّى والطائي وكان المزنّى فارساً شجاعاً فأبلى في المعركة بلاءً حسناً فقال قبل أن يُقتل⁽⁴⁾:

أَنْى مِنْ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَفِرَّ رَضِوانَكَ اللَّهُمَّ أَبْدَى وَأَسِرَّ

(1) المكتّمات، كاظم الظواهري، ص 81 وما بعدها.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 591.

(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 600.

(4) المصدر نفسه، ص 607.

عاد الذين نجوا من معركة عين الوردة إلى العراق، وتوجهوا إلى الكوفة، فتزعم المختار بن أبي عبيد الدعوة، والتفّ حوله الشيعة، فعلم المختار أنّ عبيد الله ابن زياد قادماً بجيشه من الشام إلى العراق بأمرٍ من مروان بن الحكم، فبعث المختار جيشاً لقيه عند الموصل سنة ست وستين، فالتقوا وتقاتلوا⁽¹⁾.

وأسر جيش المختار خمسمائة أسير، وقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين ممّن شهد قتل الحسين، ودعا من بقي من الأسارى فاعتقهم، وأخذ عليهم الموائيق ألاّ يجامعوا عليه عدوّاً، ولا يبغيه ولا أصحابه، ولمّا خرج المختار من جبّانة السّبيع، وأقبل إلى القصر أخذ سُرّاقة بن مرادس يناديه مستعطفاً إياه على أن يعتقه من أسره، فقال⁽²⁾:

أَمِنَ عَلَى الْيَوْمِ يَا خَيْرَ مَعْدُ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشَحْرِ وَالْجَنْدِ
وَخَيْرَ مَنْ حَيًّا وَلَبَّى وَسَجَدُ

فبعث به المختار إلى السجن، ثمّ دعاه، فأقبل سُرّاقة إلى المختار يعتذر منه، ويتذلّل إليه من أجل حياته المهددة، ويبلغ هذا التذلّل أقصاه حين يهاجم الشاعر نفسه وأصحابه، فهو يعلن أنهم خرجوا لقتال المختار، فكان خروجهم عليهم لا لهم، وأن خروجهم على المختار كان سفهاً وحُمقاً وجحوداً فقال⁽³⁾:

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعْفَاءَ شَيْئاً وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْراً وَخَنِيَا
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِّهِمْ قَلِيلاً وَهُمْ مِثْلُ الدَّبَى حِينَ التَّقِينَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْباً طَلْحَقاً وَطَعْنَا صَائِباً حَتَّى انْتَشِينَا
نَصَرْتِ عَلَى عَدُوِّكَ كُلِّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنَا

كان سُرّاقة بن مرادس مكرراً، فكان يرى أن خير وسيلة يضمن بها رضا المختار أن يعلن أنّه مؤمن به ومصدق له في ذلك الجانب الذي كان المختار يحرص

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص38-42.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص51.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص54.

على أن يصدق الناس فيه وهي تلك الأكاذيب التي كان يذيعها في أصحابه ليوهمهم بأنه كالأنبياء يُوحى إليه، وأن السماء راضية عن حركته⁽¹⁾.

أدعى سُراقَة أن الملائكة كانت تُقاتل مع المختار وأن الملائكة هي التي أسرته فقد كانت على دواب بُلُق، عليهم ثياب بيض، فقال⁽²⁾:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيت البُلُق دُهماً مُصمّات
أرى عيني ما لم ترأياه كلانا عالم بالترّهات

ولكن لم يكد سراقَة يخرج من الكوفة، ويبعد عن سلطان المختار حتى ينفذ عن نفسه هذا الغبار الذليل، فقال أبياتاً يصور فيها هذه الثورة النفسية، ويسخر من تلك الأكاذيب والترّهات التي يذيعها المختار فيهم، والتي استغلها من أجل النجاة بحياته فقال⁽³⁾:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيت البُلُق دُهماً مُصمّات
كفرت بوحكم وجعلت نذراً على قتالكم حتى المّمات
أرى عيني ما لم تبصراه كلانا عالم بالترّهات
إذا قالوا أقول لهم كذبتُم وإن خرجوا لبست لهم أداتي

خرج جيش المختار نحو عبدالقيس، وانتهوا بهم إلى المختار، فأمر بهم فقتلوا في السوق، وقد نجا منهم حُميد بن مسلم، فقال يحمد الله الذي نجاه من بين يدي المختار⁽⁴⁾:

ألم ترني على دهبٍ نجوت ولم أكد أنجو
رجاً الله أنقذني ولم أك غير أرجو

وعندما توجّه أشراف الكوفة إلى مصعب بن الزبير، وشكوا إليه ممّا فعله المختار بهم، أرسل مصعب جيشاً بقيادة المهلب بن أبي صفرة، وهو عامله على

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص 396.

(2) تاريخ الطبري، ج 6، ص 55.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 55.

(4) المصدر نفسه، ج 6، ص 58 وما بعدها.

فارس، وبعث المختار جيشاً كثيفاً مع أحمر بن شميطة، ودارت المعركة بين الجيشين⁽¹⁾.

دخل جيش مصعب الكوفة، وكان المختار يُسيطر على القصر والمدينة الداخلية، فقام جيش البصرة بمحاصرتهم لمدة أربعة شهور، وفضل أصحاب المختار أن يسلموا أنفسهم فقال لهم: "إذا أنا خرجت فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفاً وذللاً، فإن نزلتم على حكمهم وثب أعداؤكم الذين قد وترتموهم"، فخرج المختار في تسعة عشر رجلاً، فضارب بسيفه حتى قُتل⁽²⁾.

أما بقية أصحاب المختار فبعث إليهم مصعب بن الزبير عبّاد بن الحُصين الحبطي، فكان يخرجهم مكتوفين، وطلب عبدالله بن قُرَاد عصاً أو حديدة أو شيئاً يقاتل به فلم يجده، وذلك أنّ الندامة أدركته بعدما دخلوا عليه، فأخذوا سيفه، فأخذ يتحسّر ويندم على مخالفة المختار وعدم قتالهم إلى جانبه فقال⁽³⁾:

ما كنتُ أخشى أن أرى أسيراً إنّ الذين خالفوا الأميراً
قد رُغِمُوا وتَبَرُّوا تتبيرا

قتل مصعب جميع الذين سلّموا، ويتراوح عددهم بين الستة والثمانية آلاف، فاستحقّ من أجل ذلك أن يلقَّب بلقب "الجزاز"⁽⁴⁾، فقال عقبة الأسدّي يرثيهم ويلوم مصعب الذي قتلهم بعدما أعطاهم الأمان ويعيب عليهم أنهم قتلوهم وهم مكتفون⁽⁵⁾:

قتلتم ستة آلاف صبراً مع العهد الموثق مكتفيننا
جعلتم ذمة الحبطي جسراً ذلّواً ظهره للواطئينا
وما كانوا غداة دُعوا فغرّوا بعهدهم بأول حائئينا

وقال أعشى همدان يمدح جيش مصعب بما فعلوا بالمختار ومن معه، ويشبهه جيش مصعب بالصاعقة التي حلت على جيش المختار، ويتشفّى بما لقي المختار من

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص94 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص107 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص108.

(4) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن، ص163.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص116.

خزي وعار⁽¹⁾:

ألا هل أتاك والأنباء تُنمى
كان سحابة صغت عليهم
فبشر شيعه المختار إما
أقر العين صرعاهم وقل
وما إن سررتي إهلاك قومي
ولكني سررت بما يلاقى
بما لاقت بجيلة بالمدار
فعمت هم هُنالك بالدمار
مررت على الكوفة بالصغار
لهم جم يقتل بالصحاري
وإن كانوا وجدك في خيار
أبو إسحاق من خزي وعار

وفي عهد هشام بن عبد الملك خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة، فجعلت الشيعة تأمره بالخروج، فأقام بالكوفة، واجتمع مائة ألف رجل من أهل الكوفة⁽²⁾.

بلغ يوسف بن عمر، وهو والي هشام بن عبد الملك على العراق يومئذ أن زيدا قد أزمع على الخروج، فبعث إلى الحكم بن الصلت أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه⁽³⁾.

توجه زيد ومن معه إلى المسجد وأخرجوا المحصورين في المسجد، والتقوا مع أهل الشام واقتتلوا قتالاً شديداً وأصيب زيد بن علي بسهم ومات، وقام أصحابه بدفنه فدلّ عليه غلام زيد بن علي، فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزني وابن الحكم بن الصلت فاستخرجاه وبعث برأسه إلى يوسف بن عمر، فقال أبو الجويرية يستهجن عليهم فعلتهم هذه بانتهاكهم المحارم ونبشهم قبر زيد وحز رأسه، ثم يذكرهم ويخص منهم يوسف بن الحكم بالوقائع والحروب التي كانت بينهم⁽⁴⁾:

قل للذين انتهكوا المحارم
كيف وجدتم وقعة الأكارم
ورفعوا الشمع بصحرا سالم
يا يوسف بن الحكم بن القاسم

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص97 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص166.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص181.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص184-187.

ثم أمر يزيد فصلب بالكُناسة هو ومن كان معه من أتباعه⁽¹⁾.

5.4 الفتن والثورات الداخلية:

لم يخلُ العصر الأمويّ من الفتن والثورات الداخلية منذُ أن تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، لأنّ الأمويّين في نظر كثير من الأمة الإسلامية مغتصبون للخلافة، فقد ناصبوا الدعوة الإسلامية العداء، وظلّم عمّالهم الناس، إضافة إلى استهتار بعض الخلفاء، كيزيد بن معاوية، ويزيد بن عبد الملك وابنه الوليد، وعبثهم ومجونهم، فسخط عليهم أهل التقى والورع وثاروا عليهم⁽²⁾.

توفي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين، وكان مسلم بن زياد والياً على خراسان، فكتب مسلم الخبر وأخذ البيعة لنفسه، فقال ابنُ عرادة يُشيع خبر وفاة يزيد⁽³⁾:

يأيُّها الملكُ المُغلّقُ بابَهُ	حدثتُ أمورَ شأنهنَّ عظيمُ
طرقتُ منيتهُ وعندَ سادِهِ	كُوبٌ وزقٌّ راعِفٌ مرثومُ
ومُرنةٌ تبكي على نَشوانِهِ	بالصَّنَجِ تقَعُدُ تارةً وتقومُ

فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر مسلم موت يزيد بن معاوية، ودعا الناس إلى البيعة، حتى يستقيم أمر الناس على خليفة، فبايعوه، ثم نكثوا به⁽⁴⁾.

وثب أهل خراسان بعمّالهم فأخرجوهم، ووقعت الفتنة فغلب عبدالله بن خازم على خراسان، ثم أمر ابن خازم زهير بن حيّان فقتل عمرو بن مرشد، فقال الشاعر يذكر هذه الفتنة وقتل زهير بن حيّان لعمر بن مرشد⁽⁵⁾:

أتذهبُ أيامَ الحروبِ ولم تُبَيِّ
زهير بنَ حيّانٍ بعمر بن مرشدٍ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص187.

(2) العصر الأموي أدبه وحضارته، عزيزة بابتي، ص57.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص545.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص545.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص550.

وكما كان الهجاء قبلياً في دوافعه في العصر الأموي كان قبلياً كذلك في طوابعه وسماته، فالشاعر لا يخص بهجائه فرداً واحداً، وإنما يتناول القبيلة كلها، يجردها من المناقب، ويرميها بكل نقیصة⁽¹⁾، ومن ذلك ما قاله المغيرة بن حنبل وهو تميمي مضريّ يهجو قبيلة بكر بن وائل ويذكر أن حالهم كان في تلك الحرب بين قتل وسجين، وكيف أن عبدالله بن خازم حاصرهم في خنادقهم فجعلها عليهم كالقبور، ويذكر تخليهم عن عمرو بن مرثد، وعصيائهم لأمر أوس بن ثعلبة فقد أمرهم أن يعتصموا بخنادقهم لكنهم أبوا وخرجوا للقتال. فكانت النتيجة هزيمتهم على يد ابن حازم، وقتل منهم يومئذ ثمانية آلاف⁽²⁾.

وفي الحرب كنتم في خراسان كلها
 قتيلاً ومسجوناً بها ومسيراً
 ويوم احتواكم في الحفير ابن خازم
 فلم تجدوا إلا الخنادق مقبراً
 ويوم تركتم في الغبار ابن مرثد
 وأوساً تركتم حيث سارو وعسكراً

وفي سنة سبع وستين خرج إبراهيم بن الأشتر للحاق بعبيد الله بن زياد ومن والاه، لقتله الحسين بن علي فلقوا به وقتلوه فقال سراقه بن مرداس البارقي يمدح ابراهيم بن الأشتر وأصحابه على شجاعتهم في قتال الأعداء، ويدعو لإبراهيم بن الأشتر ومن كان معه ويصفهم بأنهم شرطة الله الذين اختارهم ليثأروا للحسين بن علي من قتلته وهم بفعلهم هذا شفوا غليل الشاعر من عبيد الله، فقال⁽³⁾:

أتاكم غلام من عرانيين مذحج
 جرى على الأعداء غير نكول
 فيابن زياد بو بأعظم مالك
 وذق حدّ ماضي الشفرتين صقيل
 ضربناك بالعضب الحسام بحدّة
 إذا ما أبأنا قاتلاً بقتيل
 جزى الله خيراً شرطة الله إنهم
 شفوا من عبيد الله أمس غليلي

وفي سنة تسع وستين كان خروج عبدالملك بن مروان إلى عين وردة، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها، فبلغ ذلك عبدالملك،

(1) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص 495.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 551.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 92.

فرجع إلى دمشق فحاصره وقاتله بها، وتمكن عبدالملك من قتله، وهو يقول متمثلاً⁽¹⁾:
يا عمرو إن لا تدع شتْمِي ومنقصتي اضربك حيث تقول الهامة اسقوني
قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبدالملك ذات يوم: عجب منك ومن عمرو بن
سعيد، كيف أصبت غرته فقتلته، فقال عبدالملك يصف لخالد كيف قتل عمرو بن
سعيد وأنه قتله غضباً لدينه وليس سبيل المسيء كالمحسن⁽²⁾:

دَانَيْتُهُ مَنَى لَيْسَ كَنَ رُوعُهُ فَأَصُولُ صَوْلَةٍ حَازِمٍ مُسْتَمَكِنٍ
غَضَبًا وَمَحْمِيَةً لَدَيْنِي إِنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْمُحْسِنِ

وفي السنة الثانية والسبعين كتب عبدالملك بن مروان إلى عبدالله بن خازم مع
سورة بن أشيم النُميري: إِنَّ لَكَ خُرَاسَانَ سَبْعَ سِنِينَ عَلَى أَنْ تُبَاعَ لِي، فقال ابنُ خازم
لسورة: لولا أن أضرب بين بنى سُليم وبنى عامر لقتلتك، ولكن كل هذه الصحيفة،
فاكها⁽³⁾.

ثُمَّ كَتَبَ عَبْدِالْمَلِكِ إِلَى بُكَيْرِ بْنِ وَشَّاحٍ - وَكَانَ خَلِيفَةَ ابْنِ خَازِمٍ عَلَى مَرَوْ
بِعَهْدِهِ عَلَى خُرَاسَانَ وَوَعَدَهُ بِذَلِكَ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ ابْنُ خَازِمٍ بِذَلِكَ أَخَذَ يَسْتَعِدُّ لِلْقِتَالِ،
فَتَهَاجَعَ الْعَسْكَرَانِ وَقُتِلَ ابْنُ خَازِمٍ، وَبَعَثَ بِكَيْرٍ بِالرَّأْسِ إِلَى عَبْدِالْمَلِكِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ
بَنِي سُلَيْمٍ، يَرِثِي ابْنَ خَازِمٍ وَيَدْعُو إِلَى الْإِخْذِ بِثَأْرِهِ⁽⁴⁾:

فَلَوْ شَهِدَ الْفَوَارسُ مِنْ سُلَيْمٍ غَدَاةً يُطَافُ بِالْأَسَدِ الْعَقِيرِ
لَنَازَلَ حَوْلَهُ قَوْمٌ كِرَامٌ فَعَزَّ الْوَتِيرُ فِي طَلَبِ الْوُتُورِ
فَقَدْ بَقِيَتْ كِلَابٌ نَابِحَاتٌ وَمَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَكَ مِنْ زَنْبِيرٍ

تتابعت الفتن والثورات ضد الحكم الأموي، ففي سنة إحدى وثمانين كانت
ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث التي أشعل نيرانها ضد الخليفة عبدالملك
وواليه على العراق الحجاج، وكان سبب الخلاف بين ابن الأشعث والحجاج، أن ابن

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص145.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص148.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص176.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص177 وما بعدها.

الأشعث بعد أن أنهى غزو بلاد رتييل وغنم أراد أن يعود فطلب منه الحجاج أن يستمر في قتال العدو، ولكن ابن الأشعث رفض الاستمرار في الغزو خوفاً على جنده، وكذلك جنوده رفضوا القتال، وقاموا بمبايعة ابن الأشعث، على خلع الحجاج وجهاده لنفيه من أرض العراق⁽¹⁾.

قدم جيش ابن الأشعث وعلى مقدمته عطية بن عمرو العنبري، فجعل لا يلقى خيلاً إلا هزمها، فقال الحجاج من هذا؟ ف قيل له: عطية، فقال الأعشى يذكر شجاعة عطية وحسن بلائه⁽²⁾:

فإذا جعلت دُرباً فـ رسَ خلفهم دُرباً فدرباً
فابعث عطية في الخيو ل يكبهنَّ عليك كبا

فتمكن ابن الأشعث من هزيمة الحجاج⁽³⁾، ولم تتوقف الحرب بينهما، ففي سنة اثنتين وثمانين كانت وقعة الزاوية، فتقاتلوا في المحرم واشتد قتالهم، فتمكن أهل العراق من هزيمة الحجاج وجنده⁽⁴⁾.

وقُتل الطفيل بن عامر بن واثلة وهو أحد قادة ابن الأشعث وكان قال وهو بفارس عندما أقبل مع عبدالرحمن أبياتاً شعرية يتوعد فيها الحجاج بالعذاب الذي سوف يلاقيه على أيدي المؤمنين، وأنه لن ينجو منهم مهما هرب⁽⁵⁾:

ألا أبلغ الحجاج أن قد أظله عذاب بأيدي المؤمنين مُصيبُ
متى نهبط المصريين يهربُ محمدٌ وليس بُمنجى ابن اللعين هُروبُ

مضى ابن الأشعث نحو الكوفة فيابعوه، وعندما علم عبدالملك بن مروان بذلك أرسل إليه جيشاً فاجتمعوا بدير الجماجم وأخذوا يتزاحفون في كل يوم يقتتلون⁽⁶⁾، وهزم ابن الأشعث ومضى هارباً مع ابن جعده بن هُبيرة ومعه أناس من

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص334-336.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص337.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص341.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص342.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص343.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص344.

أهل بيته، فلحق بهم بسطام بن مصقلة، فقال: هل السفينة عبدالرحمن بن محمد؟ فلم يكلموه، وظن أنه فيهم، فقال⁽¹⁾:

لا أولت نفس عليها تُجاذرُ

صرم قيس على البلاد حتى إذا اضطرمت أجذما

وفي السنة الثالثة والثمانين كانت وقعة "مسكن" بين ابن الأشعث والحجاج، خرج الحجاج للقتال وخرج الناس معه إلى مسكن، وتأهبوا للقتال، فالتقوا في مسكن وتقاتلوا فتمكن الحجاج من هزيمة ابن الأشعث⁽²⁾، ثم بعث يزيد بن المهلب بالأسرى إلى الحجاج، وكان الحجاج يأتي بهم واحداً تلو الآخر ليقتلهم، فأتى بعبدالله بن عامر، فلما قام بين يديه قال: لا رأيت عيناك يا حجاج الجنة، إن أقلت ابن المهلب بما صنع، قال: وما صنع؟ قال⁽³⁾:

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضرا
وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا

وتوجه ابن الأشعث بعد هزيمته في وقعة مسكن إلى رتبيل فكتب الحجاج إلى رتبيل أن يبعث إليه برأس ابن الأشعث وإلا فسوف يحاربه، وكان عند رتبيل رجل من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع، فأغرى رتبيل بالمال، فقال له: أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكفن الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبدالرحمن بن محمد، قال رتبيل لعبيد: إن فعلت فإن لك عندي ما سألت⁽⁴⁾.

وأرسل برأس ابن الأشعث وبرؤوس أهله وبامراته إلى الحجاج، فقال في ذلك بعض الشعراء⁽⁵⁾:

هيهات موضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرخج

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص364.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص367-372.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص379.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص389 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص391.

وفي سنة إحدى ومائة قام يزيد بن المهلب بخلع يزيد بن عبد الملك، وكان يزيد بن المهلب يعطي من أتاه من الناس فكان يقطع لهم قطع الذهب، وقطع الفضة، فمال الناس إليه، وأمّا عدي بن أرطاة والي يزيد بن عبد الملك على البصرة لا يُعطي إلا درهمين، فقال الفرزدق يهجو عدي بن أرطاة لفرضه درهمين للناس وهو مبلغ زهيد⁽¹⁾، وكان الفرزدق يتناول مهجويه فيقلل من شأنهم، ويرميهم بألوان اللؤم والحطة والخسة⁽²⁾:

أَظُنُّ رَجَالَ الدَّرْهَمِينَ يُسَوِّقُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ آجَالٌ لَهُمْ وَمَصَارِعُ
فَأَحْزَمُهُمْ مَنْ كَانَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ وَأَبْقَيْنَ أَنْ الْأَمْرَ لَا شَكَّ وَاقِعُ

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عديّ، فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولى له يُقال له دارس فهزمهم، فقال الفرزدق يهجو قبيلة قيس التي فرقها دارس مولى المهلب⁽³⁾:

تَفَرَّقَتِ الْحَمَرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدِيٍّ مَلَامَةً أَلَا صَبِرُوا حَتَّى تَكُونَ مَلَا حِمُ

وخرج يزيد بن المهلب واجتمع له الناس، حتّى نزل جبّانة بني يشكر فاقتتلوا، وانهزم أصحاب عديّ، فقال القطامي يفخر بجيش يزيد بن المهلب⁽⁴⁾:

لَعَلَّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدَا يَقُودُ جَيْشًا جَحْفَلًا شَدِيدَا
تَسْمَعُ لِلْأَرْضِ بِهِ وَئِيدَا لَا بَرْمًا هِدَاً وَلَا حَسُودَا
وَلَا جَبَانًا فِي الْوَغَى رَعِيدَا تَرَى ذَوِي السَّاجِ لَهْ سُجُودَا
مُكْفَرِّينَ خَاشِعِينَ قُودَا وَآخِرِينَ رَحَبُوا وَفُودَا
لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَلَا الْمَعْهُودَا مَنْ نَفَرَ كَانُوا هِجَانًا صِيدَا

ثمّ توجه يزيد بن المهلب للقاء مسلمة بن عبد الملك فقدم يزيد بن المهلب أخاه عبد الملك نحو الكوفة، فشده عليهم أهل البصرة واقتتل القوم، وانهزم جيش يزيد بن

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص579-581.

(2) الفرزدق، شاعر الفحاح، دار الفكر، دمشق، 1977، ص333.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص581.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص585.

المهلب، وقُتل المنتوف من بكر بن وائل فقال الفرزدق يحرض بكر بن وائل للأخذ
بثأر مالك وعبدالملك ابني مسمع البكريين⁽¹⁾:

تُبَكِّي على المنتوف بكر بن وائل وتتهى عن ابني مسمع من بكاهما
غلامين شباً في الحروب وأدركا كرام المساعي قبل وصل لحاهما
ولو كان حياً مالك وابن مالك إذا أوقدوا نارين يعلو سناهما
قُتل يزيد بن المهلب وأسر أهل الشام نحواً من ثلثمائة رجل فسرّحهم مسلمة
ابن عبدالملك إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم فقام نحو من ثلاثين رجلاً من
بني تميم، فقالوا: نحن انهزمنا بالناس، فاتقوا الله وابدعوا بنا قبل الناس، فضربت
أعناقهم، فقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يتنمّر من
قتل أسرى تميم⁽²⁾:

لعمري لقد خاضت معيط دماءنا بأسياها حتى انتهى بهم الوحل
وما حُمِل الأقوام أعظم من دم حرام ولا نحل إذا التمس الذحل
حقنتم دماء المصّلتين عليكم وجُرّ على فرسان شيعتك القتل
وقى بهم العربان فرسان قومهم فيا عجباً أين الأمانة والعدل!
وقال ثابت قطنة يُيدي عدم رضاه بقتل الأسارى من ربيعة على يد معاوية بن
يزيد بن المهلب⁽³⁾:

ما سّرني قتل الفزاري وابنه عدى ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت معاوى زلة وضعت بها أمرى على غير موضع
وفي سنة سبع عشرين ومائة توجه مروان بن محمد إلى الرقة لتوجيه ابن
هبيرة إلى العراق لمحاربة الضحّاك بن قيس الشيباني، فتوجه إلى سليمان بن هشام
بن عبدالملك بن مروان نحو عشرة آلاف، ودعوه إلى خلع مروان ومحاربته وقالوا
له: أنت أَرْضَى منه عند أهل الشام، وأولى بالخلافة، فعسكر بهم إلى قنسرين وكاتب

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص591.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص599.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص600.

أهل الشام فأجابوه، واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام، فوجه مروان بن محمد عيسى بن مسلم في نحو من عدتهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً⁽¹⁾.

وبعد أن هُزم سليمان بن هشام في وقعة (خُساق) توجه إلى الضحاك ليبياعه فخرج مع عبدالله بن عمر فباعه، فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان، فقال شُبيل بن عذرة الضُّبعي يُشير إلى مبايعة سليمان بن هشام للضحاك بن قيس الشيباني⁽²⁾:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ فَصَلَّتْ قَرِيشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
فدخل مروان بن محمد على الشام ونفى من كان يخالفه ووجه يزيد بن هبيرة
عاملاً على العراق⁽³⁾.

وفي سنة تسع وعشرين ومائة كانت الحرب بين الكرمانى ونصر بن سيار،
فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما استيقن أبو مسلم الخراساني أن كلا الفريقين قد أئخن
صاحبه نزل بين الفريقين وكثر أصحابه، فكتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد
يُعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه وأنه يدعو إلى إبراهيم بن
محمد، وكتب بأبيات شعر يُخبر مروان بن محمد ويحذره من دعوة أبي مسلم
الخراساني للعباسيين⁽⁴⁾:

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ جَمْرِ فَأُحِجُّ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذَكَّى وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا الْكَلَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ: لَيْتَ شَعْرَى أَلَيْقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمِنْ نِيَامُ
ثم كتب نصر بن سيار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب منه النجدة قبل أن
يستفحل الأمر⁽⁵⁾:

أَبْلَغُ يَزِيدَ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ الْآخِرُ فِي الْكُذْبِ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص323 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص327.

(3) المصدر نفسه، ص368 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص369.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص369 وما بعدها.

أَنَّ خُرَاسَانَ أَرْضٌ قَدْ رَأَيْتُ بِهَا بَيِّضاً لَوْ أَفْرَخَ قَدْ حُدَّتْ بِالْعَجَبِ
فِرَاحُ عَامِينَ إِلَّا أَنَّهَا كَبُرَتْ لَمَّا يَطْرُنَ وَقَدْ سَرِبْلَنَ بِالزَّغَبِ
فَإِنْ يَطْرُنَ وَلَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِهَا يُلْهَبْنَ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيْمًا لَهَبِ

6.4 الحروب الخارجية:

بلغ الفتح العربي على عهد الدولة الأموية إلى مملكة الصين، وأمعن العرب غزواً حتى بلغوا سمرقند والصغد فاستشهد من أبطالهم في هذه الوقعات كثير، وكان النصر قد يميل عن المسلمين فلا يفزعهم القتل ولا يثنيهم فوز العدو عن الإمعان في الفتح والجهاد في سبيل الله⁽¹⁾.

في سنة ثمان وسبعين ولى الحجاج بن أبي صُفْرة على خراسان، وعبيد الله ابن أبي بكرة سجستان، فمكث عبيد الله بن أبي بكره سنته، ثم إنه غزا رتبيل الذي امتنع عن دفع الخراج، بعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة أن يستبجح أرضه، ويهدم قلاعه، فخرج عبيد الله بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة فقاموا بغزو رتبيل⁽²⁾، ثم بعث عبيد الله إلى شريح بن هانئ الذي كان والياً على الكوفة حينئذ وكان من أصحاب علي بن أبي طالب، حشد شريح الفرسان، وأخذوا يقاتلون التُّرك، فجعل شريح الصحابي يرتجز يومئذ، ويفتخر بإقدامه على القتال، ويتحدث عن ماضيه وحسن بلائه في القتال، وعن أفعاله في الحروب والمجالد⁽³⁾:

أَصْبَحْتُ ذَا بَثٍّ أَقَاسِي الْكِبْرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَعْصُرَا
ثُمَّتْ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْذِرَا وَبَعْدَهُ صَدِيقَهُ وَعُمُرَا
وَيَوْمَ مَهْرَانَ وَيَوْمَ تَسْتُرَا وَالْجَمْعَ فِي صَفِينِهِمُ وَالنَّهْرَا
وَبِاجْمَازَاتٍ مَعَ الْمُشَقَّرَا هِيَاهُتَ مَا أَطُولَ هَذَا عُمُرَا

قاتل شريح حتى قتل، ولم ينج من أصحابه إلا القليل، ثم وجّه الحجاج عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك فلما علم

(1) شعر الحرب في أدب العرب، زكي المحاسني، ص 130 وما بعدها.

(2) تاريخ الطبري، ج 6، ص 322.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 323.

رتبيل بذلك بعث إلى ابن الأشعث يعتذر إليه من مُصاب المسلمين ويُخبره أنه كان لذلك كارهاً، ويسأله الصلح⁽¹⁾.

لم يقبل منه ابن الأشعث، فسار في جنوده، وفتح بلاد العدو، ومات عبيد الله بن أبي بكر، فتولى ابن الأشعث على سجستان بأمرٍ من الحجاج⁽²⁾. وفي سنة سبع وثمانين غزا قُتيبة أرض بيكند، فتمكّن قُتيبة ومن معه من هزيمة أهل بيكند، ثم ارتحل قُتيبة بعد أن صالحهم، واستعمل عليهم رجلاً من بني قُتيبة⁽³⁾.

وبعد أن ارتحل قُتيبة، قام أهل بيكند، بقتل العامل وأصحابه، وعندما علم قُتيبة بذلك رجع إليهم، فقاتلهم شهراً وأصاب المسلمون ما لا يحصى من آنية الذهب والفضة، ورجع قُتيبة إلى مرو، وقوى المسلمين، فاشتروا السلاح والخيول، فقال الكُميت⁽⁴⁾:

ويومَ بيكندَ لا تُحصى عجائبهُ وما بُخاراءُ ممّا أخطأ العددُ
وفي سنة ثمان وثمانين غزا قُتيبة نومشكث، واستخلف على مرو بشار بن مُسلم ثمّ توجه إلى رامثينه، فزحف إليه الترك ومعهم أهل السُغد، وأهل فرغانة، فاعترضوا المسلمين فعلم قُتيبة بذلك فرجع إليهم، وقاتلهم، فهزم الترك، وفُضّ جمعهم⁽⁵⁾.

وفي سنة تسع وثمانين غزا قُتيبة بخارى، فلقى السُغد فقاتلوه، فظفر قُتيبة بهم، فانتصر عليهم، فقال نهار بن توسعة يمدح قُتيبة بفتح خرقانة السُقلي⁽⁶⁾:
وباتت لهمُ منّا بخرقانَ لَيْلَةً وَلَيْلَتُنَا كانتِ بخرقانَ أطولاً

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص328.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص329.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص432 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص431 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص436.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص439.

غدر نيزك بالمسلمين، فنقض الصلح الذي كان بينه وبينهم، وامتنع بقلعته، فغزاه قتيبة، فمضى نيزك وعسكر ببغلان، وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه يمنعون فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشعب، وتمكنوا من نيزك، فأخذه قتيبة ووضعاه في السجن⁽¹⁾.

وأخذ قتيبة يستشير الناس في أمر نيزك، فمنهم من أشار عليه بقتله، ومنهم من أشار عليه بالآ يقتله، فقال قتيبة ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إنني سمعتك تقول: أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله، فإن لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبداً، فأمر قتيبة بقتله وأصحابه فقتل مع سبعمائة⁽²⁾.

وصلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى وخشن خاشان في اسكيمشت، فقال المغيرة بن حنبل يتشفى بمقتل نيزك على يد قتيبة⁽³⁾:

لعمري لنعمت غزوة الجند غزوة قضت نحبا من نيزك وتعلت
بعث قتيبة برأس نيزك مع مجفن بن جزء الكلابي وسوار بن زهدم الجرمي، فقال الحجاج: إن كان قتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع ولد مسلم، فقال سوار⁽⁴⁾:

أقول لمحفن وجرى سنيح وآخر بارح من عن يميني
وقد جعلت بوائق من أمور ترفع حوله وتكف دوني
نشدتك هل يسرك أن سرجي وسرجك فوق أبغل باذيين

وأخذ الناس يقولون: غدر قتيبة بنيزك، فقال ثابت قطنة⁽⁵⁾:

لا تحسبن الغدر حزماً فرئماً ترقت به الأقدام يوماً فزلت
ولما رجع قتيبة إلى مرو وقتل نيزك، طلب ملك الجوزجان الذي هرب عن بلاده، فطلب رهنًا يكونون في يديه ويعطى رهائن، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته، فقدم

(1) تاريخ الطبري، ج 6، ص 454.

(2) المصدر نفسه، ج 6، ص 458.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 458.

(4) المصدر نفسه، ج 6، ص 459.

(5) المصدر نفسه، ج 6، ص 459.

ملك الجوزجان على قتيبة فصالحه، ثم رجع فمات بالطاعون فقال أهل الجوزجان، سمّوه، فقتلوا حبيباً، فقام قتيبة وقتل الرهائن الذين كانوا عنده، فقال نهار بن توسعة لقتيبة⁽¹⁾:

أراك الله في الأتراك حُكماً كحُكم في قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ
قضاءً من قُتَيْبَةَ غيرُ جور به يُشْفَى الغليلُ من الصُدُورِ
فإن يرَ نيزكُ خزيّاً وذُلاً فكم في الحرب حُقق من أمير

وفي سنة إحدى وتسعين غزا قتيبة بن مسلم شومان وكسّ ونسف، فعندما قام ملك شومان بطرد عامل قتيبة وامتنع عن دفع الفدية التي صالح عليها قتيبة، بعث إليه قتيبة عيَّاشاً الغنوي، ومعه رجل من نساك أهل خراسان فقاتلهم عيَّاش الغنوي وقتل⁽²⁾.

ثم سار إليهم قتيبة، ففتح القلعة وأخذها عنوةً، وفتح كس ونسف، وسرح قتيبة أخاه عبدالرحمن بن مسلم إلى السُّعد، فانتبذ الناس وعاثوا وافسدوا، فأمر عبدالرحمن أبا مرضية مولى لهم أن يمنع الناس من شرب العصير، فكان يضربهم، ويكسر آيتهم، ويصبُّ النبيذ، فسال في الوادي فسُميَ مرج النبيذ، فقال بعض شعرائهم في الامتناع عن شرب النبيذ بعد أن منعهم عنه عبدالرحمن بن مسلم الباهلي⁽³⁾:

أما النبيذُ فلسْتُ أَشْرَبُهُ أخشى أبا مرضية الكَلْبِ
متعسفاً يسْعى بشكّته يتوثّب الحيطان للشُّربِ

ثم مضى قتيبة إلى بخارى فنزل قرية فيها بيت نار وبيتُ آلهة، وكان فيها طواويس، فسمّوه منزل الطواويس ثم سار إلى السُّعد ليقبض منه ما كان صالحه عليه، فلما أشرف على وادي السُّعد فرأى حسنةً تمثّل⁽⁴⁾:

وإِذْ خَصِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ يَمْنَعُهُ من الأنيسِ حذارِ اليومِ ذى الرَّهَجِ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص460.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص461.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص463.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص463 وما بعدها.

وَرَدَّتْهُ بَعْنَانِيَجٌ⁽¹⁾ مُسْوَمَةٌ يَرْدِينَ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهْجِ
فَقَالَ كَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ يَمْدَحُ قُتَيْبَةَ بِسَيْطَرَتِهِ عَلَى بِلَادِ السُّغْدِ، وَيُشِيرُ إِلَى كَثْرَةِ
الْأَمْوَالِ وَالْغَنَائِمِ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا مِنْ بِلَادِ السُّغْدِ، وَيَذَكِّرُ حَالَ السُّغْدِ بَيْنَ وَلَدِ يَبْكِي
فَقَدَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ أَبِ يَبْكِي فَقَدَ ابْنَهُ، وَنَتِيجَةَ لِكَثْرَةِ جِيُوشِ قُتَيْبَةَ وَشَجَاعَتِهِمْ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ
بِلَدًا إِلَّا تَرَكْتَ خِيُولَهُ بِهَا اخْدُودًا⁽²⁾:

وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدًا	كُلُّ يَوْمٍ يَحْوِي قُتَيْبَةَ نَهَبًا
شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كَنْ سَوْدَا	بَاهِلِيٌّ قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى
تَرَكَ السُّغْدَ بِالْعِرَاءِ قُعُودًا	دَوَّخَ السُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى
وَابٌّ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا	فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ
تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا اخْدُودَا	كَلِمَا حَلَّ بِلَدَةً أَوْ أَتَاهَا

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ غَزَا قُتَيْبَةُ الشَّاشَ وَفَرَّغَانَةَ فَلَمَّا قَطَعَ النَّهْرَ فَرَضَ عَلَى
أَهْلِ بَخَارَى وَكَسَ وَنَسَفَ وَخَوَارِزَ عَشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَوَجَّهُوا إِلَى الشَّاشِ، وَتَوَجَّهَ
إِلَى فَرَّغَانَةَ وَسَارَ حَتَّى أَتَى جُخْنَدَةَ، فَاقْتَتَلُوا وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ
قُتَيْبَةَ يَتِمُّثَلُّ بِقَوْلِ عَوْفِ بْنِ الْخَرَعِ حَيْثُ تَصِفُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ سَيْطَرَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
هَذِهِ الْبِلَادِ⁽³⁾:

وَلَا نَتَقَى طَائِرًا حَيْثُ طَارَا	نَوْمُ الْبِلَادِ لَحُبِّ اللَّقَا
عَلَى كُلِّ حَالٍ نُلَاقِي الْيَسَارَا	سَنِيحًا وَلَا جَارِيًا بَارِحًا
وَقَالَ سَحْبَانُ وَائِلٌ يَفْتَخِرُ بِجَيْشِ قُتَيْبَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَتَالَهُمْ فِي خُجْنَدَةَ:	
تَحْتِ مُرْهَفَةِ الْعَوَالِي	فَسَلَّ الْفَوَارِسَ فِي خُجْنَدَةَ
هُزِمُوا وَأَقْدَمُوا فِي قِتَالِي	هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ إِذَا
عَاتِي وَأَصْبِرُ لِلْعَوَالِي	أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةَ الـ
كُلُّهَا ضَخْمُ النُّوَالِ	هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْسِ
وَأَبُوكَ فِي الْحَجِّجِ الْخَوَالِي	وَقَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى

(1) العنانيج: الخيل النجيبة.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص480.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص484.

ولقد تبيّن عدلُ حُكمِكُ فيهمُ في كلِّ مال
تمّت مروءتُكمُ ونا غى عزُّكمُ غلبَ الجبال⁽¹⁾
وفي سنة خمس وتسعين بعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة،
فلما كان بالشاش أتاه موت الحجاج، فغمّة ذلك وقفل راجعاً إلى مرو، وتمثل ببيتين
من الشعر يُعبران عن مدى حزنه على موت الحجاج⁽²⁾:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوارن أمسى أعلقتُه الحبالُ
فإن تحي لا أملك حياتي وإن تمّت فما في حياة بعد موتك طائلُ
وفي سنة ست وتسعين غزا قتيبة الصين، وحلف ألا ينصرف حتى يطأ
أرضهم، ويختم ملوكهم، ويُعطى الجزية، وعندما علموا بذلك أرسلوا إليه تراباً
ليطوّه، في صحاف من ذهب، وبعثوا إليه أربعة غلمان من أبناء ملوكهم وذهب
وفضة، فقبل قتيبة الجزية، وختم الغلّة وردّهم، ووطئ التراب، فقال سودة بن
عبدالله السلولى يمدح هُبيرة بن المشمرج الذي بعثه قتيبة لحاكم الصين، وأنه لم
يرض إلا أن يختمهم ويأخذهم رهائن⁽³⁾:

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم للصين إن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشا الكريم هُبيرة بن مشمرج
لم يرض غير الختم في أعناقهم ورهائن دُفعت بحمل مشمرج
أدى رسالتك التي استرعيته وأتاك من حنث اليمين بمخرج

وقال ثابت قطنة يذكر من قتل من ملوك التّرك⁽⁴⁾:
أقرّ العين مقتلُ كارزنك وكشبينر ما لاقى بيار
وفي سنة أربع ومائة غزا سعيد الحرشي السّغد، فقتل عدداً من دهاقينها،
وأصاب الكثير من الأموال، فقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم⁽⁵⁾:

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص480.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص492.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص500-503.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص504.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص10.

أَقْرَّ العَيْنَ مَصْرَعُ كَارِزِ نَجٍ وَكَشَّيْنِ وَمَا لَأَقَى بِيَارُ
وَدَيُوا شَنَى وَمَا لَأَقَى جَلَنَجُ بِحَصْنِ خُجَنْدَ إِذْ دَمَرُوا فَبَارُوا
قَدِمَ دَهْقَانُ ابْنُ مَاجِرٍ عَلَى ابْنِ هَبِيرَةَ فَأَخَذَ أَمَانًا لِأَهْلِ السُّغْدِ، فَحَبَسَهُ فِي قَهْنَدَرِ
مَرُو، فَلَمَّا قَدِمَ سَعِيدُ الْحَرَشِيِّ مَرُو دَعَا بِهِ، وَقَتْلَهُ وَصَلَبَهُ فِي الْمِيدَانِ، فَقَالَ الرَّاجِزُ
يَفْتَخِرُ بِأَفْعَالِ سَعِيدِ الْحَرَشِيِّ⁽¹⁾.

إِذَا سَعِيدٌ سَارَ فِي الْأَخْمَاسِ فِي رَجَحٍ يَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ
دَارَتْ عَلَى التُّرْكِ أَمْرُ الْكَاسِ وَطَارَتْ التُّرْكُ عَلَى الْأَحْلَاسِ
وَلَوْ أَمْرَارًا عَطَّلَ الْقِيَاسُ
وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَمِائَةِ غَزَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَتَلُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ فِي تِلْكَ
الْغَزَاةِ، بَلْ هَزَمُوا أَسَدًا، وَفَضَحُوهُ فَتَغَنَّى الصَّبِيَّانُ⁽²⁾:

أَزْ خُتْلَانِ أَمْدَى بَرَو تَبَاهِ أَمْدَى
فَأَمْرُ أَسَدِ النَّاسِ فَارْتَحَلُوا ثُمَّ أَقْبَلَ خَاقَانُ حِينَ انْصَرَفُوا إِلَى غُورِينَ، وَلَمْ يَتَلَقِ
أَسَدٌ مَعَهُمْ وَرَجَعَ إِلَى بَلْخِ، فَقَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ:
نَدَبْتُ لِي مِنْ كُلِّ خُمْسِ أَلْفِينَ مِنْ كُلِّ كَافٍ عَرِيضِ الدِّمِينِ⁽³⁾

وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَمِائَةِ غَزَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَرْضَ غُورِينَ وَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِنْتِصَارِ
عَلَيْهِمْ، فَقَالَ ثَابِتٌ قُطْنَةُ يَمْدَحُ أَسَدَ الْقَسْرَى، وَيَذْكُرُ حَسَنَ بِلَائِهِ فِي الْحَرْبِ فَتَمَكَّنَ أَسَدُ
مِنْ دُخُولِ غُورِينَ فَهَرَبَ مِنْهُ جُنُودُهُ التُّرْكُ، وَكَانَ دُخُولُهُ إِلَيْهِمْ كَلِيثَ غَابَةٍ، وَأَنَّهُ
اسْتَمَدَّ هَذِهِ الشَّجَاعَةَ مِنْ شَجَاعَةِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ⁽⁴⁾:

أَرَى أَسَدًا فِي الْحَرْبِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ وَقَارَعَ أَهْلَ الْحَرْبِ فَازَ وَأَوْجَبَا
تَنَاوَلَ أَرْضَ السَّبَلِ، خَاقَانُ رَدَّوهُ فَحَرَّقَ مَا اسْتَعْصَى عَلَيْهِ وَخَرَّبَا
أَتَتْكَ وَفُودُ التُّرْكِ مَا بَيْنَ كَابِلِ وَغُورِينَ إِذْ لَمْ يَهْرُبُوا مِنْكَ مَهْرَبَا
فَمَا يَغْمُرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ لَيْثِ غَابَةٍ أَبَى ضَارِيَاتِ حَرَّشُوهُ فَعَقَّبَا

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص12.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص43.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص44.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص46 وما بعدها.

بنى لك عبد الله حصناً ورثته قديماً إذا عُدَّ القديم وأنجبا
وفي سنة اثنتي عشرة ومائة كانت وقعة الجُنيد، وكان سببها أن الجنيد بن
عبد الرحمن خرج غازياً يريد طخارستان فجاشت التُّرك وأتوا سمرقند، وعليها سورة
ابن الحرّ، فكتب سورة إلى الجنيد: إنَّ خاقان جاش بالترك فخرجتُ إليهم، فما قدرت
أن أمنع حائط سمرقند، فالغوث⁽¹⁾.

التقى التُّرك بقيادة خاقان وتقاتلوا مع المسلمين بالشَّعب، قاتل المسلمون قتالاً
شديداً، وقاتل إلى جانبهم العبيد، وأمر الجنيد رجلاً فنادى: أي عبد قاتل فهو حرّ،
وقُتل سورة بن الحرّ فقال نهار بن توسعة يصف وقعة الشعب بين المسلمين والتُّرك:

لعمرك ما حابيتني إذ بعثتني	ولكنما عرضتني للمتالف
دعوت لها قوماً فهابوا ركوبها	وكنتُ امرأً ركابةً للمخاوف
فأيقنتُ إنَّ لم يدفع الله أننى	طعامُ سِباعٍ أو لطيرٍ عوائف
قرينُ عراكٍ وهو أيسرُ هالك	عليك وقد زملتَه بصحائف
فإننى وإن آثرتُ منه قرابةً	لأعظمُ حظاً في حباءِ الخلاف
على عهد عثمانٍ وفدنا وقبله	وكنا أولى مجدٍ تلبدٍ وطارفٍ ⁽²⁾

وقال الشرعبي الطائي يصف قتال المسلمين مع التُّرك⁽³⁾:

بلاذ بها خاقانُ حمٌّ زُخوفُهُ	ونيلانُ في سبعين ألفاً مَقْنَعُ
إذا دبَّ خاقانٌ وسارت جنودُهُ	أُتتِنا المنايا عند ذلك شُرْع
ألا ربَّ خَوْذٍ خَذْلَةٍ قد رأيتها	يسُوقُ بها جَهْمٌ من السُّغدِ أصمَعُ
ألا رجلٌ منكم كريمٌ يرُدُّنى	يرى الموت في بعض المواطن ينفع

وأقبل خاقان فهزم المقدمة، وقتل من قتل منهم، فأصيب رجالٌ من الأزد
وتميم، فأقام الجنيد بسمرقند، وانصرف خاقان إلى بُخارى⁽⁴⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص71.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص79.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص85.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص80 وما بعدها.

الفصل الخامس الدراسة الفنية

1.5 الآثار الدينية:

غيرت الحياة الدينية الشعر الأموي، وأثرت فيه أثراً عميقاً، كما أثرت في نفوس الشعراء، وأصبح من غير الممكن أن ينظموا شعراً لا تتضح فيه المعاني الدينية⁽¹⁾.

امتد أثر الإسلام إلى سائر أغراض الشعر التقليدية التي ورثها شعراء هذا العصر عن سابقينهم، فأضافوا إلى معاني هذه الأغراض ما أفادوه من معاني تتصل بقيم الإسلام ومثله ومبادئه، فأصبحوا لا يمدحون أحداً ولا يهجون أحداً إلا وضعوا الصفات الدينية إيجاباً وسلباً في مدحهم وهجائهم⁽²⁾.

فوجد أن شعراء هذا العصر حين يمدحون يتجاوزون صفات المديح المألوفة لدى الشعراء والمتوارثة من قبل إلى صفات تدخل في صميم الدين ومعانيه، يصفونها على ممدوحهم هادفين بذلك أن يضعوهم في مصاف عباد الله المخلصين، فقد ذكر حارثة بن بدر الغدائي في مدحه لزياد بن أبي سفيان بعض المعاني الدينية، فزياد إمام سيرته العدل، وقصده الحق، وهو حازم في إنفاذ الأمور، فقال⁽³⁾:

ألا من مبلغ عني زياداً	فنعم أخو الخليفة والأمير
فأنت إمام معدلة وقصد	وحزم حين تحضرك الأمور
أخوك خليفة الله ابن حرب	وأنت وزيره، نعم الوزير

ونجد أن المعاني الدينية كانت واضحة في الفخر الشخصي، فقد قال خالد بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد مُفتخراً بحسبه ودينه وأنه سيف الله⁽⁴⁾:

(1) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص64.

(2) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص319.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص223.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص228.

أنا ابنُ سيف الله فاعرفوني لم يبقَ إلّا حسبي وديني
وصارمٌ حبلٌ به يميني

ومن المعاني الإسلامية التي شاعت في الشعر الأمويّ قتل النفس المُحرّمة، وإعلان الندم والظلم وخاصة في قتلى من قُتل من آل البيت، فعندما قُتل الحسين بن علي خرجت امرأة من بني عبدالمطلب وهي تبكي على قتلى آل البيت⁽¹⁾:

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأمم
بعترتي وبأهلي بعدَ مُفتقدى منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوى رحمى
وعندما قُتل الحسين بن علي أخذ عبيد الله بن الحرّ يرتجز مُعلنًا ندمه وأسفه
لعدم قتاله مع الحسين بن علي⁽²⁾:

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقَّ غادرٍ ألا كُنتِ قاتلتِ الشهيد ابنَ فاطمة
فيا ندمى ألا أكون نصرتهُ ألا كلُّ نفس لا تُسدّد نادمة
وإنى لأنى لم أكن من حماته لذو حسرةٍ ما إن تُفارق لازمة
وتحدث الشعراء عن التقوى وهو من المعاني الدينية السامية مصوّرين أنّه
طريقٌ للنجاة، ومن ذلك قول أعشى همدان يدعو فيه إلى التقوى وأنّه خيرُ مكسب⁽³⁾:
توسّل بالتقوى إلى الله صادقاً وتقوى الإله خيرُ تكسابٍ كاسب
ونجد أن بعض الشعراء كانوا يفتخرون بأنهم أتقياء فحبيب بن مظاهر الذي
كان يُقاتل إلى جانب الحسين بن علي يفتخر ويتباهى بالتقوى، يقول⁽⁴⁾:

أنتم أعدّ عُدّة وأكثُرُ ونحن أوفى منكم وأصبرُ
ونحن أعلى حُجّة وأظهرُ حقاً وأتقى منكم وأعذرُ

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص390.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص470.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص608.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص439.

وكثيراً ما نجد أن شعراء هذا العصر كانوا يحثون على تقوى الله وأنه أفضل عمل يقوم به المسلم وسوف يُجزى عليه بالأجر والثواب، ومن ذلك قول شاعرٍ من الخوارج⁽¹⁾:

واعملْ لربِّكَ واسأله مَثوبتهُ فإنَّ تقواه فاعلم أفضلُ العملِ
وكان الشعراء يهجون أعداءهم بالكفر، والضلال، وأنهم اتبعوا غير دين الله
ومن ذلك قول كعب الأشقري يهجو الأزارقة باتهامهم بالكفر، والجور، وأنهم اتبعوا
ديناً آخر يقول⁽²⁾:

إنَّا اعتصمنا بحبل الله إذ جحدوا بالمُحكَماتِ ولم نكفر كما كفروا
جاروا القصد والإسلام واتَّبَعُوا ديناً يُخالفُ ما جاءت به النُّذُرُ
وكذلك قول الأعشى يهجو الحجاج ويتهمه بالكفر⁽³⁾.

حين طغى بالكفر بعد الإيمان بالسيدِ الغطريف عبدالرحمن
ونرى أن الشعراء في هذا العصر يربطون بين معاركهم، ومعارك الإسلام
المجيدة، ولا سيما معركة بدر، فقال سُرّاقة البارقى يربط الأيام التي انتصر فيها
المختار بيوم بدر ويوم حنين⁽⁴⁾:

نصرت على عدوك كلَّ يومٍ بكلِّ كتيبةٍ تنعى حُسِينا
كنصر مُحمد في يوم بدرٍ ويوم الشَّعب إذ لاقى حُنِينا
ونجد أن الفرزدق في موضعٍ آخر يربط بين وقعة وكيع بمعارك الإسلام
السابقة ولا سيما بدر واليرموك⁽⁵⁾:

سيجزي وكيعاً بالجماعة إذ دعا إليها بسيفٍ صارمٍ وبنان
جزاء بأعمال الرجال كما جرى ببدرٍ وباليرموك في جنان

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص172.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص308.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص337.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص54.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص520.

وقد شاع استعمال لفظ الجلالة في الشعر الأمويّ تعبيراً عن ارتباط المسلمين بطاعة الله، وامتنال أمره، والجهاد في سبيله فهو تعالى المنجي، وبيده الخير، والمشية، والتأييد، يقول الراجز⁽¹⁾:

الله أنجأك من القصبم ومن أبي حردبة الأثيم
ومن غويث فاتح العُكُوم ومالك وسيفه المسُموم
وقول الطرمّاح بن عدي⁽²⁾:

الماجد الحرّ رحيب الصدر أتى به الله لخير أمر
وقول عبدالله بن خليفة الطائي⁽³⁾:
فها أنا ذا دارى بأجبال طيءٍ طريداً ولو شاء الإله لغيرا
نفانى عدوى ظالماً عن مهاجرى رضيت بما شاء الإله وقترا
وقول الأعشى⁽⁴⁾:

أم غاب ربك فاعترتك خصاصة ولعل ربك أن يعود مؤيدا
وقول رضى بن منقذ العبدي⁽⁵⁾:
لو شاء ربى ما شهدت قتالهم ولا جعل النعماء عندى ابن جابر
وأما كعب الأشقريّ فيقسم بالله بأن الأمويين سوف ينتصرون في كل حرب على أعدائهم من مثل قطرى بن الفجاءة وغيره يقول⁽⁶⁾:

والله ما نزلوا يوماً بساحتنا إلّا أصابهم من حربنا ظفر

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص306.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص405.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص283.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص302.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص433.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص306.

وقد اقتبس الشعراء كلامهم شيئاً من القرآن أو الحديث⁽¹⁾، ونجد أن الاقتباس من القرآن الكريم من المظاهر الإسلامية البارزة في شعر هذا العصر، فقد نضحت أساليبهُ وصور تعبيره على ألوان أدائهم، فاقْتَبَسُوا من آيه الطيبات وتعابيره الوضائيات، وضمّنوها أشعارهم تمكيناً لكلامهم، وتعصيماً لأفكارهم ومعانيهم والتماساً لضروب الجمال الفني المعجز المتمثل في البلاغة القرآنية.

فإذا أُريدَ للفكرة أن تتمكن من النفوس، وتتوكد في العقول لا بدّ من ربطها بكتاب الله، ومن الأمثلة على الاقتباس دالية أعشى همدان التي أنشدها في مدح الحجاج بعد القضاء على ثورة ابن الأشعث، وهجاء الخارجين على الدولة الأموية، ونعتهم بالكفر والفسق، فالشاعر يقتبس في مطلعها تلك الآية القرآنية التي يقول الله تعالى فيها: "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"⁽²⁾:

أبى الله إلا أن يُتِمَّ نُورُهُ وَيُطْفِئَ نَوْرَ الْفَاسِقِينَ فَيَخْمُدَا⁽³⁾
وتأثر في البيت الثاني بقوله تعالى: "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً"⁽⁴⁾.

ويُنزل ذلاً بالعراق وأهله لما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا⁽⁵⁾
ويستمر في قصيدته متأثراً في أسلوبها ومعانيها بأسلوب القرآن الكريم ومعانيه، مقتبساً منه كثيراً من ألفاظه وعباراته فالله قد فرق جموع العراق ومزقها وشردها بما نقضوا من عهد وثيق مؤكد:

وما أحدثوا من بدعةٍ وعظيمةٍ من القول لم تصعد إلى الله مصعدا⁽⁶⁾

(1) شرح التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني، تحقيق:

محمد هاشم نويدري، دار الجيل - بيروت، ط2، 1986، ص200.

(2) التوبة، 32.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص376.

(4) النحل: 91.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص376.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص376.

وهو يقتبس هذا من قوله تعالى: "إليه يصعد الكلم الطيب"⁽¹⁾.
ثم نرى أنه يجمع بين معنى الآية الكريمة "ومكروا ومكر الله والله خيرُ
الماكرين"⁽²⁾، ولفظ الآيتين الكريمتين "أنهم يكيدون كيدا، وأكد كيدا"⁽³⁾:
كذلك يضلُّ الله مَنْ كان قلبه مريضاً ومن والى النفاق وألحد⁽⁴⁾
ومن الأساليب الإسلامية التي شاعت في الشعر الأموي أسلوبا الدعاء والقسم
ومن ذلك أرجاز ليزيد بن زياد يدعو بالنصر للحسين بن علي في موقعة كربلاء⁽⁵⁾:
أنا يزيدُ وأبى مُهاصِر أشجع من ليثٍ بغيلٍ خادر
يا ربَّ أنى للحسين ناصر ولا بن سعدٍ تاركٌ وهاجرُ
وكان الشعراء الأمويون يدركون أن الدعاء عبادة وأنه اعتراف بعظمة القدرة
الإلهية، فنجد أن المقاتلين وهم في ساحة الوغى يلجأون إلى الدعاء، فقال أحد
المقاتلين في يوم عين الوردة متوجهاً إلى الله بالدعاء وطلب الرضى⁽⁶⁾:
أنى من الله إلى الله أفرَّ رضوانك اللهم أبدى وأسِرُّ
والقسم من الأساليب الإسلامية التي ترددت في الشعر الأموي، فقد أقسم
الشعراء بالله تعالى توكيداً لمعانيهم، وتمكيناً لها في النفوس كقسم مسلم بن عقيل بأن
لا يقتل إلا حُرّاً، عندما حاصره ابن الأشعث ورجاله فأقبل يقاتلهم، وهو يقول⁽⁷⁾:
1- أقسمتُ لا أُقتلُ إلا حُرّاً 2- وإن رأيتُ الموتُ شيئاً نكراً
3- كلُّ امرئٍ يوماً مُلاقٍ شراً 4- ويُخلطُ الباردُ سُخناً مُراً
وأما علي بن الحسين بن علي فيقسم بالله تعالى على أن لا يحكمهم معاوية بن

(1) فاطر: 10.

(2) آل عمران: 54.

(3) الطارق: 15، 16.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص377.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص445.

(6) المصدر نفسه، ص607.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص374.

أبي سفيان يقيناً منه أن آل البيت أولى بالنبي محمد عليه السلام⁽¹⁾:
أنا عليُّ بنُ حسين بن علي نحن وربُّ البيت أولى بالنبي
تالله لا يحلمُ فينا ابنُ الدّعي

لم تنفصل الحياة الروحية الجديدة عن الحياة الفنية للشعراء بل أثرت في كثير من جوانبها وطوّرتها، وظهر هذا التطور في صور مختلفة⁽²⁾، ونتيجة لحياة الاضطراب والقلق السياسي، التي ألقت بظلمها القاتم على حياة الناس أن دفعت فريقاً من الناس إلى الانصراف عن متاع الدنيا، وولوا قلوبهم إلى الدار الآخرة الباقية، مؤمنين بأن ما عند الناس ينفد، وما عند الله باقٍ، وقد شغل هؤلاء الزهاد بالتفكير في الآخرة وما فيها من خلود عن التفكير في الدنيا الفانية⁽³⁾.

وقد بلغت هذه الموجة من الزهد درجة المد العالي في العراق الذي يُعدُّ أهم إقليم انتشرت فيه هذه الموجة، حيث ظهرت في هذا الإقليم جماعات من الزهاد ارتفعت بالزهد إلى درجة سامية رفيعة من الروحانية الخالصة، والميل الصادق عن الدنيا وما فيها من متع وملذات⁽⁴⁾.

وكثر في هذا العصر شعر الوعظ والإرشاد داعياً إلى الزهد في الحياة، ورفض ما فيها من متع وملذات، فقد أثر الإسلام في نفوس الشعراء حتى انقلبوا وعاضاً يعظون الناس ويذكّرونهم بالعقاب والثواب، ويتحدثون عن الموت، وأن متاع الدنيا زائل، فالحسين بن علي يعلن تبوّءه من الدهر ويقينه بالموت سبيل كل حي⁽⁵⁾:

يا دهرُ أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيل والدّهرُ لا يقنعُ بالبديل
وإنما الأمرُ إلى الجليل وكلُّ حيٍّ سالكُ السبيل

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص446.

(2) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص64.

(3) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ص73.

(4) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص187 وما بعدها.

(5) تاريخ الطبري، ج5، ص420.

ويدعو عبدالحميد بن يحيى في شعره إلى أخذ العبرة والموعظة من السلف
الراحل⁽¹⁾:

ترحل ما ليس بالقافل	وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفي على الخلف النازل	ولهفي على السلف الراحل
أبكي على ذا وأبكي لذا	بكاء مولهية ثاكل
تبكي من ابن لها قاطع	وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفر عن عبرة	لها في الضمير ومن هامل

وتظهر الموعظة في شعر يعقوب بن داود فيتحدث عن لعب الدهر بأحوال
أهله، يقول⁽²⁾:

عجباً لتصريف الأمو	ر محبة ووكراهية
والدهر يلعب بالرجا	ل له دوائر جارية

ووردت تحية الإسلام في شعر هذا العصر التي ردها الشعراء منذ العهد
النبي، ومن ذلك قول المغيرة بن حنبل⁽³⁾:

أبلغ أبا حفص قتيبة مدحتي	وأقرأ عليه تحيتي وسلامي
--------------------------	-------------------------

وقول عمران بن عصام⁽⁴⁾:

أمير المؤمنين إليك نهدي	على النأي التحية والسلاما
-------------------------	---------------------------

وكان من الطبيعي أن يرد ذكر الموت في سبيل الله من أجل الفوز بجنت
النعيم. فيقول عبدالرحمن بن جمانة الباهلي⁽⁵⁾:

دعته المنايا فاستجاب لربه	وراح إلى الجنات عفاً مطهرا
---------------------------	----------------------------

وقال نصر بن سيار⁽⁶⁾:

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص182.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص183.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص460.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص413.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص521.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص101.

فامنح جهادك من لم يرجُ آخره وكن عدواً لقوم لا يُصلّونا

2.5 الخصائص اللغوية والأسلوبية:

أ- لغة الشعر وتطورها:

اللغة العربية كالكائن الحي تنمو وتتطور، كغيرها من اللغات الأخرى، فبعض ألفاظها بقيت، وبعضها انقرضت وكان لتطور الحياة الاجتماعية والعقلية الأثر الواضح على تطور الألفاظ والتراكيب، فاللغة القديمة كانت تعتمد على ألفاظ حوشية جزلة قوية، ولكن بفعل تطور الحياة وخاصة عندما انتقل العرب من حياة البداوة إلى حضارة المدن أخذ الناس يبتعدون عن الألفاظ الغريبة ويميلون إلى الألفاظ السلسة الرقيقة.

شهد العصر الأموي تيارين فنيين متقابلين: تيار الشعراء الموالي الذين كانوا يقفون مع الشعراء العرب في ميدانهم الفني الأصيل، وتيار الشعراء العرب الذين بدأ يظهر عندهم فتور في الحس اللغوي⁽¹⁾.

لقد كان الميدان في هذا العصر ميداناً عربياً خالصاً، فالشعراء العرب كان لهم السيطرة اللغوية، وكان الأسلوب عربياً خالصاً يستمد مثله الفنية من الأسلوب البدوي القديم تارة، ومن الأسلوب الإسلامي الجديد تارة أخرى، ولكنه في كلتا الحالتين بعيد عن التأثير بالحياة اللغوية المحلية⁽²⁾.

وكان لا بُدّ للشعراء من تطوير وتهذيب اللغة القديمة من الألفاظ الحوشية حتى تتناسب مع الحياة الجديدة المتطورة.

ولغة الشعر وألفاظه يتوارثها الشعراء على مر الأجيال يصوغون فيها نتاجهم الشعري، ويصورون بيئتهم الطبيعية وأنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعقلية لأنّ الفن صدى للبيئة التي يعيش فيها، ومرآة تنعكس عليها ظروفها وأحداثها⁽³⁾.

(1) حياة الشعر في الكوفة، ص 689.

(2) المرجع نفسه، ص 677.

(3) المرجع نفسه، ص 10.

ومهما أوتي الشعراء الموالي من مقدرة على نقل لغاتهم أو بعض ألفاظها فإنهم لا يستطيعون تبديل اللغة العربية وتغييرها ووضع لغة شعرية جديدة، وليس لهم إلا فضل إدخال بعض الألفاظ إلى العربية التي أصبحت بحكم التعريب عربية⁽¹⁾. اختلفت عقلية الشاعر الأموي تمام الاختلاف عن عقلية الشاعر القديم فانعكس ذلك على لغة شعره، فخضع في تفكيره لأشياء لم يخضع لها الشاعر الجاهلي، فانتج عمقاً وطرافة في التفكير الفني⁽²⁾.

فالشاعر الأموي تعلّق بمعرفة المعاني الجاهلية، لكنه أخضعها للدرس المنظم، فقد أسعفته عقلية الجديدة التي بناها في العصر الأموي، وما اندمج فيها من طرق جدال وحوار على كل ما أراد من تحوير وتوليد في المعاني⁽³⁾.

لقد كان هنالك اهتمام بارز في اللغة العربية، فقد أخذ الشعر في هذا العصر يُعبّر لا عن حاجة وجدانية، وإنما عن حاجة لغوية، وأصبحت غاية كثير من الشعراء خدمة اللغة واللغويين القائمين عليها بما يمدونهم من الشواذ والشوارد بحيث أصبحت بعض أراجيزهم كأنها متون لغوية للخط والتسميع⁽⁴⁾.

انبعثت لغة الشعر عن تطور الحياة العقلية في هذا العصر فالبناء اللغوي والفني للشعر لم تتفصل وحداته عن البناء العقلي العام، بل إنّ هذا البناء أخذ يتشكل في أوضاع جديدة تحت تأثير الرقي الفكري الذي أصاب الحياة العقلية العربية⁽⁵⁾. ونجد أن بعض الشعراء كان لا يزال محافظاً على التيار القديم في الشعر من حيث قوة الألفاظ وجزالتها ومن ذلك ما قاله مسكين مفتخراً بابائه⁽⁶⁾:

ألا أيّها المرء الذي لست ناطقاً ولا قاعداً في القوم إلا انبرى ليا

(1) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص129.

(2) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص81.

(3) المرجع نفسه، ج5، ص83.

(4) المرجع نفسه، ج5، ص84.

(5) التطور والتجديد في الشعر الأموي، ج5، ص85.

(6) تاريخ الطبري، ج5، ص290.

فجئني بعمّ مثل عمّي أو أب
كعمرو بن عمرو أو زُرارة والدا
وما زال بي مثل القنّاة وسابح
فهذا لأَيّام الحفاظ وهذه
كمثل أبي أو خالٍ صدق كخاليا
أو البشر من كلّ فرعت الروابيا
وخطّارة غبّ السرى من عياليا
لرحلى وهذا عُدّة لارتحاليا

ولكن الشعراء في أواخر العصر الأموي أخذوا يميلون إلى الألفاظ السهلة الرقيقة البعيدة عن الألفاظ الحوشية الغريبة، ومن ذلك قول عبّاد بن الحارث⁽¹⁾:

ألا يا نصرُ قد برح الخفاء
وأصبحت المزون بأرض مرو
يجورُ قضاءها كلّ حكم
وحميرُ في مجالسها قعودُ
فإن مُضرّ بذا رضيت وذلت
وإن هي أعتبت فيها وإلا
وقد طال التّمنى والرجاء
تُقضى في الحكومة ما تشاء
على مُضرٍ وإن جار القضاء
ترقرتُ في رقابهم الدّماء
فطال لها المذلّة والشقاء
فحلّ على عساكرها العفاء

وتمثّل الشعراء المعاني الإسلامية بشكل جعلهم يؤدّون هذه المعاني في شعرهم بطرقٍ فنيّة أبرع بكثير ممّا كانوا عليه قبل الإسلام⁽²⁾.

وقد تطوّر الرجز تطوّراً موضوعياً وفنياً نحو الإسلامية أخذت معانيه تظهر فيها أفكار إسلامية جديدة، وأخذ أسلوبه يتطور من صورته الشعبية الجاهلية إلى صورة شعبية إسلامية⁽³⁾.

كما أخذ الرجز يتطور من موضوعاته التقليدية القديمة المحددة إلى موضوعات إسلامية جديدة، بالإضافة إلى تطوره من الناحية اللغويّة والفنيّة، ومن ذلك الأرجوزة التي كان الأعشى يتغنّى بها بين يدي ابن الأشعث، وهو خارج من سجستان في طريقه إلى الكوفة⁽⁴⁾:

شطّت نوى من داره بالإيوان
إيوان كسرى ذى القرى والريّحان

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص342 وما بعدها.

(2) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص318.

(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص352.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص337.

من عاشقٍ أَمسى بزائِلَتانِ إنَّ تَقِيْفاً مِنْهُمْ الكَذَّابانِ
كذَّابُها الماضي وكذابٌ ثانٍ أَمَكَنَ رَبِيَّ مِنْ تَقِيْفٍ هَمَدانِ
يوماً إلى الليلِ يُسَلِّي ما كان إِنَّا سَمُونَا للكُفُورِ الفَتَّانِ
حين طَغى في الكفر بعد الإيمان بالسَّيِّدِ الغَطْرِيفِ عبالرَّحْمَنِ

ب- مقدمات القصائد:

ظَلَّ الشعراءُ الأُمويُّونَ يُمَهِّدونَ بين أيدي قصائدهم بالألوانِ الجاهليةِ من المقدمات، يدفعهم إلى ذلك أنَّهم لم يجدوا أُمَامَهُم مَثَلاً فَنِيَّةً مُستويةً إِلَّا المَثَلَ الجاهليةَ، فقد كانت فترة صدر الإسلام قصيرة بحيث لم يتمكن المخضرمون من اختراع تقاليد فنية فيها، كذلك فإن العلماء والأدباء والممدوحين كانوا يفضلون النماذج القديمة ويعلمون من شأنها، فضلاً عن أن ملكات الشعراء كانت قد تفتحت في الجاهلية، كما استوت أساليبهم، ممَّا هيَّأ لازدهار المقدمات القديمة⁽¹⁾.

نحن نعلم من خلال دراسة الشعر في تاريخ الطبري أن الطبري كان يورد من الشعر مقطوعات قصيرة للاستشهاد على الحدث، ولكننا نجد أنه أورد كذلك قصائد مُكتملة تشتمل على مُقدمة، ومن ذلك بائئة الأعشى التي بدأها بمطلع تقليدي غزلي.

إنَّ المطلع الغزلي الذي افتتح به الشاعر قصيدته لا يمتُّ بِأَيَّةِ صلةٍ لموضوع القصيدة الرئيس، فقد كانت المقدمة الغزلية مقصودة لذاتها. يستهلُّ الشاعر قصيدته بمطلع غزلي، يذكر فيه محبوبته المكناه بأَمِّ غالب، فيلوح لها خيالها، ويتذكرها، ويبكي فراقها ويصفها، ويتمنى أن تعود أيامها، إنه لفي صفاء من العيش، وخلو البال من الهموم، بحيث يتذكر هؤلاء النسوة لا يُلْهِيه عن ذلك شيء حتى تلك المصيبة، وهي ما حلَّ بالتوايين في عين الوردية⁽²⁾، وشعر الاعشى وسيرته يدلان على أنَّ ميوله قبلية، لا مذهبية⁽³⁾.

(1) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، حسين عطوان، دار المعارف بمصر، ص

24 وما بعدها.

(2) المكتّمات، كاظم الظواهري، ص 100.

(3) المرجع نفسه، ص 95.

فالشاعر لا ينسى ذكر المحبوبة حتى يتذكر فجيعة سليمان بن صرد ومن معه من التوابين⁽¹⁾، يقول⁽²⁾:

أَلَمْ خَيَّالٌ مِنْكَ يَا أُمَّ غَالِبٍ فحَيَّيْتُ عَنَّا مِنْ حَبِيبٍ مُجَانِبٍ
وَمَا زِلْتُ لِي شَجُورًا وَمَا زِلْتُ مُقْصِدًا لَهُمْ عَرَانِي فِي فِرَاقِكَ نَاصِبٍ
فَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ انْفِتَالِكَ فِي الضُّحَى إِلَيْنَا مَعَ الْبَيْضِ الْوَسَامِ الْخَرَاعِبِ
تَرَاعَتْ لَنَا هَيِّقَاءٌ مَهْضُومَةٌ الْحِشَا لَطِيفَةً طَيِّ الْكَشْحِ رِيًّا تَنْكَبُ بَيْنَ الْحَقَائِبِ
مُبْتَلَّةٌ غُرَاءَ، رُوْدٌ شَبَابُهَا كَشَمْسِ الضُّحَى تَنْكَلُ عَنْهَا السَّحَابِ
فَلَمَّا تَغَشَّاهَا السَّحَابُ وَحَوْلَهُ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ
فَتَلَكِ الْهَوَى وَهَى الْجَوَى لِي وَالْمُنَى فَأَحْبَبْتُ بِهَا مِنْ خَلَّةٍ لَمْ تُصَاقِبِ
وَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ الشُّبَابَ وَذِكْرَهُ وَحُبُّ تَصَافَى الْمُعْصِرَاتِ الْكَوَاعِبِ
ويزدادُ مَا أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِتَابِنَا لُعَابًا وَسُقْيَا لِلْخَدِينِ الْمُقَارِبِ

لم يقتصر الشعراء الأمويون على المقدمة الغزلية أو غيرها من المقدمات التقليدية الأخرى كي يفتحون بها قصائدهم، ولكننا نجد بعض الشعراء الأمويين كالأعشى، يبدأ قصيدته بمطلع إسلامي، وهذا يدل على مدى تأثر هؤلاء الشعراء بالإسلام حتى في مطالع قصائدهم، حيث يتأثر بأسلوب القرآن الكريم ويقتبس منه، يقول⁽³⁾:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نوره ويطفئ نور الفاسقين فيخمد
وفي قصيدة لعبدالله بن خليفة الطائي يبدؤها بمطلع قصير يعبر فيه عن حالته النفسية تعبيراً صادقاً إذ كان صدى لما يدور في نفسه من شعور بالغربة، وحنين إلى الوطن، يتحدث عن ليلاه البعيدة، وشبابه المفقود، وما تثيره ذكريات الصبا والشباب من حزن ووجد.

لقد كان مطلع القصيدة مُتَمَّا لموضوع هذه القصيدة التي بعث بها عبدالله بن خليفة الطائي إلى عدي بن حاتم الطائي من جبلى طي اللذين التجأ إليهما فراراً من

(1) المكتمات، كاظم الظواهري، ص 98.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 608.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص 376.

أوامر زياد بن أبيه الذي فرض عليه أن يُغادر الكوفة لاشتراكه في ثورة حجر بن عدي.

فنتيجة للفراغ الذي كان الشاعر يعيش فيه في منفاه أُتيح له أن يُعبّر عن شعوره بالغربة والحنين، وأن يتحدث عن ثورة حجر وأصحابه الذين استشهدوا في سبيل الله، فأصبح بعدهم لا يرجو شيئاً في الحياة، بل لا يرغب في الحياة نفسها⁽¹⁾، يقول⁽²⁾:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالشَّبِيَّةَ أَعْصُرَا وَذَكَرَ الصَّبَا بَرَحَ عَلَيَّ مِنْ تَذَكُّرَا
وَوَلَّى الشَّبَابُ فَافْتَقَدْتُ غُضُونَهُ فَيَا لَكَ مِنْ وَجْدٍ بِهِ حِينَ أَذْبُرَا

وحين ننظر في عينية عبدالله بن همام السلولى، فإننا نلاحظ أنه يبدوها بمقدمة غزلية قصيرة، يتحدث فيها عن صاحبتة التي هجرته لوشاية حملها إليها واش سعى بينهما فتركته يُعاني همّاً يملأ عليه كل قلبه، وهي مقدمة تتصل اتصالاً قريباً بالظروف التي كانت تحيط بالشاعر، وكأنها صدى نفسي لمحنته السياسية التي كان يمرُّ بها.

فقد كانت هذه القصيدة أول قصيدة أنشدها المختار بعد أن أستاذمن له عبدالله ابن شداد⁽³⁾، فابن همام السلولى كان في أول أمره عثمانياً أموياً، وكان قد سمع أحد الموالى من الشيعة يذكر عثمان وينال منه، فغضب لذلك وعنفه، وعندما ظهر المختار ارتفع شأنه فأصبح هذا المولى الذي ضربه ابن همام - وهو أبو عمرة كيسان - رئيس حرس المختار، فيشعر ابن همام بالخطر، وخاصة عندما أصبح المختار سيّد الكوفة، فلا يجد ابن همام أمامه إلا أن يستخفي، ويظلّ مستخفياً حتى يستأمن له أحد أبناء قبيلته وهو عبدالله بن شداد الجشمي⁽⁴⁾.

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص 364.

(2) تاريخ الطبري، ج 5، ص 283.

(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص 393.

(4) تاريخ الطبري، ص 391.

فكان من الطبيعي أن يكون مستهل حديثه عن الهجرة والوشاية اللذين عانى
منهما في حبه ما يعاينه منهما في حياته السياسية يقول⁽¹⁾:

ألا انتسأت بالود عنك وأدبرت
وحمّلها واش سعى غير مؤثّل
فخفض عليك الشأن لا يردك الهوى
فليس انتقال خلة ببديع

معالنة بالهجر أم سريع
فأبت بهم في الفؤاد جميع
فليس انتقال خلة ببديع

أما رائية كعب الأشقري فقد سار فيها على غرار شعراء الجاهلية وصدر
الإسلام ومعاصريه، ممّن يبدعون القصائد بذكر الحبيب ووصفه، والتشوق إليه، وقد
لا يكون هنالك من حبيب⁽²⁾، لذلك فقد جاء بالمقدمة الغزلية من باب التقليد للقدماء،
وليس لأنّ الشاعر مشغول بالحبّية لأنّ الشاعر كان مشغولاً بانتصارات المهلب بن
أبي صفرة على الأزارقة، فقال:

يا حفص إني عدّاني عنكم السفر
وعلقت يا كعب بعد الشيب غانية
أمسك أنت عنها بالذي عهدت
علقت خوذاً بأعلى الطّف منزّلها
دُرماً مناكبها رِيّاً مأكّمها

وقد أرقيت فآدى عيني السهر
والشيب فيه عن الأهواء مزّجر
أم حبّلها إذ نأتك اليوم مُنبتر
في غرفة دونها الأبواب والحجر
تكاد إذ نهضت للمشي تنبتر⁽³⁾

ونجد في موضع آخر أنّ مقدمة القصيدة متممة لغرضها ومن ذلك قصيدة
الأعشى في رثاء محمد بن الأشعث، فمقدمة القصيدة تتحدث عن العوار الذي أصاب
عيني الشاعر بسبب البكاء والسهر بسبب فراق الحبيب، وكذلك الموضوع الرئيسي
الذي جاء في رثاء ابن الأشعث، والحديث عن البكاء والنُعاة⁽⁴⁾:

تأوبّ عينك عوارها
وإحدى لياليك راجعتها
وما ذاقَت العين طعم الرقاد

وعادَ لنفسك تذكّارها
أرقت ولوَم سُمّارها
دِحتي تبلّج إسفارها

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص35.

(2) شعر الحرب في أدب العرب، زكي المحاسني، ص105.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص304.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص102.

ويبدأ ثابت قطنة قصيدته بمخاطبة هند ويشكو إليها طول ليله، وهذا ما يسمى الزمن النفسي فليلاً يطول نتيجة لمعاناته ومقدمة القصيدة وما فيها من معاناة وألم مُتمّ لغرض القصيدة (الثناء) يقول⁽¹⁾:

ألا يا هند طال على ليلي وعادَ قصيرُهُ ليلاً تماماً
كأنّي حين حلّقت الثريّا سُقيتُ لُعابَ أسود أو سمّاماً
وقال أيضاً⁽²⁾:

أبى طولُ هذا الليل أن يتصرّماً وهاجَ لك الهمُّ الفؤاد المئّيماً
أرقتُ ولم تارق معي أمُّ خالد وقد أرقت عيناى حولاً مجرّماً
ما زال بعض الشعراء في العصر الأموي متأثراً بأسلوب الشعراء القدامى من حيث افتتاح القصيدة بالوقوف على الأطلال، ومنهم ثابت قطنة الذي يبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال، يقول إنّ بقايا الأطلال هي التي هاجت له الشوق، وهذه الرسوم التي هاجت له الشوق والحنين قد محتها الأمطار التي تهطل على الديار، ولم يبقَ من هذه الأطلال سوى الوتد، ومواقد النار التي هي رمز لفاعلية الناس الذين كانوا يملأون هذه الديار، يقول⁽³⁾:

ما هاجَ شوقك من نؤيٍ وأحجار ومن رُسوم عفاها صوبُ أمطار
لم يبقَ منها ومن أعلام عرّصتها إلا شجيجٌ وإلا موقدُ النارِ
ومائلٌ في ديار الحى بعدهمُ مثلُ الرّبيّة في أهدامِهِ العارى
ديارُ ليلى قفارٌ لا أنيسَ بها دون الحُجون وأين الحُجن من دارى
بُذلتُ منها وقد شطّ المزارُ بها وادى المخافة لا يسرى بها السارى

ج- استعمال الأمثال:

مال الشعراء الأمويون إلى استعمال الأمثال في شعرهم فالأشعار التي وردت في تاريخ الطبري كانت تتناول أحداثاً وكان الشعراء الأمويون يميلون إلى تضمين

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص603.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص603.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص56.

أشعارهم، مثلاً من الأمثال ليشيروا إلى حادثة معينة، كقول زياد بن أبي سفيان عندما علم بمحاولة حجر بن عدي دخول الكوفة مع أصحابه فقال⁽¹⁾:

أبلغ نصيحة أن راعى إيلها سقط العشاء به على سرحان

فقد ضمن بيته المثل: "سقط العشاء به على سرحان"⁽²⁾.

وكقول الشاعر في أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد

شمس⁽³⁾:

انعمى أم خالد رُبَّ ساعٍ لقاعد

فقد ضمن بيته المثل: "رُبَّ ساعٍ لقاعد"⁽⁴⁾.

وقال شاعر من الخوارج⁽⁵⁾:

واغزُ المخانيث في الماذي مُعلّمة كيما تُصّبح غدواً ضرطة الجمل

وهو يشير بذلك إلى المثل: "أهونُ على من ضرطة الجمل"⁽⁶⁾.

وقال حجر بن عدي مُتمثلاً قول المتلمس عندما علم أن معاوية بن أبي سفيان

ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة⁽⁷⁾:

لذى الحلم قبلَ اليوم ما تُقرغُ العصا وما علّم الإنسانُ إلا ليعلما

والشاعر يضمن بيته المثل: "لذى الحلم قبلَ ما تُقرغُ العصا"⁽⁸⁾.

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص256.

(2) جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق أحمد

عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1988، ج1، ص420.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص500.

(4) جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، ج1، ص390.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص172.

(6) جمهرة الأمثال، ج2، ص290.

(7) تاريخ الطبري، ج5، ص253.

(8) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، تحقيق: إحسان عباس وآخرين،

مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، بيروت - لبنان، ط3، ص1983، ص148.

وقال حبيب بن خدره في طلب الأمان للحجاج بن جارية عندما أمر الحجاج عدي بن وتاد بقتله⁽¹⁾:

فكأنّي من غدٍ وافقتها مثل ما وافق شنّ طبّقاً
وهو يشير بذلك إلى المثل: "وافق شنّ طبق"⁽²⁾.

د- الألفاظ الدخيلة:

استعمل الشعراء من أصل عربي بعض الألفاظ الدخيلة في شعرهم، وكان ذلك نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى كالفرس والترك، وخاصة في البلاد التي قام المسلمون بفتحها، ومن الألفاظ الدخيلة التي وردت في الشعر الأموي في تاريخ الطبري، لفظة دختنوس في قول محمد بن عمير بن عطار⁽³⁾:

عجبت دختنوس لما رأنتي قد علاني من المشيب خمارُ
والبازل العيسجور في قول شريح⁽⁴⁾:

قد تعلم البازل العيسجورُ أنك بالخبث حسّارُها
ولفظة خاقان في قول الشرعيّ الطائي⁽⁵⁾:

بلاد بها خاقان جمّ زحوفه ونيلان في سبعين ألفاً مقنّع
ونيزك في قول المغيرة بن حنّاء⁽⁶⁾:

وبهنّ أنزل نيزكا من شاهق والكرز حيث يروم كلّ مرام

وهذه الأسماء الأعجمية هي أسماء أشخاص تتفق مع تسجيل الأحداث التاريخية.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص300.

(2) مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق: محمد علي قاسم، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، 1986، ص164.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص70.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص103.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص85.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص461.

وسلّى وسلّبرى وهي أسماء أماكن في قول الصلتان العبدى⁽¹⁾:
 بسلى وسلّبرى مّصارغ فتية كرام وقَتلى لم تُوسدْ خدودها
 ولفظة دير الجاثليق في قول عبيد الله بن قيس الرقيات⁽²⁾:
 لقد أورت المصريين خزيًا وذلةً قتلٌ بدير الجاثليق مُقيمٌ
 وجُبيرين في قول كعب الأشقري⁽³⁾:
 وفي جُبيربن إذ صفوا بزحفهم ولّوا خزايا وقد فلّوا وقد قهروا
 وباذغيس في قول كعب الأشقري⁽⁴⁾:
 وباذغيس التي من حل ذروتها عزّ الملوك فإن شا جار أو ظلما
 والسغد في قول كعب الأشقري⁽⁵⁾:
 دوّخ السغد بالكتائب حتّى ترك السغد بالعراء قعودا
 والقُطْقُطَانَةُ في قول شاعر⁽⁶⁾:
 وياسرَ والتّياسرُ كان حزمًا ولم يقرب قُصُورَ القُطْقُطَانَةِ
 وهذه الاسماء الأعجمية هي أسماء مواضع تتفق مع تسجيل الأحداث
 التاريخية.

3.5 الخيال والصورة:

يقول الدكتور شوقي ضيف: "الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن
 يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء وإنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص619.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص161.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص306.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص386.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص480.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص579.

حصر لها، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها⁽¹⁾.

إذن فالخيال استدعاء للمحسّات والمدرّكات، ثمّ إعادة بنائها والخيال لا يكونه الأديب من الهواء، أو اللامنطق، كما يفعل السيراليون وأمثالهم، لكنه يؤلف من خبرات كثيرة مختزنة في عقول المبدعين.

والخيال هو القدرة الكيماوية التي تمزج بين الصور المتباعدة لتجعل منها صور متألّفة منسجمة⁽²⁾.

ويرى الدكتور أحمد الشايب: "أنّ تعريف الخيال تعريفاً دقيقاً واضحاً أمر شاق لأنّ هذه الكلمة ترد في العبارات مبهمة عامة كأنّها تعنى شيئاً غير مفهوم، ولأنّها تدلّ على صور عقلية متشابهة وإن لم تكن متّحدة"⁽³⁾.

ولا يعني الخيال البعد عن الحقائق والسعي وراء المبهمات والمحاولات أو اعتماد الكذب والتزييف.

ووظيفة الخيال أساساً تنظيمية، فهو الذي ينظم صور الطبيعة في وحدة متكاملة، وهو الذي يختار الجزئيات وينظمها ويؤلفها في صور فنية رائعة، ولا بدّ أن تكون هذه الصور منسجمة مع بعضها بعضاً حتى يكون الخيال مبدعاً لأنّ وظيفة الخيال تجسيم الصورة وتحسينها وتزيينها، من أجل إثارة الوجدان والعاطفة والإنفعالات من خلال إبراز الفكرة⁽⁴⁾، والربط بين حقائق الوجدان وانفعالاته ربطاً محكماً لا ينكره الحس والعقل، ودفع المتلقي إلى إعادة التأمل في الحياة⁽⁵⁾.

ومصادر الخيال متعددة تستمد مخزونها من العقل ومن البيئة ومن الثقافة والمعارف المختلفة، والتجارب، اليومية، ومن الاحساسات المختزنة في الذاكرة.

(1) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط7، ص167.

(2) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة بيروت، 1987، ص412-413.

(3) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، ص211.

(4) المرجع نفسه، أحمد الشايب، 211.

(5) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، 175.

ويقسّم أحمد الشايب الخيال إلى ثلاثة أنواع: فالخيال يكون ابتكارياً عندما يختار الشاعر عناصر صورته من بين التجارب السالفة ويؤلف منها صوراً جديدة كما يختار الإنسان جملة أزهار ويؤلف منها باقة جميلة تدهش الناظرين، ويكون الخيال تآليفاً إذا استخدم صوراً حسية لبعث مشاعر تستدعي صوراً تشابهها كأن يرى الشاعر تساقط أوراق شجرة، فهذه الصورة للأوراق عندما كانت خضراء ثم سقطت استدعت صورة الإنسان في حالي شبابه وهرمه أو في حياته وموته، ويكون الخيال بيانياً أو تفسيرياً إذا سبق الإدراك جمال الأشياء⁽¹⁾.

أمّا كوليردج فيقسّم الخيال إلى نوعين: الخيال الأولي والخيال الثانوي، والخيال الأولي هو القوة الحيوية في كل إدراك إنساني، ويُقابل ما يدعوه (كانت) الخيال الإنتاجي وهو علمي في وظيفته.

أمّا الخيال الثانوي فهو صدى للخيال السابق، ويصطحب دائماً بالوعي الإرادي، ويتفق مع الخيال الأول في نوع عمله ويختلف عنه في درجته وطريقة عمله، لأنه يحلّل الأشياء ويوحدها وهذا النوع من الخيال يدعوه "كانت" الخيال الجمالي⁽²⁾.

ويعتمد الخيال في أكثر صورته على كاهل بعض الفنون البلاغية وفي مقدمتها التشبيه والاستعارة، وقد استخدم شعراء العصر الأموي التشبيه استخداماً واسعاً وكانت أغلب صورهم مشتقة من العالم الحسي المحيط بهم.

التشبيه:

أ- صورة الخليفة:

فعندما يمدح الشعراء الخلفاء يشبهون علو منزلتهم بالنجوم في علوها، فصورة الخليفة الوليد بن يزيد في علو منزلته تشبه النجوم في علوها كما في قول عبدالصمد بن عبد الأعلى في مدحه للخليفة الوليد بن يزيد⁽³⁾.

ألم تر للنجم إذ شيعا يُبادرُ في بُرجه المرجعا

(1) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ص 210-223.

(2) النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص 413-414.

(3) تاريخ الطبري، ج 7، ص 211.

ثُمَّ يُشَبِّه أَمْلَ الرِّعْيَةِ فِي عَدْلِهِ وَمُلْكِهِ وَأَمْلَهُمْ فِي أَنْ يُصِيبَهُمُ الْعَدْلُ وَالْخَيْرُ
كَأَمْلِ أَصْحَابِ الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ بِالْغَيْثِ الَّذِي يُحَوِّلُهَا إِلَى أَرْضِ خَضِرَاءَ فَقَالَ⁽¹⁾:
وَكُنَّا نَوْمُلُ فِي مَلِكِهِ كَتَأْمِيلِ ذِي الْجَذْبِ أَنْ يُمْرِعَا
وَالْخَلِيفَةَ فِي شَجَاعَتِهِ لَيْثُ مَفْتَرَسٍ عَرِينَا، قَالَ الْحَكَمُ يَمْدَحُ مَرْوَانَ بْنِ
الْحَكَمِ⁽²⁾:

وَمَرَانٌ بِأَرْضِ بَنِي نِزَارٍ كَلَيْثِ الْغَابِ مَفْتَرَسٌ عَرِينَا
ب- صورة الولاة والقادة:

وَزِيَادُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمَّامِ السَّلُولِيِّ فِي شَجَاعَتِهِ لَيْثُ عَرِينٍ
وَحَيَّةٍ صَمَاءَ، وَهَذَا نَرَى أَنَّ الشُّعْرَاءَ الْأُمَوِيِّينَ مَا زَالُوا مُتَأَثِّرِينَ بِالصُّورِ الشُّعْرِيَّةِ
الْقَدِيمَةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنَ الطَّبِيعَةِ⁽³⁾:

خَيَّبَ اللَّهُ سَعْيَ أَوْفَى بْنِ حَصْنٍ حِينَ أَضْحَى فَرُوجَةَ الرَّقَاءِ
قَادَهُ الْحَيْنُ وَالشَّقَاءُ إِلَى لَيْثٍ عَرِينٍ وَحَيَّةٍ صَمَاءَ
وَنَفْسُ الصُّورَةِ نَجْدُهَا عِنْدَ الْفَرَزْدَقِ فِي مَدْحِهِ لَزِيَادِ بْنِ سَفْيَانَ⁽⁴⁾:
بَأْنِي قَدْ فَرَرْتُ إِلَى سَعِيدٍ وَلَا يُسْطَاعُ مَا يَحْمِي سَعِيدُ
فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هَزْبِرٍ تَفَادَى عَنْ فَرِيسَتِهِ الْأَسْوَدُ
وَزِيَادُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ جَبَلٌ صَعْبُ الذَّرَى عِنْدَ الْجَعْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ
يَرِثِيهِ⁽⁵⁾:

كَانَ زِيَادٌ جَبَلًا صَعْبُ الذَّرَى شَهْمًا إِذَا شَتَّتْمُ نَقِیصَاتِ أَبِي
وَشَبَّهُ زَفَرَ بْنَ الْحَارِثِ مَصْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ بِشُعَاعِ الشَّمْسِ حِينَ
تَرَجَّلَ⁽⁶⁾:

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص211.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص311.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص236.

(4) المصدر نفسه، الطبري، ج5، ص249.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص297.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص543.

ولمّا يَكُنْ للمَشْرِفِيَّةِ فوقكم شُعاع كقرن الشمس حين تَرَجُلُ
وإذا ما تحدث الشعراء عن رجال الحرب شبهوهم بالأسود القوية، قال جواس
ابن قعطل⁽¹⁾:

عليها كأسد الغاب فتیانُ نجدة إذا شرعوا نحو الطّعان العواليا
وصورة قطريّ بن فجاءة عند الطفيل بن عامر بن وائلة في جُبْنِه وخوفه
كالنعامة الهاربة، فقال⁽²⁾:

وما قطريّ الكُفر إلا نعمة طريدٌ يدوى ليله غير نائم
وصورة محمد بن الأشعث عند الأعشى كدجلة جوداً وكرماً وعطاءً فقال⁽³⁾:
وكنّت كدجلة إذ ترتمى فيقذفُ في البحر تيارُها
وصورة جبين بُكير بن وشاح كالسيف عند رجل من بكر بن
وائل⁽⁴⁾:

بأبيض من أُميَّة مضر حيٌّ كأن جبينه سيفٌ صنيعٌ
وصورة الجنيد كالطفلة في خدرها التي لا تعلمُ بما يدورُ حولها، فقال ابنُ
عرس يهجو الجنيد لعدم قدرته على مقاتلة التّرك في يوم الشّعب⁽⁵⁾:
إذ أنت كالطفلة في خدرها لم تدري يوماً كيدة الكائد
ج- صورة الجيش:

وصورة الجيش الأموي في كثرته وتنظيمه كالبرق الذي يُذهب البصر، فقال
كعب الأشقر⁽⁶⁾:

صفان بالقاع كالطّودين بينهما كالبرق يلمعُ حتى يشخصَ البصر

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص543.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص308.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص102.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص200.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص86.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص307.

وصورة الجيش الأمويّ عند الأعشى كالبرق في حجراته⁽¹⁾:
 بصفٍّ كأنَّ البرقَ في حَجَرَاتِهِ إذا ما تجلَّى ببيضُهُ وتوقّدا
 ونرى الشعراء الأمويين يشبهون طلعة القادة عند قتالهم بغرة البدر، قال
 عبيدالله بن بسّام يمدح نصر بن سيار⁽²⁾:
 ناديتُهُ فسما للمجد مُبتهِجاً كغرة البدر جَلَى وجهه إظلام
 وإذا ما تحدث الشعراء عن الأبطال من القادة الشجعان شبهوهم بالأسود، فقال
 كعب الأشقري⁽³⁾:

والتركُ تعلمُ إذ لاقى جُموعُهُم أن قد لقوه شهاباً يفرج الظلماً
 بفتيةٍ كأسود الغاب لم يجدوا غير التأسى وغير الصبرِ مُعتصماً
 ونرى أنَّ صورة الجيش عند أعشى همدان مُستَمدة من الطبيعة فكما شبه
 صف الجيش بالبرق، يشبهه أيضاً بالجمال⁽⁴⁾:
 دلفنا إليه في صُفوفٍ كأنها جبالُ شرورى لو تُعانُ فتتهدا
 وفي موضع آخر فإنَّ صورة الجيش عند الاعشى كموج البحر، لذلك نرى أنَّ
 صورة الجيش تعددت عند الأعشى وكلها مُستَمدة من الطبيعة، وهذا يبرهن على أنَّ
 بعض الشعراء ظلوا يحاكون الصور القديمة يقول⁽⁵⁾:

فجاءهم جمعٌ من الشام بعده جُموعٌ كموج البحر من كلِّ جانب
 د- صورة الحبيبة:

وصورة الحبيبة عند الأعشى كشمس الضُّحى التي تطلُّ من بين
 السحاب⁽⁶⁾:

مُبتلةٌ غراء، رؤدٌ شبابها كشمس الضُّحى تنكبُّ بين السحاب

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص376.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص196.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص352.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص376.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص609.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص608.

فَلَمَّا تَغَشَّاهَا السَّحَابُ وَحَوْلُهُ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنَّتْ بِحَاجِبِ
هـ- صورة القلعة:

وصورة قلعة نيزك بباذغيس عند كعب الأشقريّ يشبهها تارة بالنجوم
المتلألئة في ليل معتم، وتارة بسحابة الصيف في تحليقها وارتفاعها⁽¹⁾:

تخالُ نيرانها من بُعد منظرها بعض النجوم إذا ما ليّلها عتما
مُحلقة دون السماء كأنها غمامة صيف زلّ عنها سحابها
ولا يبلغ الأروى شماريخها العلا ولا الطير إلا نشرها وعقابها

و- صورة الأعداء:

وصورة الأعداء عند عبيدالله بن الحرّ كالمعزى في ضعفها وخوفها التي
تختبئ خلف الصخور خوفاً من الذئب⁽²⁾:

أكرّ عليهم معلماً وتراهم كمعزى تحنى خشية الذئب بالصّخر

ز- صورة السيوف والخيل:

وعندما يتحدثون عن السيوف يشبهونها بشعل النار الملتهبة يقول المتوكّل
الليثي في سيوف الشيعة⁽³⁾:

ويجيئكم قومٌ كأنّ سيوفهم بأكفهم تحت العجاجة نارُ
وقال نهار بن توسعة التميمي عن الخيل مشبهاً صورتها بأسراب القطا
المتسرّب⁽⁴⁾:

أباح لنا سهل البلاد وحزنها نخيل كإرسال القطا المتسرّب
التشبيه البليغ:

وهذا النوع من الشعر يُسميه بعض النقاد التشبيه التام أو التشبيه الشرعي،
وفيه تحذف أداة التشبيه، ووجه الشبه، ومن الأمثلة على هذا النوع من الشعر في

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص386 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص135.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص71.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص355.

الشعر الأموي الذي ورد في تاريخ الطبري، قول كعب الأشقر في مدح جيوش الأمويين⁽¹⁾:

بدشتَ بارينَ يومَ الشَّعبِ إذْ لُحقتْ أسد بسفك دماء الناس قد زأروا
التشبيه التمثيلي:

اعتمد بعض الشعراء على هذا النوع من التشبيه لبث الحياة النابضة في صورهم، وخاصة الصور المستمدة من الطبيعة فعندما مات هبيرة قال سودة يرثيه مشبهاً إياه بالربيع على مر السنين وبشجاعة الليث عندما يتخاذل الأبطال⁽²⁾:

كان الربيع إذا السَّنون تتابعت والليث عند تكعكع الأبطال
وعند عبدالله بن همام السلولي فإنَّ زياد بن أبي سفيان كالليث العرين في شجاعته، والحية الصماء الخبيثة الذي لا يسلم من تلدغه، قال⁽³⁾:

خيَّب الله سعى أوفى بن حصن حين أضحى فروجه الرقاد
قاده الحين والشقاء إلى لب لب عرين وحية صماء
التشبيه الضمني:

ومثلاً استخدم الشعراء التشبيه البليغ والتشبيه التمثيلي لوضع صورهم، كذلك استخدموا التشبيه الضمني على قلة، كقول جرير في رثاء الوليد بن عبد الملك⁽⁴⁾:

أضحى بنوه وقد جلت مُصيبتُهُمْ مثل النجوم هوى من بينها القمرُ
فالمصيبة التي حلت بأبناء الوليد بن عبد الملك عندما توفي أبيهم ومدى الحزن والألم الذي ألمَّ بهم، وحالتهم هذه كحال النجوم التي هوى من بينها القمر.

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص306.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص503.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص236.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص458.

التجسيم:

أشاع الشعراء الأمويين في صوروهم ضروباً من التجسيم لإيضاح الصورة وإبرازها فقد جعلوا الشيء المعنوي شيئاً حسيّاً، كما في قول العباس الذي جسّم الفتن بالجمال لعظمها وكبرها فقال⁽¹⁾:

إنى أعيذكُم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثمّ تتدفعُ
وجسّم شاعر آخر الحزن والألم والحسرة الذي تجلجل في فؤاده في موت الخوارج بالنار الملتهبة⁽²⁾:

كمِداً تجلجل في فؤادي حسرةً كالنار من وجدٍ على الرّيان
الاستعارة:

ومن الصور التي اهتمّ بها الشعراء الأمويون تلك الصور التي تعتمد على الاستعارة أو ما يُعرف باسم "التشخيص" فقد شخّص الشعراء كلُّ ما يقع تحت أبصارهم وبثّوا فيه الحياة⁽³⁾.

فيمثّل الزمان عند حارثة بن بدر الغدّاني بصورة إنسان خبيث تظهر عليه الشرور يقول:

وكنتَ حياً وجئتَ على زمان خبيث ظاهرٍ فيه شرور
والحربُ عند كعب الأشقريّ تعضُّ كالكَائن الحي⁽⁴⁾:

وما تجاوز باب الجسر من أحد وعضّت الحربُ أهل المصّر فأنحجزوا
وتتمثّل الحرب وأبناؤها عند ابن عرس بأنها تلعبُ بالمقاتلين كلعب الصقور بالحمام الوارد للماء⁽⁵⁾:

تلعبُ بك الحربُ وأبناؤها لعبَ صُقورٍ بقطاً وارِدٍ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص239.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص577.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص223.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص305.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص87.

4.5 الأوزان والقوافي:

كانت القصيدة العربية تُبنى على نغم موسيقي مطرد هو البحر تشترك فيه جميع أبياتها من بدايتها إلى نهايتها لذلك كان للقصيدة العربية القديمة نظاماً ثابتاً في تنظيمها الموسيقي، فلا بدّ وأن تنتهي كل وحدة موسيقية بقافية تشترك فيها جميع الأبيات لتكسبها توازناً آخر في نغمها⁽¹⁾.

وكان القدماء من علماء العربية لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النثر إلا ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي لأن موسيقى الشعر - أوزانه وقوافيه - تضيف على الشعر سمة واضحة، وتضيف على الكلمات حياة وحيوية، وتثير الرغبة في قراءته وترديده⁽²⁾.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أنه لا بدّ وأن يكون هنالك نظام محكم في التفاعيل وفي الحركات نظام كأنما تقيسه آلة من آلات الزمن الدقيقة، فكل بيت لحظة من الزمن لا تقل ولا تكثر عن لحظة البيت الذي يسبقه أو يتلوه حتى لا يحدث اختلال في انفعالات السامع، وإنه نظام دقيق يعبر عن انفعال الشاعر⁽³⁾.

إنّ موسيقا الشعر العربي في الأوزان وفي القوافي لم تعرف بدايات التجديد إلا في أواخر العصر الأموي، وخاصة بعد أن استقر العرب في المدن وتأثروا بالتيارات الحضارية التي بدأت تهب عليهم وخاصة حضارتي الفرس والروم⁽⁴⁾.

وكان نتيجة لانتشار مجالس الغناء أن تغير بناء القصيدة الخارجي والداخلي، ورأى الشعراء أن البحور القصيرة أطوع في الغناء والتلحين، وكان الشاعر حريصاً على أن تكون ألفاظه ومعانيه سهلة خفيفة قريبة إلى النفوس⁽⁵⁾.

(1) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص 101.

(2) شعر الطبيعة في العصر العباسي، رشدي حسن، دار عمار - عمان، ط 1، 1988، ص 224.

(3) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص 101 وما بعدها.

(4) موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس، ط 5، ص 106.

(5) حياة الشعر في الكوفة، ص 603.

وبالنسبة إلى العلاقة بين الوزن وموضوع القصيدة فيرى الدكتور إبراهيم أنيس "أن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرا بمثل هذا التحيز، أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه، فهم كانوا يمدحون ويفخرون ويتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعت عندهم، ويعود الدكتور إبراهيم أنيس في ربط بين وزن القصيدة وعاطفة الشاعر، فيقول: "إننا نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه، فإذا قال الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة النفس وازدياد النبضات القلبية"⁽¹⁾.

ومن خلال دراسة أوزان الشعر الأموي التي وردت في تاريخ الطبري فقد كان لبحر الطويل النصيب الأوفر من بين البحور الأخرى التي استخدمها الشعراء، فقد نظم منه أكثر من ثلث الشعر في تاريخ الطبري، وقد كان استخدام الشعراء لهذا البحر أكثر ما يكون في موضوعات المدح والمفاخرة والمهاجاة نظراً لكثرة مقاطعه، فقد كان الوزن الذي يؤثر فيه القدماء على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم.

ونظراً لأن المدح احتل المرتبة الأولى من بين موضوعات الشعر الأخرى في تاريخ الطبري، فكان من الطبيعي أن يكون البحر الطويل من بين الأوزان التي احتلت الصدارة من بين الأوزان الأخرى، فالمدح ليس من الموضوعات التي تتفعل لها النفوس وتضطرب لها القلوب، فأجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع كالطويل والبسيط والكامل.

ثم نرى أن البسيط يحتل المرتبة الثانية، وقد استخدمه الشعراء لنظم موضوعات متعددة كالمدح والفخر والهجاء ثم جاء الكامل في المرتبة الثالثة من بين البحور التي استخدمها الشعراء الأمويين، وجاء من بعدهما كل من الوافر والخفيف والمتقارب، وعلى هذا تكون النسب كالاتي:

الطويل 35%	البسيط 20%	الكامل 18%
الوافر 13%	الخفيف 10%	والمقارب 4%.

(1) موسيقى الشعر، ص 177-178.

القافية:

القافية ركن من أركان القصيدة في بنائها وموسيقاها فيرى الدكتور ابراهيم أنيس أنها عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطَر أو الأبيات من القصيدة، وتكرار هذه الأصوات يُعدُّ جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية⁽¹⁾.

ويركز كثير من النقاد على أهمية القافية في الشعر وكذلك يركزون على أهميتها الموسيقية، فهي ليست إلا "عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطَر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة"⁽²⁾.

والروى هو صوت تنسب إليه القصائد أحياناً، فيقال رائية الفرزدق، وهمزية جرير مثلاً. وهذا الصوت تُبنى عليه الأبيات، ويسميه أهل العروض بالروى⁽³⁾. إن معظم حروف الهجاء ممّا يمكن أن يقع رويًا، ولكنها تختلف في نسبة شيوعها، فوقع الراء رويًا كثير شائع في الشعر العربي القديم، ولا تعزى كثرة الشيوخ أو قلتها إلى ثقل في الأصوات أو خفة بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة⁽⁴⁾.

ومن خلال دراسة الشعر الأموي في تاريخ الطبري قلّمًا نجد أن الشعراء ركزوا على حرف روى بعينه فقد تنوّع استخدام الشعراء لحروف الروى بين الدال والراء والعين والميم واللام، والباء. والنون وغيرها من الحروف.

(1) موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس، ص246.

(2) المرجع نفسه، ص246.

(3) المرجع نفسه، ص247.

(4) المرجع نفسه، ص247 وما بعدها.

الخاتمة:

توقفت الدراسة عند الشعر الأموي في تاريخ الطبري، ففي الفصل الأول تناولت الدراسة شخصية الطبري وطبيعة الظروف التي نشأ فيها الطبري وترعرع، فهي شخصية موسوعية متنوعة المعارف وبيّنت العوامل التي كونت شخصيته الثقافية والعلمية فمن أهمها: أنه أدرك العلم وهو صبي صغير بالإضافة إلى كثرة الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وتشجيع والده له، فقد جال في مختلف الأمصار والبلدان طالباً للعلم.

وعرض لنا الفصل الثاني الظروف السياسية التي ساهمت في إضعاف سلطة الأمويين، والتي أدت إلى كثرة الفتن والثورات الداخلية وتعدد الأحزاب السياسية التي تنافست على الحكم، وذكرت بعضاً من المظاهر التي انتشرت في ذلك العصر، من جرّاء الظروف السياسية المتردية التي تتجلى أول مظاهرها في الصراع بين العرب والفرس وغيرهم من الموالي الذين أظهروا عداؤهم للعرب وتعصبوا لبني جنسهم.

وتناولت الدراسة في الفصل الثالث بعض الجوانب الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر، فقد تحدثت الدراسة عن الطبقات التي كان يتكون منها المجتمع الأموي بالإضافة إلى انتشار فني الغناء والموسيقى بشكل كبير في ذلك العصر.

كما تناولت الدراسة في الفصل الرابع دراسة موضوعية لأهم أغراض الشعر الأموي في تاريخ الطبري، وهي كما جاءت في الكتاب: المدح والثناء والفخر والهجاء. وقد احتلّ الرثاء المرتبة الأولى من بين الأغراض الشعرية وجاء المدح في المرتبة الثانية ثم الفخر والهجاء.

وفي الفصل الخامس بيّنت أهم الأحداث السياسية التي واكبها الشعر الأموي في تاريخ الطبري، ومن هذه الأحداث السياسية: (انتقال السلطة للأمويين، الصراع بين الأمويين والشيعة، الصراع بين الأمويين والخوارج، والفتن والثورات الداخلية والحروب الخارجية).

أما الفصل السادس فقد تناول الجوانب الفنيّة في هذه الأشعار ومنها: انتشار المعاني الدينيّة في الشعر الأموي، الاقتباس من القرآن الكريم، تطور اللغة الشعريّة وتأثر الشعراء الأمويّين في مقدمات قصائدهم بالشعراء القدماء كما شملت الدراسة الفنيّة دراسة في الخيال والصورة.

المراجع

- إسماعيل، عز الدين، (1975)، في الأدب العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- إسماعيل، عز الدين، (1994)، في الشعر العباسي (الرؤية والفن)، المكتبة الأكاديمية.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (1994)، الأغاني، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1.
- أمين، أحمد، (1972)، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8.
- أنيس، إبراهيم، (د. ت)، موسيقى الشعر، ط5.
- بابتلي، عزيزة فوال، (1984)، العصر الأموي أدبه وحضارته، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، ط1.
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، (د. ت)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- البغدادي، إسماعيل باشا، (1992)، كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- البكري، أبو عبيد، (1983)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عباس وآخرين، مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، بيروت - لبنان، ط3.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، (د. ت)، كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن علي بن محمد، (1992)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبدالقادر وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1.
- حسن، إبراهيم حسن، (د. ت)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- حسن، رشدي، (1988)، شعر الطبيعة في العصر العباسي، دار عمار، عمان، ط1.

- حسن، علي إبراهيم، (د. ت)، التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- حسين، قصي، (1998)، العصر الأموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1.
- الحموي، ياقوت، (د. ت)، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- الحوفي، أحمد محمد، (د. ت)، أدب السياسة في العصر الأموي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط5.
- خليف، يوسف، (1968)، حياة الشعر في الكوفة (إلى نهاية القرن الثاني للهجرة)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (د. ت)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت.
- الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد، (د. ت)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- زراقط، عبدالمجيد، (1983)، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث، بيروت - لبنان، ط1.
- سالم، السيد عبدالعزيز، (2001)، التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة.
- سالم، السيد عبدالعزيز، (د. ت)، تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان.
- السُّبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب علي بن عبدالكافي، (د. ت)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الشاعر، محمد فتحي، (1991)، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار المعارف.
- الشايب، أحمد، (د. ت)، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (1974)، الوافي بالوفيات، تحقيق محمد بن إبراهيم ابن عمر، ومحمد بن الحسين بن محمد، ط2.
- ضيف، شوقي، (د. ت)، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف بمصر.
- ضيف شوقي، (د. ت)، العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، ط7.
- ضيف، شوقي، (1965)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة.
- ضيف، شوقي، (د. ت)، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط7.
- الظواهري، كاظم، (1987)، المكتّمات، ط1.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (د. ت)، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت - لبنان.
- الطبري، أبو جعفر بن جرير، (1994)، تفسير الطبري، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1.
- العزاوي، عبدالرحمن حسن، (1988)، الطبري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.
- العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، (1971)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط2.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، (1988)، جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- عطوان، حسين، (1989)، الشعر في خراسان (من الفتح إلى نهاية العصر الأموي)، دار الجيل، بيروت، ط2.
- عطوان، حسين، (د. ت)، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار المعارف بمصر.
- علي، محمد عثمان، (1986)، في أدب الإسلام، دار الأوزاعي، بيروت - لبنان، ط2.
- الفحام، شاكراً، (1977)، الفرزدق، دار الفكر، دمشق.
- فروخ، عمر، (1986)، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط2.

فلهوزن، يوليوس، (1978)، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3.

القاضي، النعمان، (د.ت)، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، دار المعارف بمصر.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، (د.ت)، شرح التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق محمد هاشم ذيودري، دار الجيل - بيروت.

القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، (1986)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1.

القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، (1988)، المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تحقيق رياض عبدالحميد مراد، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط2.

القوصي، عطية، (1985)، الحضارة الإسلامية، دار الثقافة العربية. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، (د.ت)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

ماجد، عبدالمنعم، (1972)، تاريخ الحضارة الإسلامية (في العصور الوسطى)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2.

ماسنيون، ليوس، (1972)، خطط البصرة وبغداد، ترجمة إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

المحاسني، زكي، (د.ت)، شعر الحرب في أدب العرب، دار المعارف بمصر، ط2. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (1987)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

المقابلة، زايد خالد مصطفى محمود، (1992)، الشعر العباسي في تاريخ الطبري
في القرنين الثاني والثالث للهجرة دراسة موضوعية وفنية، رسالة
دكتوراه، إشراف أ. د. مصطفى الشكعة.

الميداني، (1986)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد علي قاسم، مكتبة المعارف، بيروت
- لبنان.

ابن النديم، (1997)، الفهرست، دار الفتوى، بيروت، دار المعرفة، بيروت- لبنان،
ط2.

النص، إحسان، (1973)، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر،
ط2.

النّوّي، أبو زكريا محي الدين بن شرف، (د. ت)، تهذيب الأسماء واللغات، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

نويهض، عادل، (1984)، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،
مؤسسة نويهض الثقافية، ط1.

الهادي، صلاح الدين، (1986)، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة
الخانجي، القاهرة، ط1.

هلال، محمد غنيمي، (1987)، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت.